الطبعة الخامسة

منقحة

قَصَصٌ لا تليق بالأنبياء

كتابٌ يُبيّن عِصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
ويُحذّر من مفاسدَ تُنْسَبُ إليهم مع بيانِ الحقِ في ذلك

أ. د الشيخ طارق محمد نجيب اللحام

غفر الله له ولوالديه ومشايخه



الطبعة
الخامسة

منقحة



كتابٌ يُبيّن عِصمة الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام
ويُحذّر من مفاسدَ تُنْسَبُ إليهم مع بيانِ الحقِ في ذلك

أ. د الشيخ طارق محمد نجيب اللحام

غفر الله له ولوالديه ومشايخه



الطبعة الخامسة

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢ م

شركة دار المشاريع

بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن
خلدون، بناية الإخلاص.
تلفون وفاكس: ١)٣٠٤ ٣١١ ١
٠٠)٩٦١
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ
لبنان.



ISBN 978-9953-20-798-8

9 789953 207988

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله الذي رحمنا ببعثة المصطفَين الأذكياء العلماء الحكماء الأمناء الرحماء، أهل الصدق والطيبة والعفاف والمُرُوءة المبلّغين عن الله وحي السماء. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء مجدِّدًا الدعوة لدين كل إخوانه الأنبياء، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه إلى يوم الجزاء والقضاء.

في زمن كثُر فيها الكذب المتعمَّد، واستفحلت الإشاعات المغرضة، وقلّت التقوى والأمانة الشرعية، وتقوّل كثير من الملحدين والمشككين على الأنبياء الكرام، حيث غاب في كثير من الأحيان الرقيب والحسيب، لم يكن بُدٌّ من تفنيد كل القصص والروايات القديمة والحديثة التي تُنشَر وتذاع وتروّج هنا وهناك وهنالك باسم قصص الأنبياء وأخبارهم، وفيها ما فيها من الإفراط أو التفريط في حقهم عليهم السلام.

إن أنبياء الله هم أفضل الدعاة لدين الله، وأفضل الخَلْق على الإطلاق، وإن دفاع المؤمن عنهم شرَفٌ يُقرّبه إلى مرضاة الله عزّ وجلّ.

وما يزال هذا الكتاب «**قصص لا تليق بالأنبياء**» يُترجَم ويُعلَّم ويُوزَّع ويُطلَب في بلاد الله تعالى الواسعة، وبآلاف النسخ، بحمد الله الكريم؛ وهذه طبعته الخامسة مصححة منقحة محققة مدققة، زيادة على الإفادة، والكمال لله، والعصمة لأنبياء الله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتزيد الحسنات، والله من وراء القصد، وهو العالِم بخفايا النيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

الحمد لله حقَّ حمده، وصلى الله وسلّم على سيدنا رسول الله وعبده، محمد وعلى آله وصحبه من بعده، وبعد، فإن الله تبارك وتعالى يقول في محكم القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[2]، ويقول جلّ شأنه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[3]. ويقول عزّ من قائل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[4].

وبعد اطّلاعي على الكثير من الافتراءات والدسائس التي زُرِعَت في طيّات قصص بعض الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وحُشِيَتْ بها بطون الكتب، وذاعتْ بين كثير من أدعياء المشيخة الذين يتصدَّرون للتدريس والتأليف، عَقدتُ العزم على أن أجمع كتابًا أبيّنُ فيه بعض الدسائس المبثوثة في كتب التفاسير

---

(١) فصلت/ ٤١، ٤٢.

(٢) البقرة/ ٢١٣.

(٣) مريم/ ٥٨.

(٤) الأحزاب/ ٤٠.

وغيرها وأُنبّه على وجه فسادها لئلا يغترَّ وينخدع بها العوامّ فيهلكوا ويَضلّوا.

وأَعني بالدسائس تلك الأساطير والأحاديث المكذوبة المنقولة عن مصادر يهودية على كثرتها، أو التي دسّها زورًا بعضُ من ينتسب للإسلام أو ينسب نفسه للعلم.

ومن المعروف أن التفسير مرتبطٌ بالحديث ارتباطًا وثيقًا، إذ كان رسول الله ﷺ يفسّر لأصحابه ما خفي عليهم من كتاب ربهم، فأخذت الرواية أول شكل من أشكال التفسير، ومن ثَمَّ كان الصحابة يروون ما سمعوه وشاهدوه حتى وفاة النبيّ عليه الصلاة والسلام.

وعلى هذا النّهْج درج التابعون، ولكن لم تكن درجة الدقة والتثبت في الرواية على مستوى واحد في مراحلها المختلفة، فقد فشا الكذب في عصر التابعين وتساهل بعضهم في الرواية، ثم جاءت مرحلة التدوين. ونتيجة الانفصال الذي تمّ بين تدوين التفسير وتدوين الحديث مع حذف الأسانيد كثرت الدسائس والموضوعات - أي الأخبار المكذوبة - التي أُلصقت بالتفاسير.

ولا شك أن لهذه الترّهات والأكاذيب المفتراة أثرًا سيئًا في الكثير من كتب التفسير، إذ كانت مدخلًا لتسرّب الأباطيل والأساطير التي أدى دخولها إلى النظر بعين الشكّ والاتهام لمن قام بروايتها، كما انتهز البعض الفرصة ونسبوا هذه الأكاذيب إلى النبيّ محمد ﷺ كبعض المستشرقين الذين استغلّوا هذه المفتريات وما تعلّق بها من موضوعات للطعن في الإسلام وتصويره دينًا مليئًا بالخرافات، بل إن بعضهم قال إن محمدًا ﷺ قد أخذ دينه بالكامل عن علماء اليهود وأحبارهم والعياذ بالله، لكن ولله الحمد فقد كانت هذه الدسائس مكشوفة عند أهل العلم والفهم رغم خبث طريقة حبكها ودسّها، فلم تنل من التشريع الإسلاميّ وأحكامه، ولم تستطع أن تزعزع أركان الدين ودعائمه، لأنَّ

هذه الأمة -كما أخبر النبيُّ ﷺ- لا تجتمع على ضلالة[1].

ولأن العلم يؤخذ مشافهة وبالتلقي بقي الحفّاظ المحقّقون المدقّقون يقومون بمهمتهم في إزالة الشوائب التي كانت تطرأ من خلال العلم المسمَّى بالجرح والتعديل الذي تكون به معرفة الرواة وأحوالهم وتوثيقهم أو الطعن بهم ونحو ذلك.

وإنني أتشرَّف بإهداء هذا العمل إلى كل محبٍ للخير وأهله، ساعٍ في سبيل نشر علوم دين الله المجيد، سائلًا الله عزّ وجلَّ من فضله وجوده ومنّه وكرمه أن يجعل فيه النفع العميم، إنَّ الله على كل شيء قدير.

وما ورد من تكرار في هذا الكتاب فهو متعمد لترسيخ الأفكار، ولأن دواعيَ السياق والجمع ربَّما اقتضَتْ ذلك. كما وأرجو من كل ناصح شفيق على ديننا الحنيف إن وجد خللًا في هذا الكتاب أن يبيّن ذلك عملًا بحديث رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**» [2]رواه البخاري[3] ومسلم[4] وغيرهما .

---

(١) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، (٢/ ١٣٠٣)، رقم ٣٩٥٠.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، (١/ ٢١). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤).

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ (ت ٢٥٦ هـ)، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاريّ، و(التاريخ)، و(خلق أفعال العباد). قام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٣٤).

(٤) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١ هـ)، أبو الحسين، حافظ، من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، أشهر كتبه (صحيح مسلم) جمع فيه اثني عشر ألف حديثٍ، كتبه في خمس عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المعوّل عليهما عند أهل السنة في الحديث، وقد شرحه كثيرون. ومن كتبه: (المسند الكبير) رتَّبه على الرجال، و(الكنى والأسماء). **تذكرة الحفاظ**، الذهبيّ،=

المقدمة

اختيار الله تعالى لصفوة خلقه ليكونوا أنبياء

نحمدُ اللهَ ربَّ العالمين حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه، معترفين بعظيم فضله علينا شاكرين له تكرُّمه شكرًا يُرضيه، أن بعث فينا رسولًا من أنفسنا بدين طابت أركانه ومبانيه، فكان هذا النبيّ المكرَّم ﷺ أرجَحَنا عقلًا وحِلْمًا، وأوفرنا فهمًا وعلمًا، وأقوانا يقينًا وعزمًا، زكّاه الله روحًا وجسدًا، وحاشاه عيبًا وَوَصمًا، وآتاه قرآنًا وحُكْمًا، فتح به عيونًا عُميًا وقلوبًا غُلفًا وآذانًا صُمًّا، وكذّب به وصرف عن آياته مَنْ كَتَبَ اللهُ عليه الشقاء حتمًا، صلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد، فإنّ اعتقادنا بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وإيماننا بهم يجب أن يكون سليمًا من الكدر موافقًا لِـمَا جاء به القرآن الكريم حتى لا يحصل زيغ وشطط عن الاعتقاد الصحيح فنهلك والعياذ بالله، وقد وجبَ على المكلّفين الإيمان بالله تعالى والإيمانُ بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقَدَر خيره وشرّه، ووَجَبَ علينا معرفة صفات الأنبياء وحقوقهم، وأن نبيّن صفاتهم وخصائص دعوة التنـزيه والتوحيد التي جاؤوا بها، فيتبيّن الأثر العظيم الذي تركوه -صلوات الله وسلامه عليهم- في المجتمعات التي ولدوا فيها، وبين الأمم التي بُعِثوا إليها، ومدى التأثير في تغيير مفاهيم الشعوب وعقائدهم التي نشؤوا عليها، فقد نقل الأنبياء المبجّلون -صلوات ربي وسلامه

=(٢/ ١٥٠). **تهذيب الأسماء واللغات**، النوويّ، (١٠/ ١٢٦). **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ٢٢١، ٢٢٢).

عليهم- الشعوب من الظلمات إلى النور، وأخرجوهم من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر والشرك إلى نور الإسلام الساطع، فكانت دعوتهم عليهم الصلاة والسلام إنقاذًا للأمم من براثن الشرك والوثنية، وتطهيرًا للمجتمع من أدران الانحلال والفساد، والفوضى والاضطراب، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. أشارت هذه الآية الكريمة إلى أن الناس من أمة سيدنا آدم عليه السلام الذي هو أول البشر والأنبياء كانوا على الهدى وعلى دين الحق الذي هو الإسلام، ثم بعد وفاته عليه السلام أوحى الله تعالى إلى سيدنا شيث عليه السلام الذي تابع ما جاء به والدُه آدمُ صلّى الله عليهما وسلّم من نشر تعاليم الإسلام وتطبيقه، وبعده جاء سيدنا إدريس عليه السلام، ولم يكن إلى ذلك الحين قد حصل كفر بين البشر، بل كانوا كلهم مؤمنين مسلمين، ثم جاء الشيطان إبليس وزيّن لبعض الناس صنع تماثيل على هيئة بعض الصالحين من أمة إدريس وذلك بعد موته عليه السلام، وتعاقبت الأجيال[2] واحدًا تلو الآخر وكلٌّ يسأل من قبله عنها، حتى جاء جيل عبدوها من دون الله والعياذ بالله تعالى، فبعث الله تعالى النبيين مبشرين مَنْ آمن وأسلم ونزّه ووحّد بالجنة، ومنذرين مَنْ كفر وعتا وتجنّب طريق الحق بالنار، فكان سيدنا نوح عليه السلام أول نبيّ أرسل إلى الكفار الذين أفسدوا في الأرض، وحادوا عن الطريق القويم، وقد روي عن ابن عباس[3] رضي الله عنهما أنه قال: «كان بين آدم ونوح

(١) البقرة/ ٢١٣.

(٢) «الجيل: كلُّ صنف من الناس»اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: ج ي ل، (١١/ ١٣٤).

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشيّ الهاشميّ (ت ٦٨ هـ)، أبو العباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث، وفي الصحيح عنه أن النبي ﷺ ضمّه إليه=

عشرة قرون، كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله النبيين والمرسلين»[1].

كل الأنبياء مسلمون

روى البخاريّ ومسلم وأحمد[2] وابن حبّان[3] وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لِعلَّات، دينهم واحد وأمهاتهم شتّى**»[4]، والإخوة لعلّات هم مَنْ والدهم واحد وأمهاتهم مختلفات، والمعنى أن الأنبياء كلهم على دين واحد وهو دين الإسلام، فكلّهم دعَوْا إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به

=وقال: اللهم علّمه الحكمة وفي معجم البغوي: اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل، قال ابن منده: كان أبيض طويلًا مشربًا صفرة جسيمًا وسيمًا صبيح الوجه، له وفرة يخضب بالحناء، نشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه. له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثًا. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، (٢/ ٣٣٠). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٩٥).

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٣/ ٣٠).

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانيّ المروزيّ (ت ٢٤١ هـ)، أبو عبد الله، من كبار حفّاظ الحديث، قيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من أصحاب الإمام الشافعيّ رضي الله تعالى عنهما وخواصه، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعيّ إلى مصر، وقال في حقه: «خرجت من بغداد وما خلّفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل»اهـ. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (١/ ٦٣، ٦٤).

(٣) محمد بن حبان التميميّ، أبو حاتم البستيّ، ويقال ابن حبان، (ت ٣٥٤هـ)، حافظ محدّث مؤرخ علامة. وهو أحد المكثرين من التصنيف. قال ياقوت: «أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره»اهـ. من كتبه: (المسند الصحيح) في الحديث، و(روضة العقلاء) في الأدب، و(الثقات). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٧٨).

(٤) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴿١٦﴾﴾ [مريم] (٤/ ٢٠٣)، رقم ٣٤٤٣. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (٧/ ٩٦)، رقم ٦٢٨٠، واللفظ للبخاريّ. **مسند أحمد**، أحمد، باب مسند أبي هريرة، (٢/ ٤٠٦)، رقم ٩٢٥٩. **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ذكر الإخبار عن وصف الأمن الذي يكون في الناس بعد قتل ابنِ مريم الدجالَ، (١٥/ ٢٢٥)، رقم ٦٨١٤.

شيئًا والتصديق بأنبيائه، ولكن شرائعهم مختلفة أي الأحكام التي نزلت عليهم تختلف، قال الحافظ ابن حجر[1]: «إنّ أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع»[2]اهـ. ومثال ذلك أنه كان جائزًا في شرع آدم أن يتزوّج الأخ من أخته إن لم تكن توأمًا له فإنّ حوّاء رضي الله عنها ولدت أربعين بطنًا، في كل بطن ذكر وأنثى إلا بطنًا واحدًا حملت به سيدنا شيثًا عليه السلام ، وكان حرامًا أن يتزوّج الأخ بأخته التي هي توأمته ويجوز له التزوّج بأخته غير التوأم، ثم نسخ الله تعالى هذا الحكم بعد موت آدم عليه السلام، وحرّم زواج الأخ بأخته مطلقًا سواءٌ كانت توأمًا له أم لم تكن. وكذلك كان مفروضًا في شرائع أنبياء بني إسرائيل كموسى عليه السلام صلاتان في اليوم والليلة، وفي شرع نبيّنا محمد ﷺ خمس صلوات.

وأوضح ربّ العزّة عزّ وجلّ الغاية من بعثه الرسل الكرام عليهم السلام فقال: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[3].

كما جعل أنبياءه عليهم السلام منقذين للناس من ظلمات الجهل والضلالة فقال: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ

(١) أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر. أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفًا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين. أما تصانيفه فكثيرة، منها: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، و(لسان الميزان)، و(الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام)، و(الإصابة في تمييز أسماء الصحابة)، و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري). **الأعلام**، الزركلي، (١/ ١٧٨، ١٧٩).

(٢) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلانيّ، (٦/ ٤٨٩).

(٣) النساء/ ١٦٥.

شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾[1].

إنّ صلاح القلوب هو أن تكون عارفة بربها الخالق، مؤمنة ومصدقة بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأحكامه وأوامره، وأن تكون مُؤْثِرَةً لمرضاته وما يحب، مجتنبة لمناهيه ومساخطه، فتعلم ما تقتضيه الضرورة من معرفة الرسول المبعوث وما جاء به، وتُصَدّقُه في ما أخبر به عنه، وتطيعه في ما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا باتّباع الرسل والأنبياء الكرام، وباتّباعهم يتميّز أهلُ الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، فأيّ حاجة وضرورة تصوَّرْتَها فاعلمْ أنَّ ضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك إذا فقد الإنسان هدْيَه طرفة عين، لا شك سيفسد قلبُه ويحلّ به الألم والعذاب، وإذا كان هذا عمل الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام وتلك وظيفتهم، فإنه لا يتم الغرض منها ولا تتحقّق على تمام وجهها إلا إذا كانوا من الكمال وعلوّ المنزلة وسموّ المقام في نفوس الناس بالدرجة التي تجعلهم أهلًا لأن يُقْتَدَى بهم في أعمالهم وسيرهم، ويُلتزَم ما يبلّغون عن الله تعالى من الشرائع والأحكام والآداب، وبأن يكونوا سفراءَه إلى خلقه، وحَمَلَةَ الأمانة العظمى إلى عباده، والمبلّغين عنه سبحانه الأوامر الإلهية الكريمة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[2]، فلا غروَ[3] أن كانوا -مِنْ أجل هذا، ومِنْ أجل أكثر مما ذكرنا- صفوة خلق الله، يقول عزَّ من قائل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[4].

وقال ربنا سبحانه وتعالى بعد ذكره عددًا من الأنبياء الكرام عليهم السلام:

---

(١) إبراهيم/ ٥.

(٢) الحج/ ٧٥.

(٣) «لا غرو أي لا عجب»اهـ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة: غ ر و، (ص٤٧١).

(٤) الأنعام/ ٩٠.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1]، فجلَّ الله وتعالى أن يضع تلك الإمامةَ العظمى في غير موضعها، وأن يلقي بأعبائها على من لا يليق لها ولا يستأهلها، وألَّا يجعل حجته البالغة إلا في من يكون أَوْلى بها، فإنه العليم الخبير العزيز الحكيم.

كل الأنبياء معصومون

مما لا يشكّ فيه عاقل أن الله تعالى العظيمَ الحكيمَ محال أن يتخذ رسولًا ويجعله رجلًا تزدريه الأعين وتحقره القلوب، يُسَلّط بسوء أخلاقه وحقارة نفسه وصغر همته ألسنةَ الناس عليه بالطعن والإزراء[2]، فكيف يَتأَتّى لمثل هذا المهان المرذول أن يكون قدوةً في مكارم الأخلاق، وإمامًا يهدي الناس إلى صراط ربهم العزيز الحميد، فحاشى لله الحكيم أن يُرسل رجلًا متهمًا في نسبه، أو ناقصًا مشوَّهًا في خلقه وجسمه ويجعل منه داعيًا إليه بإذنه، ذلك أن الدعوة تتطلّب أن تكون للداعي مهابةٌ في النفوس، وإجلالٌ في القلوب، ومنزلةٌ كريمة عند الناس، وظهورٌ لكماله الخُلُقيّ والخَلْقِيّ بحيث تنجذب إليه أصحاب الفِطَر السليمة والقلوب المستقيمة.

ومِنْ أَجل هذا بعث الله تعالى أنبياءَهُ عليهم السلام من أحسن قومهم نسبًا، وبرّأهم من العيوب الجسمية المشوّهة، وأعطاهم أكمل صفات الرجولة من الشجاعة وصدق العزيمة، وقوة الإرادة وشدّة البأس، وسعة الصدر وحِدّة الذهن، وذكاء القلب وطلاقة اللسان، وحلاوة المنطق، وما إلى ذلك مما يكون به المختار لرسالة ربه أكمل الرجال في قومه وقبيلته وأملأهم للأسماع والأبصار.

---

(١) الأنبياء/ ٧٣.

(٢) «الإزراء: التهاون بالشيء»اهـ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة: ز ر ي، (ص٢٨٩).

وكان من بينهم صفوتُهم وأفضلهم وأكملهم سيدنا **محمد** ﷺ الذي أنشأه الله أطيب نشأة وأزكاها وأطهرها وأبرأها وأبعدها من كل نقيصة أو دَنِيَّة، حتى كان ﷺ زينة المجالس في قومه، ومرجع الأحكام، وموئل الكرم ومثال عزّة النفس، بل كان موضع سرّهم، وما كان يُدْعَى بينهم إلا بالصادق الأمين عليه الصلاة والسلام، فقد قالت له السيدة خديجة[1] قدّس الله سرّها العزيز حين جاءه الوحي أول مرّة: «إن الله لا يخزيك أبدًا، إنك لتحمل الكَلَّ[2]، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»[3] اهـ.

وفي بيان سلامة الأنبياء وصيانتهم من المعايب والمنفّرات يقول الحافظ النوويّ[4] في شرح حديث مسلم[5] في الكلام على حديث ضرب سيدنا موسى عليه السلام للحجر حين عدا بثوبه: «قال رسول الله ﷺ: **كانت بنو إسرائيل**

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب. زوج النبي وكانت قبله عند أبي هالة واسمه زرارة بن النباش الأسديّ، وكانت قبله عند عتيق بن عائذ، وولدت منه غلامًا اسمه عبد مناف. وولدت من أبي هالة هندَ بن أبي هالة، وعاش إلى زمن الطاعون فمات فيه. ولم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة غيرها حتى ماتت. وهي أول امرأة آمنت به. وجميع أولاده منها غير إبراهيم. قال حكيم بن حزام:« توفيت خديجة فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون»اهـ. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٤/ ١٦٤).

(٢) «الكَلّ الثقيل، والكلّ أيضًا اليتيم والذي لا ولد له ولا والد»اهـ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة: ك ل ل، (ص ٥٨٦).

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب بدء الوحي، (١/ ٣)، رقم ٣. **عيون الأثر**، ابن سيد الناس، (١/ ١١٤، ١١٥).

(٤) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزاميّ الحورانيّ، النوويّ، الشافعيّ (ت٦٧٦ هـ)، أبو زكريا، محيي الدين، علّامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية)، من كتبه: (تهذيب الأسماء واللغات)، و(منهاج الطالبين)، و(حلية الأبرار) ويعرف بـ(الأذكار النووية)، و(رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين). **الأعلام**، الزركلي، (٨/ ١٤٨).

(٥) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام، (٧/ ٩٩)، رقم ٦٢٩٥.

يغتسلون عُراة ينظر بعضهم إلى سَوْءَة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر[١]. قال: **فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرَّ الحجر بثوبه** -قال- **فجمح موسى بأثره يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى**[٢]**، فقالوا: والله ما بموسى من بأس. فقام الحجر بعد حتى نظر إليه فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا**». قال أبو هريرة: «والله إنه بالحجر ندب ستة أو سبعة ضرب موسى عليه السلام بالحجر» ما نصه: «ومن فوائد هذا الحديث ما قاله القاضي عياض[٣] وغيره: إن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منـزّهون عن النقائص في الخَلْق والخُلُق، سالمون من العاهات والمعايب، قالوا: ولا التفات إلى ما قاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ في إضافة بعض العاهات إلى بعضهم، بل نزّههم الله من كلّ عيب وكل شيء يبغّض العيون أو ينفّر القلوب»[٤]اهـ.

ولقد قصّ الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم المنـزّل على خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ من نبأ أولئك الأنبياء ما أبان عن جليل قَدْرهم، وسامي مكانتهم، وشريف مواقفهم في الذَّبّ عن دين الله الحق، والصبر على ما لَقُوا من أقوامهم من أذى لا يصبر عليه ولا يطيقه إلا الـمُؤَيَّدون الصادقون، فحلّوا من نفس رسول الله عليه الصلاة والسلام ونفوس أصحابه الكرام وأتباعهم العظام أكرم منـزلة وأسمى

(١) الآدر من أصيب بالأُدرة، قال الزبيدي: «الأُدرة بالضم مرضٌ تنتفخ منه الخصيتان ويكبران جدًّا» اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ مادة: أ د ر، (١٠/ ٤٠). وهذا لا يليق بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

(٢) سيدنا موسى عليه السلام لم يتعمّد أن يظهر أمامهم بلا ثياب.

(٣) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبيّ السبتيّ (ت٥٤٤ هـ)، أبو الفضل، من علماء المغرب، من تصانيفه: (مشارق الأنوار)، و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك)، و(شرح صحيح مسلم). **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٩٩).

(٤) **المنهاج في شرح صحيح مسلم**، النوويّ، باب من فضائل موسى ﷺ، (٧/ ٩٩)، رقم ٦٢٩٥.

مكانة، وكانت لهم بهم أحسن قدوة.

وأما أصحاب القلوب السقيمة من بعض المتأخرين فقد فتح عليهم الشيطان بابًا واسعًا من فنون الجدل وكثرة القيل والقال، والمماحكات[1] اللفظية، وكذلك أهل الكتاب من اليهود الذين هم أشدّ الناس كراهية للأنبياء وتحقيرًا لهم ومشاقة لهم وكفرًا بهم وتقتيلًا، وغيرهم من الضالين كالفلاسفة كإرسطو وإخوانه الذين كانوا يعبدون الأصنام ويكفرون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلمَّا فتح الشيطان هذا الباب وأُسقمت القلوب بهذه العلل، جرّهم ذلك إلى مناقشة القصص القرآنيّ مناقشات بعيدة عن الهدى والصواب، وخاضوا في ما لم يخض فيه الأنبياء وأتباعهم، وأخذوا يتخبّطون في سبيلهم تخبُّط الأعمى الأصمّ على غير هدى ولا نور، فضلُّوا وأضلّوا، أخزاهم الله، ويبقى كلام رسول الله ﷺ دواءً لهذا الداء، فهو الذي يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لِـمَا جئتُ به**»[2].

كما أنَّه قد غلا البعض ممن ادّعى الإسلام في وصف من ألصقوا أنفسهم بهم من أئمة أعلام، إذ نسبوا إليهم -جهلًا وغلوًّا- صفات الأنبياء الكرام، وزعموا العصمة لأئمتهم كعصمة الأنبياء أو أعظم، فضلّوا وهلكوا، فإنه من المقرَّر في الشريعة الغرَّاء أنَّ الأنبياء لا يشاركهم أحد في الرتبة وعلو القدر، كما نصَّ على ذلك أئمة التوحيد كالإمام النسفي[3] رحمه الله حيث قال في عقائده: «ولا يبلغ

(١) «مَحَكَ، كمَنَعَ يَمْحَكُ محكًا: لَجَّ في الأَمر فهو مَحِكٌ، والمحْكُ: المشارَّةُ والمنازَعَةُ في الكَلامِ»اهـ.**تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: م ح ك، (٢٧/ ٣٢٩).

(٢) **الأربعون النووية**، النوويّ، الحديث ٤١، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. **فتح الباري**، ابن حجر، (١٣/ ٢٨٩).

(٣)عمر بن محمد بن أحمد أبو حفص نجم الدين النسفي، عالم بالتفسير والأدب والتاريخ، من فقهاء الحنفية، ولد بنسف وإليها نسبته، وتوفي بسمرقند، قيل: له نحو مائة مصنف، منها: (التيسير في التفسير)، و(تاريخ بخارى)، و(طلبة الطلبة) في الاصطلاحات الفقهية، و(العقائد) ويُعرف بعقائد النسفي، (توفي سنة ٥٣٧هـ.) **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٦).

وليٌّ درجة الأنبياء»اهـ. وكذا قال التفتازاني[1] في المقاصد: «لا يبلغ الولي درجة النبي[2]»اهـ.

ومن المقرَّر أيضًا أنَّ الأنبياء معصومون من الكُفر[3] والكبائر وصغائر الخسَّة قبل النبوَّة وبعدها، قال الشيخ التلمسانيّ[4] ما نصُّه: «لا يجوز عليهم -أي الأنبياء- الكبيرة ألبتة، ويجوز تعمد الصغيرة بشرط عدم الإصرار، ولا يجوز منهم صغيرة تدل على خساسة النفس ودناءة الهمة كتطفيف[5] حبة وسرقة باقة بقل»[6]اهـ.

والواجب أن يُحفظ للأنبياء الكرام هذا المقام، وأن يُنَـزَّهوا عن مدّ الألسن إليهم بالنقد والاتهام، غير أن نفوسًا قد غلبها الفسق والكفر والضلال، تطاولتْ وتجرَّأتْ من خبثها ووقاحتها إلى أَنْ رَمَت الأنبياء عليهم السلام بالعيب والتهم، فلم تدع نبيًّا -إلا ما ندر- لم ترمه بدعوى العيب والإثم، تريد بذلك انتقاصَهم، والحطّ من أقدارهم، بل والطعن في القرآن الكريم الذي بَيَّنَ أحوالهم، فكان

(١) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، سعد الدين، من أئمة العربية والبيان. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس. من كتبه: (المطول) في البلاغة، و(المختصر). **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ٢١٩).

(٢)**شرح المقاصد**، التفتازاني، (٥/ ٧٧).

(٣)**المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية**، الهرري، (ص ٢١٤).

(٤) عبد الله بن محمد بن أحمد التلمساني، ابن الشريف (ت٧٩٢هـ)، من علماء المالكية. اشتهر في تلمسان. صنف كتبًا منها: (شرح معالم أصول الدين)، و(شرح لمع الأدلة) للجويني. **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ١٢٧).

(٥) «طَفَّفَ: نَقَصَ المِكْيالَ»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: ط ف ف، (١/ ١٩٧٦). وقال الزبيدي:«المطَفِّفُون: الذين يَنْقُصُونَ المِكْيالَ والمِيزانَ، وإنما قِيلَ للفاعِلِ: مُطَفِّفٌ، لأَنه لا يكادُ يَسْرِقُ في المِكْيالِ والمِيزانِ إلا الشيءَ الخَفِيفَ الطَّفِيفَ»اهـ **تاج العَروس**، الزبيديّ، (٢٤/ ٩٤).

(٦) **شرح لمع الأدلة**، التلمسانيّ، (ص ١٩٧).

الذبُّ عن أنبياء الله عزَّ وجلَّ واجبًا، صونًا لدين الله، وحفظًا لحق أنبيائه الكرام عليهم السلام.

وسيتضمّن هذا الكتاب إن شاء الله العديد من الفصول والأبواب، أبتدئ بها ببيان معنى النبوّة ومقام الأنبياء عليهم السلام، والفرق بين النبيّ والرسول، والتعريف بالمعجزات التي هي سبيل إلى معرفة صدق النبيّ، ثم بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام والصفات الواجبة لهم والصفات المستحيلة في حقّهم، وبيان عددهم عليهم السلام، ثم أشرع بعدها في الردّ المباشر على القصص والحكايات المفتراة على أنبياء الله تعالى صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

الباب الأول: النبوة والأنبياء عليهم السلام

الفصل الأول:
في بيان مقام النبوة وخصائصه الشريفة

قال شيخ الإسلام المحدّث عبد الله الهرريّ[1] رحمه الله في بيان ماهيَّة (النبوَّة) وكيفيَّة اشتقاقها: «اشتقاقها من النبأ أي الخبر، لأن النبوة إخبار عن الله تعالى، أو من النَّبْوَة وهي الرِفعة، فالنبيّ على الأول فَعِيل بمعنى فاعل لأنه يخبر عن الله بما يوحَى إليه، أو فعيل بمعنى مفعول أي مُخْبَر عن الله أي يخبره الملَك عن الله سبحانه»[2]اهـ.

والنبوّة جائزة عقلًا ليست مستحيلة، وهي هبة ربانية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختصّ بها من يريد من خلقه، وهي لا تُدْرَكُ بالجِدّ والتعب، ولا تُنَال بكثرة الطاعة والعبادة والاجتهاد، وإنما هي بمحض الفضل الإلهيّ كما قال سبحانه: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[3].

---

(١) عبد الله بن محمد بن يوسف الهرريّ الشيبيّ العبدري (ت ١٤٢٩هـ)، مفتي هرر ومحدث الديار الشامية، خليفة الشيخ بدر الدين الحسني، أَوْلى علمَ الحديث اهتمامه قراءةً ودرايةً للكتب الستة وغيرها، وأُجيز بالفتوى ورواية الحديث وهو دون الثامنة عشر، تلقى العلم عن كبار العلماء في عصره في الدول الإسلامية، وعمل على نشر العلوم النافعة في كثير من دول الأرض حيث حلّ، عمل على إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل الإلحاد وقمع فتن أهل البدع والأهواء، ترك مصنفات كثيرة منها: (شرح ألفية السيوطيّ في مصطلح الحديث)، و(الصراط المستقيم)، و(الدليل القويم)، و(إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية)، و(المقالات السنية في الرد على ابن تيمية). **الدليل القويم**، عبد الله الهرري، (ص٦، ٧).

(٢) **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرريّ، (ص٣١٩).

(٣) آل عمران/ ٧٤.

فهي إذًا اصطفاء واختيار، ولا تكون إلا لمن اختاره الله تبارك وتعالى لها، ممن هم أهل لحملها، لأنها حِمْل شديد وتكليف عظيم، لا يقدر عليه إلا أولو العزم والحزم من الرجال. كما قال تعالى لنبيّه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾[1].

وحين اعترض المشركون من كفار قريش على رسالة نبيّنا محمد ﷺ وأنكروا ذلك مستغربين أن تنـزل الرسالة على شخص كان يتيمًا فقيرًا، لا يملك من أسباب القوة والغنى شيئًا على ما يَرَوْنَ، وليس له من مظاهر السلطان والملك ما يجعله في نظرهم عظيمًا، وحين رأَوْا بنظرهم القاصر أن النبوّة ينبغي أن تكون لغنيّ عظيم شريف من السادة والزعماء، من أشراف قريش وعظمائها، ومن ساداتها ووجهائها، جاء الردّ الإلهيّ الزاجر، فذكر الله تعالى شبهتهم وردّ عليهم فقال: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[2]، فالآيتان الكريمتان ردّتا على المشركين سخافتهم وحماقتهم حين زعموا أن النبوة لا تليق إلا برجل من الأغنياء المشهورين، لا بإنسان فقير كان يتيمًا. إنما النبوة اختيار، يختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل خلقه -على حسب علمه الأزلي- والله تعالى حكيم لا يضع

---

(١) المزمل/ ٥. قال أبو حيان الأندلسيّ: «﴿ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ هو القرآن، وثقله بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقة كالجهاد ومداومة الأعمال الصالحة. وقال أبو العالية والقرطبيّ: ثقله على الكفار والمنافقين بإعجازه ووعيده. وقيل: ثقله ما كان يحلّ بجسمه ﷺ حالة تلقيه الوحي، حتى كانت ناقته تبرك به ذلك الوقت، وحتى كادت رأسه الكريمة أن ترضّ فخذ زيد بن ثابت. وقيل: كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف. قال ابن عباس: كلامًا عظيمًا. وقيل: ثقيل في الميزان يوم القيامة، وهو إشارة إلى العمل به. وقيل: كناية عن بقائه على وجه الدهر، لأن الثقيل من شأنه أن يبقى في مكانه» اهـ. **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، (١٠/ ٣١٤).

(٢) الزخرف، ٣١، ٣٢.

الأمور في غير مواضعها، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، وإذا كانت النبوة أعظم شأنًا من المال والجاه والسلطان، وكان الله قد قسم لكل إنسان رزقه، ولكلّ مخلوق حظّه من المال والرزق، فكيف يترك الأمر الجليل العظيم وهو الرسالة والنبوة إلى أهواء الناس ورغباتهم؟ وهذا هو السر الدقيق في التعبير بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، فالذي وهب الرزق سبحانه وتعالى هو الذي وهب النبوة.

ثم إنَّ النبوة لا تكون بالإرث، فولد النبي لا يكون نبيًّا بطريق الإرث عن أبيه، بل هي بمحض الفضل الإلهيّ كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

النبوة لا تعطى لكافر

وكذلك النبوة لا تُعطى لكافر أبدًا، وإنَّما تُعطى للمؤمن الذي يختاره الله تعالى ويصطفيه بمحض كرمه، بخلاف السلطان والملك فقد يُعطى لغير المؤمن، قال الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4]، وقال عن نمرود الذي ادّعى الألوهية في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

---

(١) الأنعام/ ١٢٤.

(٢) الزخرف/ ٣٢.

(٣) الدخان/ ٣٢.

(٤) الزخرف/ ٥١.

(٥) البقرة/ ٢٥٨.

النبوة خاصة بالرجال

والنبوة منصب خاصّ بالرجال، ولا يكون للنساء أبدًا[(١)]، وذكر النوويّ في الأذكارعن إمام الحرمين أنه نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، ونسبه في شرح «المهذب» لجماعة[(٢)]، وجاء عن الحسن البصريّ[(٣)]: «ليس في النساء نبية ولا في الجن»[(٤)]اهـ.

والحكمة من تخصيص الرجال بالنبوة دون النساء أن النبوة حِمْل ثقيل، وتكليف كبير لا تتحمّله طبيعة المرأة الضعيفة، لأنه يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، ولهذا كان جميع الرسل ما عدا آدم وشيئًا وإدريس عليهم السلام في محنة قاسية مع أقوامهم، وابتُلوا ابتلاء شديدًا في سبيل تبليغ دعوة الإسلام بدليل: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[(٥)]، والدليل على أن النبوة خاصة بالرجال قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ

---

(١) ما يقوله بعضهم: من أن النبوة قد تكون في النساء مستدلّا بقول الله: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ ٧ ﴾ (القصص)، فإنه استدلال في غير محله؛ لأن الوحي هنا ليس بإنزال مَلَك وإنما هو بطريق الإلهام، فقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه أوحى إلى النحل قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ﴾ (النحل)، ولا قائل بأنَّ النحل قد نبّأه الله تعالى في القرآن الكريم لمجرَّد إسناد الإيحاء إليه فتأمَّل.

(٢) **الأذكار**، النووي، (ص١٣٠).

(٣) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري. ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، واسم أمه: خيرة. دعا له عمر رضي الله عنه فقال: «اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس»اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، (٤/ ٥٦٦).

(٤) **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٤٧١).

(٥) الأحقاف/ ٣٥.

﴿لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1]. قال الطبريّ[2]: «يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ﴾ يا محمد إلى أمة من الأمم للدعاء إلى توحيدنا والانتهاء إلى أمرنا ونهينا ﴿إِلَّا رِجَالًا ﴾ من بني آدم نوحي إليهم وَحْيَنا لا ملائكة، يقول: فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قَبلهم من الأمم من جنسهم وعلى منهاجهم»[3]اهـ.

وقال القرطبيّ[4]: «هذا رد عليهم في قولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ٣﴾[5] وتأنيس لنبيه، أي لم يرسل قبلك إلا رجالًا. ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ يريد أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا بالنبي ﷺ، قاله سفيان[6]، وسمَّـاهم أهل الذكر لأنهم كانوا يذكرون خبر الأنبياء مما لم تعرفه العرب ، وكان كفار قريش يراجعون أهل الكتاب في أمر محمد ﷺ، وقال ابن

(١) النحل/ ٤٣.

(٢) الطبريّ هو محمد بن جرير بن يزيد الآمليّ (ت ٣١٠ هـ)، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. له: (أخبار الرسل والملوك) ويعرف بتاريخ الطبريّ، و(اختلاف الفقهاء)، و(المسترشد)، وجزء في الاعتقاد، والقراءات وغير ذلك. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٦٩).

(٣) **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبريّ، (١٧/ ٢٠٧).

(٤) القرطبيّ هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاريّ الخزرجيّ الأندلسيّ (ت ٦٧١ هـ)، أبو عبد الله، من مشاهير المفسرين رحل إلى الشرق واستقر بمصر وتوفي فيها. من كتبه: (الجامع لأحكام القرآن)، و(قمع الحرص بالزهد والقناعة)، و(الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)، و(التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)، وكان عالـمًا ورعًا متعبدًا. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٣٢٢).

(٥) الأنبياء/ ٣.

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١هـ)، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى. وخرج من الكوفة سنة ١٤١هـ، فسكن مكة والمدينة. من كتبه: (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) كلاهما في الحديث. **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ١٠٤).

زيد: أراد بالذكر القرآن، أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن»[١]اهـ.

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ۝١٠٩﴾[٢]«هذا رد على القائلين: لولا أنزل عليه ملك، أي أرسلنا رجالًا ليس فيهم امرأة ولا جنيّ ولا مَلَك»[٣]اهـ.

وقال أبو حيان[٤]: «هو نفي عام في الأزمان أنه لم يكن منهم -أي من رسل الله إلى الأرض- ولا في وقت من الأوقات ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾ حصر في الرسل دعاة إلى الله، فلا يكون مَلَكًا. وهذا ردّ على من قال: ﴿لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ ۝١٤﴾[٥]، وكذلك قال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ۝٩﴾[٦]، وقال ابن عباس:

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١١/ ٢٧٢).

(٢) يوسف/ ١٠٩.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٩/ ٢٧٤).

(٤) أبو حيان هو محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الغرناطيّ الأندلسيّ الجيانيّ، أثير الدين، (ت ٧٤٥ هـ)، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. من كتبه: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و(النهر المادّ) اختصر به البحر المحيط، و(إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب). **بغية الوعاة**، السيوطيّ، (ص ١٢١). **فوات الوفيات**، الكتبيّ، (٢/ ٢٨٢).

(٥) فصلت/ ١٤.

(٦) الأنعام/ ٩.

يعني رجالًا لا نساءً، فالرسول لا يكون امرأة»[1]اهـ.

الفرق بين النبيّ والرسول

إنَّ معرفةَ النبيّ والرسول والتمييزَ بينهما من مُهمّات الدين، كيف لا وطريق معرفتهم هو طريق لمعرفة ما جاؤوا به وبلّغوه عن الله، فكان من الضروريّ التنبيه على ذلك، خاصة أنَّه قد اشتبه هذا الأمر على كثير من المتأخرين في الشروحات والحواشي، فلم يُحقّقُوا هذه المسألة، فإذا عرفت هذا نقول:

يشترك كلٌّ من الرسول والنبيّ في الوحي، فكلٌّ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للناس، غير أن الرسول يوحى إليه بنسخ بعض شرع من قبله، أي بنسخ بعض الأحكام التي كانت في زمن الرسول الذي قبله، أو بشرع جديد أي بأحكام لم تُنْزَل على من قبله من الأنبياء.

أما النبيّ غير الرسول فإنه يوحى إليه ليبلّغ شرع الرسول الذي قبله. وقد خفي هذا على كثير من الناس فغلطوا في هذا التعريف وادَّعوا أن النبيَّ أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهذا الكلام لا يليق بمقام النبوة، فإن كل أنبياء الله مأمورون بالتبليغ، وكلهم أدّوا ما أُمروا به.

قال الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميميّ البغداديّ[2] في أصول

---

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٦/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغداديّ التميميّ الأسفرايينيّ (ت ٤٢٩ هـ)، أبو منصور، عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. وفارقها على أثر فتنة التركمان، قال السبكي: «ومن خراب نيسابور اضطرار مثله إلى مفارقتها»اهـ. ومات في أسفرائين. كان يدرس في سبعة عشر فنًّا. من تصانيفه: (أصول الدين)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(الفرق بين الفرق). **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، (٥/ ١٣٧). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٤٨).

الدين ما نصه: «والفرق بينهما -أي النبيّ والرسول- أن النبيَّ من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو ينسخ بعض أحكام شريعة قبله»[١]اهـ.

قال المفسر ناصر الدين البيضاويّ[٢] في تفسيره ما نصه: «الرسول مَنْ بعثه الله بشريعة مجدّدَة يدعو الناس إليها، والنبيّ يعمُّه ومَن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام»[٣]اهـ.

وقال العلامة كمال الدين البياضيّ الحنفيّ[٤] في إشارات المرام ما نصه: «فالنبيّ إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه، وكذا الرسول، فهو المراد هنا، ولذا اقتصر على الأنبياء»[٥]اهـ. وقال في موضع آخر من كتابه المذكور: «الثالثة: أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ، والنبيّ من لم يأت به وإن أُمِرَ بالإبلاغ كما في شرح التأويلات الماتريدية»، إلى أن قال: «واختاره المحققون وصرّح به البيضاويّ في سورة الحج»[٦]اهـ.

---

(١) **أصول الدين**، أبو منصور التميميّ البغداديّ، (ص ١٥٤).

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن عليّ الشيرازيّ، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاويّ (ت ٦٨٥ هـ)، قاض مفسر. ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، و(منهاج الوصول إلى علم الأصول)، و(لب اللباب في علم الإعراب). **بغية الوعاة**، السيوطيّ، (ص ٢٨٦). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ١١٠).

(٣) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاويّ، (٤/ ٥٧).

(٤) أحمد بن حسن بن سنان الدين (ت ١٠٩٨ هـ)، قاض فاضل، بوسنويّ الأصل. ولد في إستانبول وأخذ عن علمائها، وولي قضاء حلب، ثم بروسه ثم مكة فإستانبول، وتوفي في قرية قريبة منها. له تآليف بالعربية، منها: (إشارات المرام من عبارات الإمام) في فقه الحنفية، و(سوانح العلوم)، و(الفقه الأبسط). **الأعلام**، الزركلي، (١/ ١١٢).

(٥) **إشارات المرام من عبارات الإمام**، البياضيّ، (ص٣١١).

(٦) **إشارات المرام من عبارات الإمام**، البياضيّ، (ص٣٣٣).

وقال الشيخ أحمد الغماريّ[1] ما نصه: «الفرق بين النبيّ والرسول دقيق وقد خفي على كثير من الناس، والمشهور في كتب المتكلمين في الفرق بينهما أن الرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبيّ إنسان أوحي إليه بشرع فلم يؤمر بتبليغه، وهذا كلام جاهل بالسنة والأخبار بل وبصريح القرآن، فإن قول الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢** ﴾[2] صريح في إرسالهما حقًّا، وكذلك قول النبيّ ﷺ: «**وكان النبيّ يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[3]، والأخبار والأحاديث التي فيها: «فأوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه أن قل لفلان العابد أو للملك الفلانيّ أو للقرية الفلانية» لا تكاد تنحصر، وهذا هو الإرسال، والذي عندنا أن الرسول يفارق النبيّ في ثلاثة أمور». ثم قال: «الثالثة: أن الرسول يبعث بشريعة مستقلة والنبيّ يبعث بتقرير شريعة من قبله»[4]اهـ.

ومما يدل على ذلك أيضًا قولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٍ**

(١) أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد، أبو الفيض الغماريّ الحسنيّ الأزهريّ (ت ١٣٨٠هـ)، مغربيّ من نزلاء طنجة. تعلم في الأزهر، واستقر وتوفي بالقاهرة. عرف بابن الصديق كأبيه. له كتب منها: (رياض التنزيه في فضل القرآن وحامليه)، و(المعجم الوجيز للمستجيز). **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٢٥٣).

(٢) الحج/ ٥٢.

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبيّ ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»، ١/ ١١٩، رقم ٣٢٨. ومتن الحديث: «عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**أُعطيتُ خمسًا لم يعطهنَّ أحد قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أُمّتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأُحِلّت لي المغانم ولم تحلَّ لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبيّ يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة**»اهـ.

(٤) **جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار**، الغماريّ، (ص٤٠، ٤١).

﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾[1]، أليس هذا الإرسال المذكور في هذه الآية هو إرسال تبليغ ودعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى؟ وكيف يوفق بين هذه الآية وبين قولهم: «إن النبيّ أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه»؟ والله عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[3]. فإن الوصف بـ (النذير) في الآية الأولى يقتضي المبالغة في الإنذار وهذا شأن من يُبلّغ العباد أمور الدين حيث يدعوهم إلى الإسلام ويخوّفهم العذاب المقيم مرةً بعد مرة، وذكر الاستهزاء من المشركين في الآية الثانية يفهم منه أنه كان مسبوقًا بدعوة تبليغ من النبيّ وإلا فما وجه الاستهزاء حينئذ، إنه استهزاء عناد ومكابرة بعد أن بُلّغوا وأُمروا بعبادةِ الواحد القهّار وتركِ ما هم عليه من الشرك.

وقال القونوي النسفيّ[4] ما نصه: «والفرق بين النبيّ والرسول أن الرسول مَن بعثه الله تعالى إلى قوم وأنزل عليه كتابًا أو لم ينـزل لكن أمره بحكم لم يكن ذلك الحكم في دين الرسول الذي كان قبله، والنبيّ من لم ينزل عليه كتابًا ولم يأمره بحكم جديد، بل أمره بأن يدعو الناس إلى دين الرسول الذي كان قبله»[5]اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾

(١) الأعراف/ ٩٤.

(٢) سبأ/ ٣٤.

(٣) الزخرف/ ٦، ٧.

(٤) محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوي، أبو الثناء، جمال الدين (ت٧٧٧هـ)، قاض من فقهاء الحنفية. له مشاركة في العلوم العقلية. من أهل دمشق. ولي قضاءها. من كتبه: (بغية القنية) في الفقه، و(المنتهى) في شرح المغني في الأصول، و(الزبدة شرح العمدة) في أصول الدين. **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ١٦٢).

(٥) **القلائد شرح العقائد**، القونوي، (ص ٣٤)، مخطوط.

الآية[1]، فالله تعالى قال: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، ثم في قوله سبحانه: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إطلاق الإرسال على النبيّ والرسول، ويكفي هذا دليلًا على أن النبيّ يبلّغ، وعلى بطلان قول من يقول إن النبيَّ ليس مأمورًا بالتبليغ؛ إذ لا معنى للإرسال بدون الأمر بالتبليغ، فالرسول والنبيّ كلاهما مأموران بالتبليغ، إنما الفرق بينهما بما سوى ذلك كالذي ذكره الإمام عبد القاهر بن طاهر التميميّ الذي وصفه ابن حجر الهيتميّ[2] بقوله: «الإمام الكبير إمام أصحابنا»[3]اهـ.

وهذا الذي كان عليه المتقدمون، فلا عبرة بالرأي الذي ذكره بعض المتأخرين المخالف للنص ولِـمَا قاله المتقدمون، ولا تَغْتَرَّ بكثرة وقوعه في المصنَّفات، فإنَّ الأئمة المحققين في علم الكلام ردّوه، وإنَّما وقع هذا التعريف الفاسد في عبارات المتأخرين حيث ينقل أحدهم عن الآخر بمحض التقليد دونما تحقيق.

وقال شيخنا شيخ الإسلام المحدّث عبد الله الهرريّ رحمه الله: «والنبيّ غير الرسول يُوحى إليه ليتّبع شرع رسول قبلَه ليبلّغه. وهذا الفرق بين النبيّ والرسول هو الصحيح، وأما ما ذكره بعض المتأخرين في مؤلفاتهم من أن النبيّ مَنْ أُوحيَ إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فهو فاسد بعيد من معنى النبوة فليُحذر، وهذا التفسير الصحيح ذكره كثير كالإمام الجليل شيخ الشافعية والأشاعرة أبي منصور البغدادي والقونويّ شارح الطحاوية والـمُناويّ، فلذلك قال العلماء: كلّ رسول نبيّ وليس كلّ نبيّ رسولًا، ثم أيضًا يفترقان في أن الرسالة يوصف بها الملَك والبشر والنبوة لا تكون إلا في البشر، لأنّ الرسل أفضل من الأنبياء

(١) الحج/ ٥٢.

(٢) أحمد بن محمد بن عليّ بن حجر الهيتميّ السعديّ الأنصاريّ (ت ٩٧٤ هـ)، شهاب الدين، أبو العباس، فقيه باحث مصريّ، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة. له تصانيف، منها: (مبلغ الأرب في فضائل العرب)، و(الجوهر المنظم)، و(تحفة المحتاج لشرح المنهاج) في فقه الشافعية. **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٢٣٤).

(٣) **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرري، (ص ٣٨٠).

غير الرسل، فكلّ من كان رسولًا هو نبيّ، وليس كلّ من كان نبيًّا هو رسول. الملائكة فيهم رسل منهم جبريل عليه السلام فهو رسول من الملائكة، كذلك يوجد غيره يرسله الله إلى الملائكة ليبلّغ الوحي، الله تعالى يأمرهم بأن يبلّغوا طائفة من الملائكة بأمرٍ، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴿٧٥﴾ ﴾[4]، أي الله يختار من بين الملائكة رسلًا ومن بين البشر رسلًا، فجبريل سفير بين الله وبين الأنبياء والرسل من البشر، وبين الله وبين الملائكة أيضًا»[5]اهـ.

المعجزات هي السبيل إلى معرفة صدق النبي

ليُعلم أنّ السبيل إلى معرفة النبيّ هو المعجزة، فما من نبيّ إلا وكان مؤيّدًا بمعجزة. ومعنى المعجزة العلامة الشاهدة التي تشهد أن هذا الإنسان الذي يقول عن نفسه إنه نبيّ الله أنّه نبيّ وأنه صادق، وقد أُعطي نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام من المعجزات أكثر من غيره حتى قيل: إن المعجزات التي حصلت في حال حياته بين الألف والثلاثة آلافٍ عددًا[6]. وأعظم المعجزات معجزة القرآن الكريم.

وقد قال الشافعيّ[7] رضي الله عنه: «ما أعطى الله نبيًّا معجزةً إلا وأعطى

(٤) الحج/ ٧٥.

(٥) **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرريّ، (ص ٤٢٠، ٤٢١).

(٦) **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرريّ، (ص ٤٣٤).

(٧) الإمام الشافعيّ، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشيّ المطلبيّ (ت ٢٠٤ هـ)، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السّنة وإليه نسبة الشافعية، ولد في غزة بفلسطين على قول، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩هـ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة، وقال الإمام ابن حنبل: «ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعيّ في رقبته منّة»اهـ. وقال المبرد: «كان الشافعيّ أشعر الناس وأعرفهم بالفقه والقراءات»اهـ. وكان من أحذق قريش بالرمي، يصيب=

محمدًا مثلها أو أعظم منها»[1]اهـ. والمعجزة أمر خارق ومناقض للعادة يأتي على وَفْقِ دعوى من ادَّعَوا النبوّة كانفجار الماء الزُّلال من بين أصابع سيدنا محمّد ﷺ[2]، وعدم إحراق النار العظيمة سيدنا إبراهيم عليه السلام[3]، فما لم يكن موافقًا للدَّعوى لا يسمى معجزة كالذي حصل لمسيلمة[4] الكذَّاب الذي ادّعى النبوة، وذلك أنّه مسح على وجه رجل أعور فعمِيَت العين الأخرى[5]، فإن هذا الذي حصل مناقض لدعواه وليس موافقًا.

=من العشرة عشرة، برع في ذلك أولًا كما برع في الشعر واللغة وأخبار أيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة وكان ذكيًّا مفرطًا. له تصانيف كثيرة، أشهرها: (كتاب الأم) في الفقه، و(المسند) في الحديث، و(أحكام القرآن). **حلية الأولياء**، أبو نُعيم، (٩/ ٦٣). **تاريخ بغداد**، البغداديّ، (٢/ ٥٦، ٧٣). **تذكرة الحفاظ**، الذهبيّ، (١/ ٣٢٩). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٢٦، ٢٧).

(١) **آداب الشافعي ومناقبه**، ابن أبي حاتم، (ص٨٣).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، (١/ ٩٤)، رقم ٣٤٤. وكتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤/ ٢٣٢)، رقم ٣٥٧١ وما يليه. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، (٢/ ١٣٨)، رقم ١٥٩٢. **مسند أحمد**، أحمد، (٤/ ٢٩٠).

(٣) قال الله تعالى ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنبياء).

(٤) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، مُدَّعٍ للنبوة، من المعمَّرين. وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة). ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، قرب (العيينة) بوادي حنيفة في نجد. ولـمَّا ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي ﷺ مكة ودانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة قيل كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلّف مع الرحال خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد وذكروا للنبي ﷺ مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن (بزعمه). وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته، فلمّا انتظم الأمر لأبي بكر انتدب له أعظم قواده خالد بن الوليد على رأس جيش قوي، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة سنة ١٢هـ. **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ٢٢٦).

(٥) **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، (٤/ ٢٤).

ويكون هذا الأمر الخارق للعادة سالِـمًا من المعارضة بالمثل أي لا يستطيع المكذّبون أن يفعلوا مثله، فإذا ادّعى رجل أنه نبيّ وقارن دعواه خارقٌ ثم ادّعى آخرُ أنّ المدعي ليس بنبيّ وأظهر خارقًا مثله دلّ على أن الأوّل ليس بنبيّ. وليس من شرط المعجزة أن تكون مقرونة بالتحدي وإنما من شرطها أن تكون صالحة للتحدي. فما كان من الأمور عجيبًا ولم يكن خارقًا للعادة فليس بمعجزة، وكذلك ما كان خارقًا لكنّه لم يقترن بدعوى النبوة كالخوارق التي تظهر على أيدي الأولياء أتباع الأنبياء فإنها ليست بمعجزة لهم بل تسمى كرامة.

وكذلك ليس من المعجزة ما يُستطاع معارضته بالمثل كالسّحر فإنّه يُعارَضُ بسحر مثله، فالسحر لا يُسمى معجزة لأن السّحر يستطيع أن يعمل ساحرٌ آخر مثله، أما المعجزة فلا يستطيع المعارضون أن يفعلوا مثلها.

ثم المعجزة قسمان: قسم يقع بعد اقتراح من الناس على الذي ادّعى النبوّة، وقسم يقع من غير اقتراح. فالأول نحو ناقة صالح عليه السلام التي خرجت من الصخرة، فقد اقترح قومه عليه ذلك بقولهم: إن كنت نبيًّا مبعوثًا إلينا لنؤمن بك فأخرجْ لنا من هذه الصخرة ناقة وفصيلها -أي ولدها- فأخرج لهم ناقة معها فصيلها فاندهشوا فآمنوا به[1]، والثانية كحنين الجذع للنبي محمد ﷺ وذلك أن النبيّ ﷺ كان يستند حين يخطب إلى جذع نخل في مسجده قبل أن يُعْمَل له المنبر، فلمّا عمل له المنبر صعد ﷺ عليه فبدأ بالخطبة وهو قائم على المنبر فحنّ الجذع حتى سمع حنينه من في المسجد، فنزل رسول الله ﷺ فالتزمه -أي ضمّه واعتنقه- فسكت[2].

وأما ما يحدث للنبيّ من الخوارق قبل دعوى النبوة فهو إرهاص[3] كإظلال

(١) **المستدرك**، الحاكم، (٢/ ٥٦٧).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤/ ٢٣٧).

(٣) سمّي إرهاصًا لأنه تأسيس لقاعدة نبوته، قال الزبيدي «الإرهاص الإثبات، يقال: أرهص الشىء إذا أثبته وأسّسه، وهو مجاز، ومنه إرهاص النبوة»اهـ. **تاج العروس**،=

الغمامة[1] وتسليم الحجر على نبيّنا ﷺ قبل أن يُبْعَث[2].

قال الحافظ في الفتح عند قول البخاريّ: «باب علامات النبوة في الإسلام ما نصّه: «والفرق بينهما -أي المعجزة والكرامة- أن المعجزة أخصّ لأنه يشترط فيها أن يتحدّى[3] النبيّ من يكذبه بأن يقول: إن فعلتُ كذا أتصدّق بأني صادق؟ أو يقول من يتحدّاه: لا أصدّقك حتى تفعل كذا. ويشترط أن يكون المتحدَّى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبيّ ﷺ في عدة مواطن. وسمّيت المعجزة لعجز مَن يقع عندهم ذلك عن معارضتها» ثم قال: «وأشهر معجزات النبيّ ﷺ القرآن لأنه عليه الصلاة والسلام تحدّى به العرب وهم أفصح الناس لسانًا وأشدّهم اقتدارًا على الكلام بأن يأتوا بسورة مثله، فعجزوا مع شدّة عداوتهم له وصدّهم عنه، حتى قال بعض العلماء: أقصر سورة في القرآن: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[4]، تحداهم الرسول ﷺ بأن يأتوا بمثلها.

ثم قال: «ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن والتئام كلماته وفصاحته، وإيجازه في مقام الإيجاز، وبلاغته ظاهرة جدًّا، مع ما انضمّ إلى ذلك من حسن نظمه، وغرابة أسلوبه، مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر، هذا إلى ما اشتمل عليه من الأخبار بالمغيَّبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب، ولم يُعلم أن النبيّ ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا

=الزبيديّ، مادة: ر هـ ص، (٤/ ٤٠٠).

(١) **سنن الترمذيّ**، الترمذي،كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبيّ ﷺ. (٥/ ٥٩٠)، رقم ٣٦٢٠.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبيّ ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، (٧/ ٥٨)، رقم ٦٠٧٨.

(٣) قد تقدم أن شرط المعجزة أن تكون صالحة للتحدي ولا يشترط اقترانها بالتحدي، قال الشيخ عبد الله الهرري: «ليس شرطًا أن تكون مقرونة بالتحدي بل تكون صالحة للتحدي»اهـ. **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرري، (ص٤٣٥).

(٤) الكوثر/ ١.

أخذ عنهم، وبما سيقع فوقع على وَفْق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده، هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته، والخشية التي تلحق سامعه، وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه، مع تيسر حفظه لمتعلّميه وتسهيل سرده لتاليه. ولا ينكر شيئًا من ذلك إلا جاهل أو معاند، ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبيّ ﷺ القرآن.

ومِن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز، وأشهر ذلك[1] تحدّيه اليهود أن يتمنّوا الموت[2]، فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدّى لذلك ولا أقدم مع شدّة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصَّدّ عنه، فكان في ذلك أوضح معجزة. وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه[3]، وتكثير الطعام[4]، وانشقاق القمر[5]، ونطق الجماد[6]، فمنه ما وقع التحدّي به، ومنه ما وقع دالًّا على صدقه من غير سبق تحدّ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه

---

(١) أي من أشهر ذلك.

(٢) وذلك في قوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة].

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤/ ٢٣٣)، رقم ٣٥٧٣. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيّ ﷺ، (٧/ ٥٩)، رقم ٦٠٨٠. **مسند أحمد**، أحمد، (١/ ٤٠١)، رقم ٣٨٠٧.

(٤) **صحيح البخاريّ**، البخاري، باب من أدخل الضيفان عشرة عشرة والجلوس على الطعام عشرة عشرة، (١/ ٢٨١٠)، رقم ٥٤٤٩. **صحيح مسلم**، مسلم، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحقّقه تحقّقًا تامًّا واستحباب الاجتماع على الطعام، (١٠/ ٣٣٦)، رقم ٣٨٠٠.

(٥) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يُرِيَهم النبيُّ ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، (٤/ ٢٥١)، رقم ٣٦٣٦. **صحيح مسلم**، مسلم، صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، (٨/ ١٣٢)، رقم ٧٢٤٩.

(٦) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، (٨/ ٢٣٢)، رقم ٧٧٠٥.

ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم -الطائي- وشجاعة عليّ، وإن كانت أفراد ذلك ظنّيّة وردت مورد الآحاد، مع أنَّ كثيرًا من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير والجَمّ الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسّيَر والأخبار»[1]اهـ. كلام الحافظ ابن حجر.

ثم قال رحمه الله: «وذكر النوويّ في مقدمة شرح مسلم أنّ معجزات النبيّ ﷺ تزيد على ألف ومائتين[2]، وقال البيهقيّ[3] في المدخل: «بلغت ألفًا»[4]اهـ. وقال الزاهديّ[5] من الحنفية: «ظهر على يديه ﷺ ألف معجزة، وقيل ثلاثة آلاف»اهـ.

وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة كالحافظ أبي نُعَيم[6] والحافظ البيهقيّ وغيرهما»اهـ. ثم قال: «قوله[7]: «في الإسلام» أي من حين المبعث وهلمّ جرًّا

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٥٨١، ٥٨٢).

(٢) **شرح صحيح مسلم**، النوويّ، (١/ ٢).

(٣) أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ الشافعيّ (ت ٤٥٨ هـ)، من أئمة الحديث، قال إمام الحرمين: «ما من شافعيّ إلا وللشافعيّ فضل عليه غير البيهقيّ، فإن له المنّة والفضل على الشافعيّ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه، وتأييد آرائه»اهـ. صنّف زهاء ألف جزء، منها: (السنن الكبرى)، و(الأسماء والصفات)، و(دلائل النبوة). **الأعلام**، الزركليّ، (١/ ١١٦).

(٤) **المدخل إلى السنن الكبرى**، البيهقيّ، (١١/ ٣٥٥).

(٥) مختار بن محمود بن محمد، أبو الرجا، الزاهديّ الغزمينيّ (ت ٦٥٨هـ)، فقيه حنفيٌّ من أهل غزمين (بخوارزم) رحل إلى بغداد والروم. من كتبه: (الحاوي في الفتاوي)، و(المجتبى) شرح به مختصر القدوريّ في الفقه، و(الناصرية) رسالة صنفها في النبوة والمعجزات، و(زاد الأئمة)، و(قنية المنية لتتميم الغنية). **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ١٩٣).

(٦) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ (ت ٤٣٠هـ)، أبو نعيم، حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)، و(معرفة الصحابة)، و(طبقات المحدثين والرواة). **الأعلام**، الزركلي، (١/ ١٥٧).

(٧) أي قول البخاريّ المتقدّم (ص٥٨١) من كتاب **فتح الباري**.

دون ما وقع قبل ذلك، وقد جمع ما وقع من ذلك قبل المبعث بل قبل المولد الحاكم[1] في (الإكليل) وأبو سعد النيسابوريّ[2] في (شرف المصطفى) وأبو نُعيم والبيهقيّ في (دلائل النبوة) كقصة زيد بن عمرو بن نفيل[3] في خروجه في ابتغاء

---

(١) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبيّ، الطهمانيّ النيسابوريّ (ت ٤٠٥ هـ)، الشهير بالحاكم وبابن البَيّع، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ هـ، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنّف كتبًا كثيرة جدًّا، منها: (تاريخ نيسابور)، و(المستدرك على الصحيحين)، و(الإكليل) و(المدخل) في أصول الحديث. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٢٢٧).

(٢) عبد الرحمن بن الحسن الأصبهانيّ الأصل، النيسابوريّ (ت ٣٠٧ هـ)، أبو سعد، من حفاظ الحديث. له: (مسند)، وكتاب سماه (شرف المصطفى). **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٣٠٤).

(٣) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشيّ العدويّ (ت ١٧ ق هـ)، أحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. رحل إلى الشام باحثًا عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانيّة، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم عليه السلام. وجاهر بعداء الأوثان، فتألّب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، فانصرف إلى (حراء) فسلط عليه عمه الخطاب شُبَّانًا لا يدعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرًّا. وكان عدوًّا لوأد البنات، لا يعلم ببنت يراد وأدها (أي دفنها وهي حية) إلا قصد أباها وكفاه مؤنتها، فيربيها حتى إذا ترعرعت عرضها على أبيها فإن لم يأخذها بحث لها عن كُفْء فزوّجها به. رآه النبيّ ﷺ قبل النبوة، وسئل عنه بعدها فقال: «**يبعث يوم القيامة أمة وحده**». توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين. **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٦٠). وقال الحافظ ابن حجر: «وكان -أي زيد بن عمرو- من طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث، فروى محمد بن سعد والفاكهيّ من حديث عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب قال: « قال لي زيد بن عمرو: إني خالفت قومي، واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل وما كانا يعبدان، وكانا يصليان إلى هذه القبلة، وأنا أنتظر نبيًّا من بني إسماعيل يبعث، ولا أراني أدركه، وأنا أؤمن به وأصدّقه وأشهد أنه نبيّ، وإن طالت بك حياة فأقرئه مني السلام. قال عامر: فلمّا أسلمت أعلمت النبيّ ﷺ بخبره قال: فردَّ عليه السلام وترحّم عليه، قال -أي النبيّ- ﷺ: «**ولقد رأيته في الجنة يسحب ذيولًا**». وروى البزار والطبرانيّ من حديث سعيد بن زيد قال: «خرج زيد بن عمرو وورقة بن نوفل=

الدّين»[1]اهـ.

إبطال شبهة يوردها بعض الملاحدة

إن قال قائل من الملاحدة مُشَكّكًا في تصديق الأنبياء وإثبات المعجزات لهم: وقوع الخارق على يد من ادّعى النبوة لا يكفي دليلًا على صدقه، لأننا نشاهد كثيرًا من الخوارق يُتَوَصَّلُ إليها بالخواصّ (أي القُوَى التي تؤثر في الأجسام) والسحر والشعوذة واستحضار الروحانيات.

فالجواب أن يقال: إن هذه الأشياء تُعَارَض بالمثل، فيعارِض ساحرٌ ساحرًا مثلًا، بخلاف المعجزة، فهل استطاع أحد من المكذّبين المعارضين للأنبياء في عصورهم وفي ما بعد ذلك إلى يومنا هذا أن يأتيَ بمثل ما أتى به نبيُّ الله صالح عليه السلام من إخراج الناقة وولدها من صخرة صمّاء[2] حين اقترح قومه عليه ذلك؟ وهل استطاع أحد أن يدخل نارًا عظيمةً كالنار التي رُمِيَ فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث لم يستطيعوا من شدّتها أن يرموه فيها إلا بواسطة المنجنيق، ولم تؤثّر فيه فلم تحرق جسمه ولا ثوبه.

=يطلبان الدين حتى أتيا الشام، فتنصّر ورقة وامتنع زيد، فأتى الموصل فلقي راهبًا فعرض عليه النصرانية فامتنع»، وذكر الحديث نحو حديث ابن عمر الآتي في ترجمته وفيه: «قال سعيد بن زيد: فسألت أنا وعمر رسول الله ﷺ عن زيد فقال: «**غفر الله له ورحمه، فإنه مات على دين إبراهيم**»، وروى الزبير بن بكار من طريق هشام بن عروة قال: «بلغنا أن زيدًا كان بالشام، فبلغه مخرج النبيّ ﷺ، فأقبل يريده فقتل بمَضِيْعَةٍ -أي مهلكة- من أرض البلقاء» وقال ابن إسحاق: لـمّا توسّط بلاد لخم قتلوه، وقيل: «إنه مات قبل المبعث بخمس سنين عند بناء قريش الكعبة»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٧/ ١٤٣).

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣).

(٢) «الصَّمَّـاء من الأرض: الغليظة»اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: ص م م، (١٣/ ٥٣٦).

وهل استطاع أحد منهم أن يفعل ما فعل سيدنا موسى عليه السلام من ضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر فرقًا كل فرق كالجبل العظيم حتى مشى فيه مئات الآلاف وما انهال عليهم حتى قطعوا المسافة التي أرادها موسى عليه السلام ثم عاد كما كان؟ وهل استطاع سَحَرَة فرعون الذين جمعهم أن يقاوموا معجزة انقلاب عصا موسى حيَّة حقيقية؟ بل غُلِبُوا فعجزوا عن المقاومة ثم أذعنوا لموسى عليه السلام فآمنوا بالله ورسوله موسى عليه السلام مُوقنين كلَّ الإيقان. وهل استطاع اليهود حين عارضوا المسيح عليه السلام وقابلوه بالتكذيب وبهتوه بقولهم: إن هذا إلا سحر مبين، أن يأتوا بمثل معجزاته من إبراء الأعمى والأكمه[1] وإحياء الميت بإذن الله؟ بل عجزوا وما استطاعوا أن يأتوا بمثل معجزاته بلا علاج ولا إجراء جراحة طبية، وهل يستطيع أحد من أئمة الإلحاد أن يُنطِق جذعًا نُصِب عمودًا في جملة أعمدةِ بناءٍ بصوت مسموع لمن حضر كما ظهر لمحمد ﷺ من هذا العمود[2] الذي كان من جملة أعمدة مسجده الذي كان مسقوفًا على أعمدةٍ من خشب النخل اليابس حتى سكت لـمَّا مسح عليه؟

فإن تمادى هذا الملحد في غيّه وضلاله وقال: إن هذه الحوادث من قبيل الخرافات التي تُروى من غير أساس.

فالجواب: أن يقال إنَّ هذا من الخبر المتواتر الذي يفيد علمًا قطعيًّا، وليس من الأخبار التي تحتمل الصدق والكذب، وإنما هو كأخبار البلاد والأماكن النائية والملوك الماضية التي تناقلتها الكافّة عن الكافّة، فكما أن هؤلاء الملحدين يقطعون بصحة بعض أخبار أئمتهم كلينين وماركس، وبعض حوادث من قبلهما

---

(١) «الكَمَهُ في التفسير العمى الذي يُولد به الإنسان، كَمِهَ بصرُهُ كَمَهًا وهو أَكْمَهُ إذا اعتَرَتْهُ ظلمة تطمِسُ عليه»اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: ك م هـ، (١٣/ ٥٣٦).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، باب الخطبة على المنبر، (٢/ ١١)، رقم ٩١٨. **سنن الترمذيّ**، الترمذي، (٢/ ٣٧٩)، رقم ٥٠٥. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، (٢/ ٤١٧)، رقم ١٤١٤.

كنابليون، مع كونهم لم يَرَوْهم ولم يشهدوا تلك الحوادث، فكذلك نقطع بصحة حوادث الأنبياء التي تناقلتها الكافّة عن الكافّة.

فإن قال: إن أخبار هؤلاء أقرب عهدًا بخلاف الأنبياء فإن عهدهم بعيد.

قلنا: الخبر المتعلّق بحصول الغريب الذي يلفت الأفكار والإعجاب كإخراج الناقة من صخرة صمّاء من شأنه أنه كلّما تطاول الزمن يكثر تناقله، لأن الإنسان مجبول في طبيعته على حبّ التحدُّث بالأمر المعجب، فمثلًا لـمَّا شاهد الجيش الذي كان مع الرسول ﷺ في غزوة الحديبية وَهُمْ ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه، وقد كانوا فاقدين الماء[1]، لا شكّ أن كل واحد من الجيش حريص على أن يخبر بما شاهد.

فلا معنى حينئذٍ لإنكارهم هذه المعجزات إلا العناد والمكابرة فهم لا ينكرون الحوادث التي تناقلتها الناس جيلًا بعد جيل سواء قرب عهدنا بها أم بَعُد كوجود حاكم عاتٍ اسمه فرعون، أو نجاة سفينة سيدنا نوح عليه السلام، فلم يبقَ إلا التحكّم والعناد، عصمنا الله من هوى النفوس وعمى القلوب.

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (٤/ ٢٣٢).

الفصل الثاني:
في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام

من المزايا التي امتاز بها الأنبياء الكرام على بقية البشر عصمتهم وبُعْدُهُم عن الوقوع في الكفر والشرك واقتراف المعاصي الكبيرة والصغيرة التي فيها خسّة ودناءة، وعزوفهم عن الشهوات المحرّمة، واجتنابهم لكلّ ما يخلّ بالمروءة، أو يَخْدِش الكرامة، أو يحطّ من قدر الإنسان كما تقدم، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الناس خلقًا وأزكاهم عملًا، وأطهرهم نفسًا، وأعطرهم سيرة، لأنهم القدوة للبشر وهم الأسوة الحسنة، ولذلك أمر الله عزَّ وجلَّ بالاقتداء بهم، والتخلّق بأخلاقهم، والسير على منهاجهم في جميع شؤون الحياة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[1]، وقال عزَّ مِن قائل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2].

تعريف العصمة

العِصمة في اللغة معناها: المنع[3]، يقال: عصمته من الطعام أي منعته من تناوله، وعصمته من الكذب أي منعته منه، قال ابن فارس[4]: العين والصاد والميم يدل على إمساك ومنع وملازمة، من ذلك العصمة أن يعصم الله تعالى

---

(١) الأنعام/ ٩٠.

(٢) الأحزاب/ ٢١.

(٣) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: ع ص م، (١٢/ ٤٠٣).

(٤) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسن، من أئمة اللغة والأدب أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها وإليها نسبته، من تصانيفه: (المجمل)، و(مقاييس اللغة)، و(متخير الألفاظ)، توفي سنة ٣٩٥هـ. **الأعلام**، الزركلي، (١/ ١٩٣).

عبده من سوء يقع فيه[1]»اهـ. ومنه قول الله تعالى في حقّ ولد سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾[2]، أي يمنعني من الغرق، وقوله عزَّ وجلَّ إخبارًا عن امرأة العزيز عندما برّأت سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾[3] أي امتنع امتناعًا شديدًا. وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[4] أي منعوا مني دماءهم وأموالهم.

وشرعًا: العصمة بالنسبة للأنبياء والرسل هي حفظ الله تعالى لهم من الوقوع في الكفر والذنوب الكبيرة والصغيرة التي فيها خسة ودناءة نفس قبل النبوة وبعدها، والحكمة من ذلك أن الله عزَّ وجلَّ أمر باتباعهم والاقتداء بهم، فهم القدوة الحسنة والأسوة الصالحة للخَلْق، ولذلك حفظهم الله من الكفر والكبائر وصغائر الخسَّة فهم آمنون من كل ذلك.

وإنما الذي يجوز على الأنبياء هو ما سوى ذلك من الصغائر التي ليس فيها خسّة ولا دناءة نفس، وهذا لأجل إثبات وموافقة ما ورد في النصوص القرآنية والحديثية، وهذا قول أكثر العلماء كما نقله غير واحد، وعليه الإمام أبو الحسن الأشعريّ[5]، وخالفه بعض الأشاعرة، وقولهم مرجوح متروك.

---

(١) **مقاييس اللغة**، ابن فارس، مادة: ع ص م، (٤/ ٣٣١).

(٢) هود/ ٤٣.

(٣) يوسف/ ٣٢.

(٤) رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما. **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ (١/ ١٢). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، (١/ ٣٨).

(٥) علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن، إمام أهل السنة والجماعة، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري (ت٣٢٤هـ)، مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين=

وممن خالف في هذا تاج الدين السبكيّ[1] في قصيدته النونية: (الكامل)

والأشعريُّ إمامُنا لكنّنا   في ذا نخالفُه بكلّ لسانِ[2]»اهـ.

قال شيخنا الإمام المحدّث عبد الله الهرري رحمه الله: «يا ليته وافقه إذ هو الموافق للنصوص[3]»اهـ.

الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها

لقد حُفِظ الأنبياء وعُصِموا من الكفر قبل أن يوحى إليهم بالنبوة وبعد ذلك أيضًا، وأما قول سيدنا إبراهيم عليه السلام عن الكوكب حين رآه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[4] فهو على تقدير الاستفهام الإنكاريّ فكأنه قال: أهذا ربي كما تزعمون؟ ثم لـمَّا غاب قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾[5]، أي لا يصلح أن يكون ربًّا فكيف تعتقدون ذلك؟ وعندما لم يفهموا مقصودَه بل بقُوا على ما كانوا عليه

= ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد. من مصنفاته: (إمامة الصديق) و (الرد على المجسمة) و(الإبانة عن أصول الديانة) -مع ملاحظة أن الذي في الأسواق فيه دس فليحذر-. **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٢٦٣).

(١) عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي السبكيّ (ت ٧٧١ هـ)، أبو نصر تاج الدين قاضي القضاة، المؤرخ الفقيه. ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده العلامة الأصوليّ تقيّ الدين السبكيّ، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سُبْك من أعمالِ المنوفية بمصرَ وكان طلق اللسان، قويّ الحجة. من تصانيفه: (طبقات الشافعية الكبرى)، و(معيد النعم ومبيد النقم)، و(جمع الجوامع) في أصول الفقه، و(الأشباه والنظائر). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ١٤٥، ١٤٨).

(٢) **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين السبكي، (٣/ ٣٨٧).

(٣) **الدليل القويم**، الهرري، (ص ٣٣٦).

(٤) الأنعام/ ٧٦.

(٥) الأنعام/ ٧٦.

قال حينما رأى القمر مثل ذلك، فعندما لم يجد بغيته أظهر أنه بريء من عبادته وأنه لا يصلح للربوبية، ثم لـمَّا ظهرت الشمس قال مثل ذلك فلم يرَ منهم بغيته فقال لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾[1] أي على زعمكم، أَيِسَ منهم -أي ما عاد يرجو اهتداءهم- من عدم انتباههم وفَهمهم للمراد، أي أن هذه الثلاثة لا تصلح للألوهية فتبرّأ مما هم عليه من الشرك، ثم لم يمكث فيهم بل ذهب إلى فلسطين فأقام هناك وتوفي فيها، وفي خلال ذلك ذهب إلى مكة بِسُرّيّته[2] هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام وتركهما هناك بأمر الله تعالى. وأما إبراهيم ﷺ فقد كان يعلم قبل ذلك أن الربوبية لا تكون إلا لله بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾[3] قال القرطبيّ في تفسيره: «قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾ قال الفراء[4]: أي أعطيناه هداه، ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي من قبل النبوة»[5]اهـ. أي ألهمناه الصواب والحكمة والإيمان مِنْ قَبْلِ هذه المناظرة التي جرت بينه وبين قومه المشركين.

وعصمة الأنبياء فضلٌ من الله ولطف بهم، ولكن على وجهٍ يبقى اختيارُهم بعد العصمة في الإقدام على الطاعة والامتناع عن المعصية، وإلى هذا القول مالَ

(١) الأنعام/ ٧٨.

(٢) «تَسرَّى: أَخَذَ سُرِّيَّةً، أَي جارِيَةً، نَقلَهُ الجوهريُّ»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: س ر ي، (٣٨/ ٢٧٣).

(٣) الأنبياء/ ٥١.

(٤) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر)، أبو زكرياء، المعروف بالفراء (ت٢٠٧هـ)، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة سنة١١٤هـ، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يومًا في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيهًا متكلمًا عالـمًا بأيام العرب وأخبارها، من كتبه: (المقصور والممدود) و(المعاني). **الأعلام**، الزركلي، (٨/ ١٤٦).

(٥) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١١/ ٢٩٦).

إمام أهل السنة الشيخُ أبو منصور الماتريديّ[1] رضي الله عنه، وهو القول السديد وعليه الاعتماد إذ لولا ذلك لكانوا مجبورين في أفعالهم، ومن كان مجبورًا على فعل الطاعة والامتناع عن المعصية لا يكون مأجورًا في فعله وتركه.

فإن قيل: إننا مأمورون بالاقتداء بهم، فلو كانوا يعصون للزم الاقتداء بهم في المعصية ولا يعقل ذلك.

فالجواب: أنهم عندما يقعون في الصغائر التي ليس فيها خسّة ولا دناءة نفس يُنَبَّهون فورًا ويتوبون قبل أن يقتديَ بهم أحد فزال المحذور.

قاعدة في عصمة الأنبياء

قد تقدم قول الشيخ التلمسانيّ: «لا يجوز عليهم -أي الأنبياء- الكبيرة ألبتة، ويجوز تعمّد الصغيرة بشرط عدم الإصرار، ولا يجوز منهم صغيرة تدلّ على خساسة النفس ودناءة الهمة كتطفيف حبة وسرقة باقة بقل»[2]اهـ. ثم قال التلمسانيّ أيضًا: «وأما عصمتهم عن الكبائر والإصرار على الصغائر وعن كل صغيرة تؤذن بقلة الاكتراث بالديانات[3] فمستند إلى الإجماع القاطع، فإن السلف رضي الله عنهم لم يزالوا يحتجُّون بالنبيّ ﷺ بأفعاله وأقواله ومتبادرون[4]

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريديّ (ت ٣٣٣ هـ)، إمام أهل السنة. نسبته إلى «ماتريد» محلة بسمرقند. من كتبه: (التوحيد)، و(أوهام المعتزلة)، و(الردّ على القرامطة)، و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، و(تأويلات أهل السنة)، و(شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة)، مات رضي الله عنه بسمرقند. **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ١٩).

(٢) **شرح لمع الأدلة**، التلمسانيّ، (ص١٩٧)، مخطوط.

(٣) «الديانة: ما يتديّن به الإنسان، وهو اسم لجميع ما يعبد به الله، والملة والإسلام والاعتقاد بالجَنان والإقرار باللسان وعمل الجوارح بالأركان والسيرة والعادة والحال والشأن والورع»اهـ. **المعجم الوسيط**، (١/ ٣٠٧).

(٤) «بادرت الشيء مبادرة وبدارًا أي عاجلته»اهـ. **جمهرة اللغة**، ابن دُرَيْد، مادة: ب د ر، (١/ ٤٩٢).

إلى التأسّي به»[1]اهـ.

وقال التلمسانيّ أيضًا ما نصّه: «اعلم أنه لـمَّا ثبت صدق الرسول ﷺ وعصمته في ما يبلّغه عن الله تعالى وجب التصديق بكلّ ما أخبر من أمور الغيب جملة وتفصيلًا، فإنْ كان ممّا يُعلم تفصيله وجب اعتقاده، وإن لم يُعلم تفصيله وجب أن يؤمن به جملة ويردّ تأويله إلى الله تعالى ورسوله ولمن اختصّه الله عزَّ وجلَّ بالاطلاع على ذلك»[2]اهـ.

يجب للأنبياء الصدق والأمانة

يجب للأنبياء الصدقُ ويستحيل عليهم الكذب، وصفة الصدق ملازمة للنبوة، فلا يمكن لأيّ نبيّ أن يصدر منه ما يخلّ بالمروءة كالكذب والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها من الصفات القبيحة، لأن هذه الصفات لا تليق برجل عاديّ، فكيف بنبيّ مقرّب أو رسول مكرّم، ولو جاز وقوع الكذب من الأنبياء لَـمَا كانت هناك ثقة في ما ينقلونه من أخبار الوحي أو يروونه عن الله عزّ وجلّ، لذلك نجد القرآن الكريم يحكم ذلك الحكم الفاصل في كل من يفتري على الله سبحانه وتعالى أو يكذب عليه وعلى أنبيائه الكرام، فيقول: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾[3]، قال المفسر القرطبيّ: «قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ تَقَوَّلَ أي تكلّف وأتى بقولٍ مِنْ قِبَلِ نفسه ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ أي بالقوة والقدرة، أي لأخذناه بالقوة، وعُبّر عن القوة والقدرة باليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه، قاله القتبيّ وهو معنى قول ابن

---

(١) **شرح لمع الأدلة**، التلمسانيّ، (ص١٩٨)، مخطوط.

(٢) **شرح لمع الأدلّة**، التلمسانيّ، (ص٢٠١)، مخطوط.

(٣) الحاقة/ ٤٤-٤٨.

عباس ومجاهد[١]. وقال السدّيّ[٢]: والحكم ﴿ بِٱلْيَمِينِ ﴾ بالحق. وقال أبو جعفر الطبريّ: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس في الأخذ بيد من يُعاقَب كما يقول السلطان لمن يريد هوانه[٣]: خذوا يديه، أي لَأَمَرْنا بالأخذِ بيدِهِ وبالَغْنَا في عقابه. ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يعني نِيَاطَ القلبِ، أي لأهلكناه. وهو عِرْق يتعلق به القلب إذا انقطع مات صاحبه، قاله ابن عباس وأكثر الناس، ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي فما منكم قوم يحجزون عنه. قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي للخائفين الذين يخشون الله، وقيل: المراد محمد ﷺ، أي هو تذكرة ورحمة ونجاة»[٤]اهـ.

ولقد اشتهر رسول الله ﷺ منذ الصغر بالصدق والأمانة، حتى كان المشركون يسمّونه الصادق الأمين، وهكذا كان النبيّ الكريم قبل البعثة عَلَمًا بين قريش في هاتين الصفتين الحميدتين.

وتجب لهم الأمانة أي أن يكون النبيّ أمينًا على الوحي، يبلّغ أوامر الله ونواهيه إلى عباده، دون زيادة أو نقصان، ودون تحريف أو تبديل أو تشويه ونحوه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم (ت ١٠٤هـ)، تابعي مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: «شيخ القراء والمفسرين»اهـ. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقّل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٢٧٨).

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت ١٢٨هـ)، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: «صاحب التفسير والمغازي والسير»اهـ. وكان إمامًا عارفًا بالوقائع وأيام الناس. **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٣١٧).

(٣) «الهوان ضد الكرامة، رجل هيّن وأهون، ورجل مهين»اهـ. **جمهرة اللغة**، ابن دُرَيْد، مادة: هـ و ن، (٢/ ٩٩٦).

(٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٨/ ٢٧٥).

﴿ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1]، فلا يجوز عليهم ارتكاب الخيانة بقولٍ وحالٍ قبل النبوّة ولا بعدها، فإذا استنصحهم شخص لا يكذبون عليه فيوهمونه خلاف الحقيقة، وإذا وضع عندهم شخص وديعة لا يضيعونها ولا يُتلفونها ولا يَجْحَدونها.

فالأنبياء الكرام أدَّوُا الأمانة وبلّغوها على الوجه الأكمل، وقد ورد في القرآن الكريم أنَّ سيدنا هودًا عليه السلام قال لقومه ما أخبر الله به: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[2]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾[3] أي ليس بِمُتَّهَم على الوحي والغيب، ويروى عن السيدة عائشة[4] رضي الله عنها وأرضاها أنها قالت: «لو كان محمد ﷺ كاتـمًا شيئًا مما نزل عليه لكتم هذه الآية الكريمة القرآنية: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾[5]، ولكتم أيضًا الآيات التي فيها عتاب له ﷺ مثل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾[6]»[7]اهـ. قال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ﴾: «قال عليّ بن الحسين[8]: كان قد أوحى الله إليه أن

---

(١) الأحزاب/ ٣٩.

(٢) الأعراف/ ٦٧، ٦٨.

(٣) التكوير/ ٢٤.

(٤) عائشة بِنْت أبي بكر الصديق، الصديقة بنْت الصّدّيق أم المؤمنين، زوج النَّبِيّ ﷺ، وأمها أم رومانَ بنت عامر بن عُوَيمر، تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين وهي بكر، وكناها رسول الله ﷺ أم عَبْد الله بابن أختها عَبْد الله بن الزبير. توفيت عائشة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلًا، فدفنت وصلّى عليها أبو هريرة، ولـمَّا توفي النبي ﷺ كان عمرها ثمان عشرة سنة. **أسد الغابة**، ابن الأثير، (٣/ ٣٨٥).

(٥) الأحزاب/ ٣٧.

(٦) عبس/ ١، ٢.

(٧) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٤/ ١٨٨).

(٨)هو علي بن الحسين الأصغر المعروف بزين العابدين. **تفسير البغوي**، البغوي، (٦/ =

زيدًا[١] سيطلّقها -وهو وحي بغير القرآن- وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها. فلمّا شكا زيد خُلُقَها وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴿٣٧﴾﴾[٢] على طريق الأدب والوصية، وهو يعلم أنه سيطلقها. وهذا هو الذي أخفى في نفسه ، ولم يرد أنه يأمره بالطلاق. ولـمَّا علم من أنه سيطلقها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب[٣] بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد أباحه الله بأن قال: ﴿أَمْسِكْ﴾ مع علمه أنه يطلق، فأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال. وهذا المروي عن علي بن الحسين هو الذي عليه أهل التحقيق

=٣٥٥).

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل) الكلبي صحابي. اختطف في الجاهلية صغيرًا واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها، فتبناه النبي -قبل نزول التحريم- وأعتقه وزوَّجه بنتَ عمته. واستمر الناس يسمونه (زيد بن محمد) حتى نزلت آية ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب/ ٥]، وهو من أقدم الصحابة إسلامًا. وكان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمّره عليها، وكان يحبه ويقدمه. **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٥٧).

(٢) الأحزاب/ ٣٧.

(٣) زينب بِنْت جحش، زوج النَّبِيّ ﷺ، أخت عَبْد الله بن جحش، وهي أسدية من أسد بني خزيمة، وأمها بِنْت عَبْد المطَّلِب، عمة النَّبِيّ ﷺ. وكانت قديمة الإسلام، ومن المهاجرات وكان قد تزوجها زيد بن حارثة، مولى النَّبِيّ ﷺ، ثم إن الله تعالى زوجها النَّبِيّ ﷺ، توفيت سنة عشرين، وهي أول امْرَأَة صنع لها النعش، ودُفنت بالبقيع. **أسد الغابة**، ابن الأثير، (٣/ ٣٥٨).

من المفسرين كالزهريّ[1] وبكر بن العلاء[2] والقشيريّ[3] والقاضي أبي بكر بن العربيّ[4] وغيرهم. والمراد بقوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين في تزويج نساء الأبناء، والنبيّ ﷺ معصوم في حركاته وسكناته ولبعض المفسرين

(١) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهريّ (ت ١٢٤ هـ)، من بني زهرة بن كلاب من قريش، أبو بكر، أول من دوّن الحديث وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعيّ، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومائتي حديث. نزل الشام واستقر بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: «عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه»اهـ. قال ابن الجزري:«مات بشغب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين»اهـ **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ٩٧).

(٢) بكر بن محمد بن العلاء بن محمد بن زياد (ت ٣٤٤ هـ)، أبو الفضل القشيريّ، ويقال له بكر بن العلاء، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة. انتقل إلى مصر قبل سنة ٣٣٠ هـ، وتوفي بها عن نيف وثمانين سنة. له كتب منها: (أحكام القرآن)، و(أصول الفقة)، و(القياس)، و(مسائل الخلاف)، و(الرد على القدرية). قال القاضي عياض: «ورأيت له كتاب (تنزيه الأنبياء عليهم السلام) وكتاب (ما في القرآن من دلائل النبوة)»اهـ. **الأعلام**، الزركلي، (٢/ ٦٩).

(٣) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوريّ القشيريّ (ت٤٦٥هـ)، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام شيخ خراسان في عصره زهدًا وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. من كتبه: (التيسير في التفسير) ويقال له التفسير الكبير، و(لطائف الإشارات)، و(الرسالة القشيرية). **تاريخ بغداد**، الخطيب، (١١/ ٨٣). **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، (٣/ ٢٤٣- ٢٤٨). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٥٧).

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد المعافريّ الإشبيليّ المالكيّ (ت ٤٥٣ هـ)، أبو بكر بن العربيّ، قاضٍ من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية ورحل إلى المشرق وبرع في الأدب، وصنف كتبًا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. قال ابن بشكوال: «ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها»اهـ. من كتبه: (العواصم من القواصم)، و(عارضة الأحوذي في شرح الترمذي)، و(أحكام القرآن)، و(القبس في شرح موطأ ابن أنس)، وهو غير الشيخ محيي الدين بن عربي. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٢٣٠).

كلام في الآية يقتضي النقص من منصب النبوة، ضربنا عنه صفحًا[1] »[2] انتهى كلام أبي حيان، وسيأتي مزيد بيان لهذه الحادثة إن شاء الله.

فلا بدّ من توفّر صفة الأمانة في كل نبيّ ورسول، لتظلّ النفس مطمئنة إلى سلامة الوحي، وإلى أنّ كلَّ ما جاء به النبيّ ﷺ إنما هو من عند الله العزيز الحكيم، وصدق ربنا سبحانه حيث يقول: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾[3].

الفطانة

وتجب للأنبياء الكرام كذلك الفطانة أي الذكاء، فكلّهم أذكياء فطناء أصحاب عقول كاملة قوية الفهم، فيستحيل عليهم البلادة والغباوة فليس فيهم من هو أحمقُ أو عَيِيٌّ، لأنهم بُعِثوا لبيان الحقّ فلا يليق بهم أن يكونوا قاصرين عن إقامة الحجّة على مَن جانبَ الحقَّ وعاداه، قال الله سبحانه: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ** ﴾[4]، ولأنهم لو كانوا أغبياء لنفر الناس منهم لغباوتهم والله حكيم لا يفعل ذلك. وإذا كان البشر العاديون في الغالب يعتريهم النقص، وتضعف قواهم العقلية، وربما وصل البعض منهم إلى حالة الخرف[5] عند بلوغ سنّ الشيخوخة، فإن الأنبياء الكرام يظلّون في الدرجة العليا من رجاحة العقل وقوة التفكير مهما امتدّت أعمارهم، لأن الله تعالى قد أحاطهم بعنايته وحفظهم

(١) «أضربت عن هذا الأمر صفحًا إذا تركته، ثم قال: وأصفحت عن الأمر إصفاحًا مثل قولهم أضربت عنه إضرابًا»اهـ. **جمهرة اللغة**، ابن دُرَيْد، مادة: ص ف ح، (١/ ٥٤١).

(٢) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٨/ ٤٨١، ٤٨٢).

(٣) النجم/ ٣، ٤.

(٤) الأنعام/ ٨٣.

(٥) خَرِفَ، كنَصَرَ وفَرِحَ وكَرُمَ فهو خَرِفٌ: فَسَدَ عقله.اهـ، **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة خ ر ف، (ص ٨٦٣).

برعايته، ولا يمكن أن تضعف حواسّهم الفكرية وتتعطّل مواهبهم العقلية ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾[1].

الصيانة

ومما يجب للأنبياء الصيانةُ فيستحيل عليهم الرذالة كاختلاس النظر إلى الأجنبية بشهوة وكسرقة حبّة عنب، كما قال التفتازانيّ عند كلامه على جواز وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: «إلا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة»[2]اهـ.

وكذلك يستحيل عليهم السفاهةُ كالتلفّظ بألفاظ شنيعة، وكذلك يستحيل عليهم الجُبن فالأنبياء هم أشجع خلق الله وقد قال بعض الصحابة: «كنا إذا حَمِيَ الوطيس[3] واحمرّت الحدَق[4] -أي في المعركة- اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منّا أحد أقرب إلى العدو منه»[5]اهـ.

فمن نسب إلى الأنبياء الكذبَ أو الخيانةَ أو الرذالةَ أو السفاهةَ أو الجبنَ أو نحوَ ذلك فقد كفر.

---

(١) الجمعة/ ٤.

(٢) **شرح العقائد النسفية**، التفتازانيّ، (ص ١٧١).

(٣) «الوَطِيسُ: التَّنُّورُ، ومن المجَازِ قولُ النّبيّ ﷺ في حُنَين: «**الآنَ حمي الوَطِيسُ**»، وهي كَلِمَةٌ لمْ تُسْمع إلا منه، وهو من فَصِيح الكلام، وقالَ الأَصْمَعِيّ: يُضْرَب مثلًا للأَمْر إذا اشْتَدَّ»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: و ط س، (١٧/ ١٣).

(٤) «الحدَقَةُ، محرَّكَة: سوادُ العَين عن ابنِ دريدٍ، وهو المسْتَدِيرُ وَسَطَ العين، وقيل: هي في الظّاهِرِ سوادُها، وفي الباطِن خَرَزَتُها»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ح د ق، (٢٥/ ١٤١).

(٥) **السنن الكبرى**، النسائيّ، كتاب السير، باب مباشرة الإمام الحرب بنفسه. (٥/ ١٩١)، رقم ٨٦٣٩.

الفصاحة

ولْيُعلَم أن كلّ الأنبياء فصحاء، فليس فيهم من يكون في لسانه عقدة وحبْسَةٌ ويعجل في كلامه فلا يطاوعه لسانه، ولا تأتاء ولا ألثغ ولا أرتّ، وأما الألثغ فهو الذي يُصَيّرُ السينَ ثاءً، وأما الأرتّ فهو الذي لا يُفصح الكلام ولا يبيّنه. وأما ما حصل مع نبيّ الله موسى عليه السلام الذي تأثر لسانه بالجمرة التي تناولها ووضعها في فمه حين كان طفلًا أمام فرعون لحكمة، فما تركت تلك الجمرة في لسانه عَيْبًا أو أثرًا فاحشًا بحيث يكون كلامه غير مفهم للناس إنما كانت عقدة خفيفة أي بطأً من أثر تلك الجمرة، وكان كلامه مفهمًا بيّنًا لا يبدل حرفًا بحرف بل يتكلم على الصواب، ثمّ دعا الله تعالى لـمّا نزل عليه الوحي فأذهبها الله عنه.

وليعلم أنه يستحيل على الأنبياء سبق اللسان في الشرعيات والعاديّات لأنه لو جاز عليهم لارتفعت الثقة في صحة ما يقولونه، ولقال قائل عندما يبلغه كلامٌ عن النبيّ: ما يدرينا لعله قاله على وجه سبق اللسان، فلا يحصل من النبيّ أن يصدر منه كلام غيرُ الذي أراد قوله، أو أن يصدرَ منه كلامٌ ما أراد قوله بالمرة كما يحصل لمن يتكلّم وهو نائم.

السلامة من الأمراض والعاهات المنفرة

عن قتادة رضي الله عنه قال: «**ما بعث الله نبيًّا إلا حسنَ الوجه حسَنَ الصوت، وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت**»[1] رواه الترمذيّ[2]، فالأنبياء كلُّهم

(١) **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، الترمذيّ، (١/ ٢٦١).

(٢) الترمذي هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ. مات بترمذ. من تصانيفه: (الجامع الكبير) في الحديث، و(الشمائل النبوية) و(التاريخ) و(العلل) في الحديث. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٣٢٢).

كانوا ذوي حُسْنٍ وجمال، ولا يجوز عليهم المرضُ الذي ينفّر الناس منهم، فلا يسلّط الله تعالى عليهم الأمراض المنفّرة ولا العوارض المستبشعة، أما المرض المؤلم الشديد حتى لو كان يحصل منه الإغماء أي الغَشْيَة فيجوز عليهم. وكلهم كانوا أصحاب خلقة سوية، فلم يكن فيهم أعرج ولا كسيح ولا أعمى، إنما سيدنا يعقوب من شدّة بكائه وحزنه على يوسف عليه السلام ابيضّت عيناه وعمي لمدة وليس كلّ حياته، ثم ردّ الله تعالى عليه بصره لـمَّا أرسل سيدنا يوسف عليه السلام قميصه من مصر إلى مدينَ وهي البلدة التي فيها أبوه، فشمّ يعقوبُ ريحَ يوسفَ في هذا القميص فارتدّ بصيرًا بإذن الله، فهو لم يكن أعمى من أصل الخلقة، إذ النبيّ أول ما ينزل عليه الوحي لا بدّ أن يكون بصيرًا، ثم بعد ذلك يجوز أن يعمى لمدّة كما حصل لنبيّ الله يعقوب عليه السلام.

وليس صحيحًا ما روي من أن سيدنا أيوب عليه السلام اشتدّ به المرض حتى خرج الدود من بدنه الشريف، إذ لا تجوز هذه الأمراض المنفّرة على أنبياء الله تعالى، فالله تعالى حكيم لا يبعث نبيًّا يمرض بمرض تنفر منه الناس، فإن هذا من الأباطيل والأكاذيب التي نقلت عن الإسرائيليات، ولا يصحّ ولا يجوز تصديقها أو اعتقادها، لأنها تتنافى مع صفات الأنبياء، والقرآن الكريم لم يذكر لنا شيئًا من هذا، وإنما غاية ما ورد أنه قد أصابه الضُّرُّ في بدنه فيجب حمل ذلك على ما يليق بمنصب النبوّة من أنه بلاءٌ وضرٌّ طبيعيٌّ، وإن كان في حقيقة الأمر ثقيلًا شديدًا فدعا ربَّه -بعد أن اشتدّ به الكرب والضرّ- فكشف الله ما أصابه من كرب وبلاء، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[1]، وظاهرٌ من الآية الكريمة أن الضرّ الذي أصابه كان في جسمه وأهله، وهذا النوع من الضرّ يلحق البشر العاديين ويلحق الأنبياء عليهم السلام، فإن المرض يعتري الأنبياء عليهم السلام كما

(١) الأنبياء/ ٨٣، ٨٤.

يعتريهم الموت، وليس في ذلك شيء ينقص من قدرهم، أو يزري بمقامهم، وهم أشدّ الناس بلاءً كما أخبر النبيّ المصطفى ﷺ[1].

النسيان الجائز في حقهم عليهم السلام

وأما النسيان الجائز عليهم فهو كالسلام من الركعتين كما حصل مع الرسول ﷺ فقد ورد أنه قيل له عليه الصلاة والسلام: «أَقَصُرَت الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ قال: «**كلُّ ذلك لم يكن**»، ثم سأل أصحابَهُ: «**أصدق ذو اليدين؟**» -وهو السائل- فقالوا: نعم، فقام فأتى بالركعتين. رواه مسلم[2]. وقد شرحه النوويّ فقال: «قوله: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين» وفي رواية: «صلاة الظهر» قال المحققون: هما قضيتان، وفي حديث عمران[3] بن الحصين «سلَّم رسول الله ﷺ في ثلاث ركعات من العصر ثم دخل منزله، فقام إليه رجل يقال له: الخِرْباق، فقال: يا رسول الله. فذكر له صنيعه»، وفي رواية له: «سلّم في ثلاث ركعات من العصر ثم قام فدخل الحجرة فقام رجل بسيط اليدين فقال: أقصرت الصلاة؟ وحديث عمران هذا قضية ثالثة في يوم آخر. والله أعلم. قوله: «وأُخبرت عن عمران بن حصين أنه قال: وسلم، والقائل وأُخبرت هو: محمد بن سيرين[4]. قوله: «أقصرت الصلاة أو

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد، (١/ ١٧٣)، **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٧/ ١٦٠).

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، (٢/ ٨٦)، رقم ١٣١٦.

(٣) عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي من علماء الصحابة، (ت٥٢هـ)، أسلم عام خيبر وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة. **الأعلام**، الزركليّ، (٥/ ٧٠).

(٤) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر (ت ١١٠هـ)، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي من أشراف الكتاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزَّازًا يبيع الثياب. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ١٥٤).

نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ ذلك لم يَكُنْ**» فيه: تأويلان: أحدهما -قاله جماعة من أصحابنا في كتب المذهب-: أن معناه لم يكن المجموع، فلا ينفي وجود أحدهما. والثاني -وهو الصواب-: معناه لم يكن لا ذاك ولا ذا في ظني، بل ظني أني أكملت الصلاة أربعًا، ويدلّ على صحة هذا التأويل وأنه لا يجوز غيره أنه جاء في روايات البخاريّ في هذا الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «**لم تُقْصَرْ ولم أَنْسَ**» فنفى الأمرين. هذا كلام أبي عمر بن عبد البَرّ[1] مختصرًا. ثم قال: فإن قيل: كيف تكلم ذو اليدين والقوم وهم بعد في الصلاة؟ فجوابه من وجهين، أحدهما: أنهم لم يكونوا على يقين من البقاء في الصلاة لأنهم كانوا مُجَوّزين نسخ الصلاة من أربع إلى ركعتين، ولهذا قال: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ والثاني: أن هذا كان خطابًا للنبيّ ﷺ وجوابًا، وذلك لا يبطل عندنا وعند غيرنا، والمسألة مشهورة بذلك، وفي رواية لأبي داود بإسناد صحيح أن الجماعة: أَوْمَؤُوا أي نعم. فعلى هذه الرواية لم يتكلموا، فإن قيل: كيف رجع النبيّ ﷺ إلى قول الجماعة وعندكم لا يجوز للمصلّي الرجوع في قدر صلاته إلى قول غيره إمامًا كان أو مأمومًا ولا يعمل إلا على يقين نفسه؟ فجوابه: أن النبيّ ﷺ سألهم ليتذكّر فلمّا ذكّروه تذكّر فعلم السهو فبنى عليه، لا أنه رجع إلى مجرد قولهم. ولو جاز ترك يقين نفسه والرجوع إلى قول غيره لرجع ذو اليدين حين قال النبيّ ﷺ: «**لم تُقصَر ولم أنسَ**»، وفي هذا الحديث دليل على أن العمل الكثير والخطوات إذا كانت في الصلاة سهوًا لا تبطلها، كما لا يبطلها الكلام سهوًا. وفي هذه المسألة وجهان لأصحابنا أصحهما عند المتولّي[2]: لا يبطلها، لهذا الحديث. فإنه ثبت في مسلم أن النبيّ ﷺ مشى

---

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي -كان مجسمًا-، أبو عمر (ت٤٦٣هـ)، مؤرخ. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وتوفي بشاطبة. من كتبه: (الدرر في اختصار المغازي والسير) و(العقل والعقلاء) و(الاستيعاب). **الأعلام**، الزركلي، (٨/ ٢٤٠).

(٢) عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري، أبو سعيد، المعروف بالمتولي (ت٤٧٨)، فقيه مناظر عالم بالأصول. ولد بنيسابور وتعلم بمرو. وتولى التدريس بالمدرسة النظامية، ببغداد، وتوفي فيها. له: (تتمة الإبانة للفوراني) كبير في فقه الشافعية، لم يكمله، وكتاب في=

إلى الجذع وخرج السَّرَعَان[1]. وفي رواية: «دخل الحجرة ثم خرج ورجع الناس وبنى على صلاته» والوجه الثاني -وهو المشهور في المذهب- أن الصلاة تبطل بذلك، وهذا مشكل، وتأويل الحديث صعب على من أبطلها. والله أعلم»[2]اهـ. أما ما أُمِر النبيُّ ﷺ بتبليغه من القرءان الكريم فلا ينسى منه شيئًا قبل تبليغه، أما بعد تبليغه للناس فقد ينسى شيئًا منه لمدة ثم يتذكره.

يستحيل على الأنبياء عليهم السلام الجنون

ومما يستحيل على الأنبياء أيضًا الجنون، وأما الإغماء فيجوز عليهم، فقد ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يُغمى عليه من شدّة الألم في مرض وفاته ثم يُصبّ عليه الماء فيُفيق[3].

الأنبياء لا يؤثر في عقولهم السحر

ومـمَّا يستحيل عليهم تأثير السحر في عقولهم، فلا يجوز أن يُعتقد أن الرسول ﷺ أثّر السحر في عقله وإن كان قاله مَن قاله. وأما تأثير السحر في جسد النبيّ فقد قال بعض العلماء إنه جائز، إذ ورد أن يهوديًّا كان قد عمل السحر لرسول الله عليه الصلاة والسلام فتألّم الرسول ﷺ من جرَّاء ذلك، من غير أن يؤثر ذلك في عقله، والحادثة رواها البخاريّ[4] وغيره[5].

=الفرائض مختصر، وكتاب في أصول الدين مختصر. **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٣٢٣).

(١) قال بدر الدين العيني ما نصه: « قال ابن الأثير: السّرعان -بفتح السين والراء- أوائل الناس الذين يتسارعون إلى الشيء ويقبلون عليه بسرعة، ويجوز تسكين الراء»اهـ. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، (٧/ ١٨٥).

(٢) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النوويّ، (٢/ ٣٤٦)، رقم ٨٩٦.

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب صلاة الجماعة والإمامة، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، (١/ ١٦٥).

(٤) **صحيح البخاريّ**، البخاري، باب صفة إبليس وجنوده. (٤/ ١٤٨)، رقم ٣٢٦٨.

(٥) **سنن النسائي**، النسائي، (٧/ ١١٢)، **مسند أحمد**، أحمد، (٤/ ٣٦٧).

قال القاضي عياض في بيان المسألة على الوجه الشافي والتحقيق الكافي: «فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده»[1] اهـ.

وقال الرازي[2] في تفسيره: «فأما ما روي عن وهب أنهم سحروا أعين الناس وعين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3]، وبقوله تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[4]، فهذا غير جائز لأن في ذلك الوقت وقت إظهار المعجزة والأدلة وإزالة الشبهة، فلو صار بحيث لا يميز الموجود عن الخيال الفاسد لم يتمكن من إظهار المعجزة، فحينئذ يفسد المقصود؛ فإذًا المراد أنه شاهد شيئًا لولا علمه بأنه لا حقيقة لذلك الشيء لظنّ فيها أنها تسعى»[5] اهـ.

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (١٠/ ٢٢٧).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازيّ التيميّ البكريّ، أبو عبد الله، فخر الدين (ت ٦٠٦هـ)، الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشيّ النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته، ويقال له ابن خطيب الري، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه: (مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم)، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات)، و(معالم أصول الدين)، و(محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين)، و(المسائل الخمسون) في أصول الكلام، و(عصمة الأنبياء)، و(أسرار التنزيل) في التوحيد. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٣١٣).

(٣) الأعراف/ ١١٦.

(٤) طه/ ٦٦.

(٥) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٢٢/ ٧٣).

وتجب لهم الشجاعة ويستحيل عليهم الجبن[1]

وكذلك يستحيل على الأنبياء الجبن والنُّكُوص[2]، فلا يوصف نبيٌّ من الأنبياء بالذُّعر أو الفزع، أما الخوف الطبيعيّ فلا يستحيل عليهم، بل هو موجود فيهم، وذلك مثل النفور من الحية، فإن طبيعة الإنسان تقتضي النفور من الحية وما أشبه ذلك مثل التخوّف من تكالب الكفار عليهم حتى يقتلوهم فإن ذلك جائز عليهم.

تنبيه مهم: لا يقال عن النبيّ ﷺ هَرَبَ لأن كلمة «هربَ» تشْعِرُ بالجبن، أما فَرَّ من الأذى مثلًا فلا يشعر بالجبن، فيقال: هاجر فرارًا من الكفار أي من أذى الكفار، هذا جائز ما فيه نقص، وعلى هذا المعنى يُحمَل قولُ الله تعالى إخبارًا عن موسى أنه قال: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

لا تصح النبوة لمن يقترف أفعالاً خسيسة

لا يختار الله تعالى لمنصب النبوة إلا من هو سالم من الرذالة كالزّنَى والخيانة والسفاهة والغباوة والبلادة، فمن كانت له سوابق من هذا القبيل لا يصلح للنبوة ولو تخلّى عنها بعد ارتكابها، إذا عرفتَ ذلك فلا تجوز النبوة لإخوة يوسف العشرة الذين فعلوا تلك الأفاعيل الخسيسة وهم من سوى بنيامين، لأنه كان صغيرًا وما شاركهم في هذا من ضربهم يوسفَ عليه السلام ورميهم له في البئر للتخلص منه، وتسفيههم أباهم وهذا كفر[4] منهم بقولهم ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى

---

(١) «جبان أي ضعيف القلب»اهـ. **المصباح المنير**، الفيومي، مادة: ج ب ن، (ص ٢٥).

(٢)نَكَصَ عن الأمر ينكُصُ نَكْصًا ونُكوصًا: تكأكأ عنه وأحجم. **تاج العروس**، الزبيدي، مادة: ن ك ص، (٩/ ٣٧٤).

(٣) الشعراء/ ٢١.

(٤) علمًـا أنهم قد تابوا التوبة الشرعية ورجعوا إلى الإسلام، ولكن مع هذا لا تصح لهم =

ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[1]، وليس المراد بقول الله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾[2] أن الأسباط هم إخوة يوسف هؤلاء المتقدّم ذكرُهُم، بل المراد ذريّتهم أو ما يشمل أخاهم بنيامين وذريتهم. فالأسباط الذين ذكرهم الله في القرآن أنه أُنزل عليهم الوحي هم غير هؤلاء الذين آذَوا سيدنا يوسف عليه السلام واقترفوا تلك الأفعال، والسّبْطُ لُغَةً يُطلق على الولد وولد الولد[3].

قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[4].

=النبوة بوجه من الوجوه.

(١) يوسف/ ٨.

(٢) النساء/ ١٦٣.

(٣) **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: س ب ط، (ص ٨٦٤). **مختار الصحاح**، الرازي، مادة: س ب ط، (ص ١٢٠). **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: س ب ط، (٧/ ٣١٠).

(٤) البقرة/ ١٣٦.

الفصل الثالث:
في بيان ما جاء في عدد الأنبياء والرسل
عليهم الصلاة والسلام

إنَّ سيدنا آدم عليه السلام هو أول البشر، وقد أرسله الله تعالى إلى زوجته حواء وأولادهما ليعلّمهم دين الحق دين الإسلام، وكان عليه السلام جميل الصورة والصوت، منتصب القامة، مغطّى العورة، يرتدي الملابس التي حاكتها له السيدة حواء التي تعلّمت هي وزوجها سيدنا آدم عليهما السلام أصول المعيشة على يد سيدنا جبريل عليه السلام.

ومن الكفر كما هو معلوم في دين الله إنكار نبوّة نبيّ مجمع على نبوّته كموسى وعيسى وإبراهيم وآدم عليهم الصلاة والسلام، ونبوّة آدم اتّفق المسلمون عليها وأجمعوا، وممن نقل إجماعهم في ذلك الإمام أبو منصور التميميّ البغداديّ في موضعين من كتابه أصول الدين فقال ما نصه: «أجمع أصحابُ التواريخ من المسلمين على أنّ عددَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا كما وردت به الأخبار الصحيحة أوّلهم أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبيّنا محمد ﷺ» اهـ. وقال في موضع آخر: «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أنّ أوّل مَن أرسل من النّاس آدم عليه السلام»[5] اهـ. وهذا الإجماع مستند إلى النصوص القرآنية والحديثية.

فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الآية[6]، وفي ذلك دليل واضحٌ على رسالة آدم، وأن أبناءه كانوا على

---

(٥) **أصول الدين**، البغداديّ، (ص١٥٩، ١٧٥).

(٦) المائدة/ ٢٧.

شريعة أنزلت على أبيهم، ولو لم يكن نبيًّا مرسلًا فكيف كانوا يعرفون الأحكام من تحليل وتحريم.

وقد استدل الفخر الرازي على رسالة آدم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾[1] فقال: الرسالة والاجتباء متلازمان لأن الاجتباء لا معنى له إلا التخصيص بأنواع التشريفات وكل من جعله الله رسولًا فقد خصه بذلك لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]»[3] اهـ.

ومن السنة أحاديث كثيرة منها حديث الترمذي عن أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ، وما مِنْ نبيّ يومئذٍ آدم فَمَنْ سواهُ إلا تحتَ لوائي، وأنا أولُ مَنْ تنشقُ عنه الأرضُ ولا فخر**»[4] الحديث.

ومنها أيضًا حديث البخاريّ: «**لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأوّل كِفْلٌ من دمها**»[5] إذ لو لم يكن مرسلًا إلى أبنائه لم يكونوا مكلفين، فلم يكن يُكْتَب على ابن آدم المذكور ذنب.

وأما تكفير منكر نبوّته فهو في الفتاوى الهندية ففيها ما نصّه: «عن جعفر في من يقول: آمنتُ بجميع أنبيائه ولا أعلم أنَّ آدم نبيٌّ أم لا، يكفر كذا في العتابية»[6]اهـ.

وقال ملا علي القاري[7] في شرح الفقه الأكبر ما نصه: «والأنبياء عليهم

(١)طه/ ١٢٢.

(٢)الأنعام/ ١٢٤.

(٣)**مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، (٢/ ١٦٤).

(٤) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، باب في فضل النبيّ ﷺ، (٥/ ٣٠٨)، رقم ٣١٤٨.

(٥) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، (٤/ ١٦٢)، رقم ٣٣٣٥.

(٦) **الفتاوى الهندية**، نخبة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، (١٧/ ١٤٣).

(٧) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، فقيه حنفي،=

الصلاة والسلام كلّهم أي جميعهم الشامل لرسلهم ومشاهيرهم وغيرهم أولهم آدم عليه الصلاة والسلام على ما ثبت بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة، فما نُقل عن بعض من إنكار نبوّته يكون كفرًا»[1]اهـ.

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه بتفضيل الجنس البشريّ على غيره من الأجناس، ولو كان أولهم آدم وأبناؤه يعيشون بغير شريعة يعملون بها لكانوا كالبهائم ليس لهم ذلك الفضل الذي ناله أبوهم بإسجاد الملائكة له.

وروى ابن حبّان في صحيحه قال: «أخبرنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمّد بن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام قال: سمعت أبا سلام قال: سمعت أبا أمامة أن رجلًا قال: يا رسول الله، أنبيًّا كان آدم؟ قال: «**نعم مُكَلَّم**[2]»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**»[3].

وفي صحيح ابن حبّان أيضًا عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**» قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا**»، قلت: يا رسول الله من كان أوّلهم؟ قال: «**آدم**» قلت: يا رسول الله أنبيّ مرسل؟ قال: «**نعم، خلقه الله**

=من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: «كان يكتب في كل عام مصحفًا وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام»اهـ. وصنف كتبًا كثيرة منها: (تفسير القرآن)، و(الأثمار الجنية في أسماء الحنفية) و(الفصول المهمة) في الفقه. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ١٢).

(١) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، (ص ٥٦).

(٢) «مكلّم أي لم يكن نبيًّا فقط بل كان نبيًّا مكلّمًا أنزل عليه الصحف»اهـ. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ملا علي القاري، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء، (١/ ٣٩٩).

(٣) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما من القرون، باب بدء الخلق، (١٤/ ٦٩).

بيده[١] **ونفخ فيه من روحه**[٢]»[٣]، وكلام من تكلّم في إبراهيم بن هاشم بن يحيى الغسّانيّ أحد رواة هذا الحديث لا يضرّ في تصحيحه لأن ابن حبان ذكره في كتاب الثقات[٤].

ورواه الحافظ ابن حجر[٥] في عدة مواضع مطوّلًا وعزاه لمحمد بن أبي عمر، ومختصرًا وعزاه لإسحاق بن راهويه.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذا الحديث[٦] أيضًا في شرح البخاريّ عازيًا له لابن حبّان مع ذكر أن ابن حبّان صحّحه ولم ينتقده لكون ذلك الراوي المختلف فيه قد وجد لحديثه شواهد، وكثير من الأحاديث يكون في إسنادها من هو مختلف في توثيقه ويوجد لحديثه شاهد[٧] يُقوّيه ويجبُر ما فيه من وهن.

وقال في موضع آخر: «قوله الآية قيل قدّم ذكر نوح فيها لأنه أول نبيّ أرسل أو أول نبيّ عوقب قومه، فلا يردّ كون آدم أول الأنبياء مطلقًا كما سيأتي بسط القول في ذلك في الكلام على حديث الشفاعة»[٨]اهـ.

ويحتّم كون آدم رسولًا أن النبيَّ غير الرسول يكون تابعًا لرسول قبله، ولم يكن قبل آدم بشر حتى يكون فيهم رسول ويكون آدم نبيًّا تابعًا له.

---

(١) بيده: أي بعنايته.

(٢) من روحه: أي من الروح المشرّفة عند الله.

(٣) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، (٢/ ٧٦).

(٤) **الثقات**، ابن حبان، (٨/ ٧٩)، رقم ١٢٣٢٦.

(٥) **المطالب العالية**، ابن حجر، (١٤/ ٢٢٠).

(٦) **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٣٦١).

(٧) «الشاهد أن يروى حديث آخر بمعناه يعني من حديث صحابي آخر»اهـ. **النكت على كتاب ابن الصلاح**، ابن حجر، (٢/ ٦٨٢).

(٨) **فتح الباري**، ابن حجر، المقدمة، (١/ ٩).

أما حديث البخاريّ الذي فيه: «**أن الناس يأتون نوحًا يوم القيامة فيقولون: أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض**»[1] فمعناه أنه أول رسول أُرسل إلى قبائل متعددة لأن من كان قبله لم يكونوا كذلك، فوصف نوح عليه السلام بالأولية في الرسالة ليس مطلقًا وإنما هو مقيّد بدليل ذكر المتعلَّق بعده وهو: «**إلى أهل الأرض**»[2].

ومن الدليل على رسالة آدم أنه أُحِلَّ له أن يزوّج بنيه من بناته، الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر، ثم نسخ هذا الحكم بموته. ولولا أن فعل آدم الذي فعله من تزويج بنيه من بناته بوحي أوحي إليه لأنه رسول من الله لكان ذلك التصرف تصرفًا باطلًا، ولكان ذلك كتسافد[3] البهائم، ولكان البشر الأول لا نسب لهم شرعيّ بل كانوا أبناء زنى، وذلك منافٍ لكرامة آدم عند الله.

فنفي رسالة آدم تكذيب للدين فهو كفر، وهو كإنكار نبوته الذي نقل الإجماعَ على أنه كفر غيرُ واحدٍ، منهم ابن حزم[4] فقد ذكر أنَّ المخالِف في ذلك متّفق على

(١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الإسراء، (٦/ ١٠٥).

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر، (١١/ ٤٣٤).

(٣) «السّفاد: نَزْو الذَّكَر على الأنثى». **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: س ف د، (٣/ ٢١٨).

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهريّ (ت ٤٥٦ هـ)، انتقد كثيرًا من العلماء والفقهاء، وأجمعوا على تضليله وحذّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية من بلاد الأندلس فتوفي فيها. أشهر مصنفاته: (الفصل في الملل والأهواء والنحل). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٢٥٤، ٢٥٥). وفي جنوحه نحو الفلسفة التي كان فيها مخالفة لمعتقد المسلمين قال الذهبيّ: «مهر في المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثّرت فيه تأثيرًا ليته سلم من ذلك»اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (١٨/ ١٨٦). فالحذر كل الحذر من مطالعة كتب الظاهريّ إلا بعد التضلّع من علوم الشريعة لاسيما ما فيها مما يتعلق بأصول الدين وقواعد العقائد والمعاني والحقائق، لأنه لم تكن له يد في هذه العلوم، وإنما أخذها بالفهم فلم يحسن كلامه فيها، وإنما ذكرنا ابن حزم مع ضلاله لأنه ينقل إجماع الصحابة.

كفره، وذلك في كتابه مراتب الإجماع[١].

خاتم الأنبياء محمد ﷺ

لقد ختم الله تعالى الأنبياء بسيدنا محمد ﷺ فمن الكفر اعتقاد نبوة أحد بعد نبينا محمد ﷺ، لِـمَا فيه من تكذيب للقرآن والسنّة وإجماع المسلمين المعلوم بين علمائهم وعوامهم، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٢]، وأما السنّة فقوله ﷺ: «**وأنا العاقب الذي ليس بعده نبيّ**»[٣] أخرجه البخاريّ وغيره، وغير ذلك من الأحاديث، ومخالفة القاديانية أتباع غلام أحمد القادياني[٤] لهذه العقيدة الحقّة كفر، لأنها تكذيب

---

(١) **مراتب الإجماع**، ابن حزم، (١/ ١٧٣).

(٢) الأحزاب/ ٤٠.

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، (٤/ ٢٢٥).

(٤) أحمد بن مرتضى بن محمد القاديانيّ (ت ١٣٢٦هـ)، ويسمى ميرزا غلام أحمد، مدّعي النبوة كاذبًا وهو كفر. هنديّ له كتابات عربية. نسبته إلى (قاديان) من قرى (بنجاب) ولد ودفن فيها. قرأ شيئًا من الأدب العربيّ، خدم الحكومة الإنكليزية أيام احتلالها للهند مدةً عمل بها كاتبًا في المحكمة، ولـمّا تم القرن الثالث عشر الهجريّ نعت نفسه بمجدد المائة، ثم أعلن أنه المهديّ وزاد فادعى أن الله أوحى إليه والعياذ بالله، واتبعه جمهور من الهنود، على زعمهم أنه نبيّ تابع للشريعة الإسلامية، وأنه أحمد المعنيّ بالآية: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف / ٦]، ووضع كتبًا بالعربية والأوردية، منها الكتاب المسمى: (مواهب الرحمن) سنة ١٩٠٣م، جاء فيه قوله: «إنني امرؤ يكلمني ربي، ويعلّمني من لدنه، ويحسن أدبي ويوحي إلي رحمة منه فأتبع ما يوحي»اهـ. (ص ٣)، وقوله: «إني أنا المسيح الموعود والإمام المنتظر المعهود»اهـ. (ص ٧)، وقوله: «وأُوْحِيَ إليَّ من الله كالأنوار الساطعة»اهـ. (ص ٢٩)، وقوله: «هذه الحكومة، حرام على كل مؤمن أن يقاومها بنية الجهاد، وما هو جهاد بل هو أقبح أقسام الفساد»اهـ. (ص ٤٤). ولا يزال له أتباع إلى اليوم في الهند وباكستان. وتصدى كثير من معاصريه للرد عليه وتكفيره، منهم حسين بن محسن السبعيّ اليمانيّ في كتابه: (الفتح الربانيّ)، وأنوار الحيدرآباديّ في: (إفادة الأفهام وإزالة الأوهام)، ومحمد علي الرحمانيّ الكانپوريّ=

للنصوص وردٌّ لها، حيث قال غلام أحمد هذا عن نفسه إنه نبيّ رسول، وتارة يقول إنها نبوة تجديدية، وتارةً إنها نبوة ظلية أي تحت ظل محمد يريد بذلك التستّر بهذه العناوين المزيّفة لئلا يشتدّ عليه النكير في ما ادّعاه خوفًا من الشناعة عند الإشاعة، ولكن لم يتهيّأْ له مراده الخبيث، فنهض المسلمون ليقتلوه أول ما دعا إلى الإيمان بأنه نبيّ لكنّه احتمى بالإنكليز، فشرطوا عليه أن يعطل حركة الجهاد في الهند كلها، فقال في ما ادعى أنه وحي من الله: «يجب علينا شكر الدولة البريطانية لأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وحرام علينا وعلى جميع المسلمين محاربة الإنكليز»اهـ. فوفى بالشرط الذي طلبوا منه، ثم قام مقامه بعض ذريته لتلك الدعوة.

ومن جملة تمويهاتهم السخيفة أنهم يقولون: معنى «**لا نبيَّ بعدي**» المذكور في الحديث لا نبيّ آخر في حال حياة محمد ﷺ، وهذا تحريف للحديث البَيّنِ الصراحةِ، بل معناه أنا آخر النبيين، لا يأتي بعدي نبيّ إلى يوم القيامة. ويصدق هذا الحديثُ الصحيح الذي رواه مسلم فإنه ﷺ قال: «**وخُتِمَ بي النبيّون**»[1] فمن العبث محاولة تأويل مثل هذه النصوص فقد قدّم النبي ﷺ متعلّق الفعل وهو (بي) على (**النبيّون**) لإفادة الاختصاص[2] أي خُتم بي لا بغيري، ولا يخفى هذا على من له أدنى إلمام بلغة العرب.

وفي الحديث الآخر جاء الخبر بأسلوب لا النافية للجنس المفيد للنفي القاطع فهي -كما هو مقرَّر عند النحاة- نص صريح في النفي[3] فلا يخرج عنه إلا بدليل

=في: (الصحيفة الرحمانية). وقال لي -أي للزركلي صاحب كتاب الأعلام- أحدُ علماء الهند: «كان الإنكليز أكبر أعوان القاديانيّ على نشر دعوته لإحداث الانشقاق في وحدة المسلمين بالهند وصرفهم عن التفكير في مقاومة احتلالهم لبلادهم». **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٢٥٦).

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، باب المساجد، (٢/ ٦٣)، رقم ١١٩٥.

(٢) **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، الرازي، (ص ١٨١).

(٣) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل، (١/ ١٩٤).

قاطع. وهذا يزيد معنى ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1] وضوحًا أنه بمعنى آخرهم أي الآخر الذي لا نبيّ بعده، وكذلك قوله ﷺ لعليّ رضي الله عنه عند السفر إلى تبوك: «**أما ترضى أن تكون منّي بمنـزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي**»[2] رواه البخاريّ، وقوله ﷺ: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[3]. رواه البخاريّ. وهذا التمويه يُردّ أيضًا بقوله ﷺ: «**لو كان بعدي نبيّ لكان عمر بن الخطاب**»[4] رواه الترمذيّ، وبالحديث الذي فيه إخبار النبيّ أنه سيأتي بعده كذّابون كل منهم يزعم أنه رسول الله، فغلام أحمد داخل في هؤلاء لأن الرسول ذكر أنهم ثلاثون ولم يدّعِ في حياة رسول الله ﷺ أحدٌ النبوة إلا الأسود العنسيّ[5] ومسيلمة الكذّاب.

---

(١) الأحزاب/ ٤٠.

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب المغازي، غزوة تبوك، (٦/ ٣)، رقم ٤٤١٦.

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، (٩/ ٤٠)، رقم ٦٩٩٠.

(٤) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٥/ ٦١٩)، رقم ٣٦٨٦.

(٥) عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الخمار متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن. كان بطاشًا جبارًا. أسلم لـمَّا أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ﷺ فكان أول مرتد في الإسلام. وادعى النبوة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مَذْحِج. وتَغَلَّب على نجران وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن. وجاءت كتب رسول الله ﷺ إلى من بقي على الإسلام في اليمن، بالتحريض على قتله، فاغتاله أحدهم في خبر طويل أورده ابن الأثير. وكان مقتله قبل وفاة النبي ﷺ بشهر واحد. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ١١١).

الباب الثاني: في كشف افتراءات على أنبياء اللّه عليهم السلام والرد عليها

الفصل الأول:
في بيان بعض ما يفترى على سيدنا آدم عليه السلام

وسنبدأ ردودنا على بعض ما ينسب ويُفترى على بعض أنبياء الله تعالى عليهم السلام على ترتيب الزمان بدءًا بقصة آدم عليه السلام وختمًا بنبيّنا محمد ﷺ وذلك ببيان الأدلة القرآنية والحديثية وأقوال العلماء المعتبرين.

آدم عليه السلام جميل الشكل والصورة

دارت حول سيدنا آدم عليه السلام أقاويل وأباطيل مخالفة للحقائق الثابتة الواردة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الصحيحة، أوْهَمَتْ بعضَ ضعاف العقول أنه كان قردًا أو يشبه القرد، أو أنه ارتكب معصية كبيرة بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها في الجنة، وأنه بقيت آثارها حتى جاء نبيّ من الأنبياء لينقذ البشرية ويخلّصهم ويفديهم من درن هذه المعصية والعياذ بالله تعالى من الضلال، أو أنّ إبليس جاء إلى آدم وقد مات له ولد اسمه عبد الله، فقال: إن شئت أن يعيش لك الولد فسمّه عبد الحارث أي عبد الشيطان فسمّاه كذلك، وغيرها من الأقاصيص المفتراة.

وقبل أن نردّ على هذه الافتراءات يجدر بنا أن نذكر أن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فسيدنا آدم عليه السلام أوتي الرسالة والنبوّة، وهو أبو البشر وأول إنسان خلقه الله تعالى كما تقدّم

(١) آل عمران/ ٣٣.

ذكره، وهو أول الجنس البشريّ الذي فضّله الله على سائر أجناس المخلوقات، فهوأفضل من الجنس الملَكيّ وأفضل من جنس الجنّ.

خلق آدم يوم الجمعة

وكان خَلْقُهُ عليه السلام في الجنة آخرَ ساعة من يوم الجمعة من الأيام الستّ التي خَلَق الله فيها السموات والأرض كما جاء في الحديث: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم**»[1].

وقد خلق الله عزَّ وجلَّ سيدتنا حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصر[2]، وقيل لذلك سمّيت حواء بهذا الاسم لأنها خُلِقَت من شيء حيّ، قال ربنا سبحانه: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾[3]، وقد زوّج الله تعالى آدم حواء وجعلها له حلالاً في الجنة ثم كانا كذلك في الأرض.

---

(١) **سنن أبي داود**، أبو داود، (١/ ٤٠٥).

(٢) قال ابن حجر: «قوله ﷺ: «**فإنهن خلقن من ضلع**» وكأن فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحاق في المبتدأ عن ابن عباس أن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر، وكذا أخرجه ابن أبي حازم وغيره من حديث مجاهد» اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٩/ ٢٥٣).

(٣) الأعراف/ ١٨٩.

الرد على نظرية داروين[1]

إنّ مما يفترى على الإنسان الأول الذي هو سيدنا آدم عليه السلام أنه كان قردًا أو يشبه القرد، وهذا من الكذب الظاهر الذي شاع عبر نظرية فاسدة ابتدعها بعض الكفار والمضلّلين وفيها تكذيب لقول الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾[2]، أي في أحسن صورة، فآدم عليه السلام لم يكن أصله قردًا ثم ترقّى حتى صار إنسانًا، فهذا القول فيه تكذيب للآية المذكورة وللحديث الصحيح: «**كان آدم ستينَ ذراعًا طولًا في سبعة أذرع عرضًا**»[3] رواه الإمام أحمد، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[4]، ذكروا في تفسير هذه الآية أنَّ الله سبحانه وتعالى لـمَّـا خلق الجنة وخلق هذه الأرض أمر بعض الملائكة أن يأخذ من تراب هذه الأرض أبيضِها وأسودِها وما بين ذلك وسهلِها وحَزْنِها -أي صعبِها- وما بين ذلك، ثم يُرفع هذا التراب إلى الجنة ويغسل بماء الجنة فيصير طينًا ثم حوّل الله هذا الطين إلى صلصال يابس كالفخار وسوّاه لحمًا

---

(١) «تشارلز روبرت داروين» Charles Robert Darwin عالم تاريخ طبيعيّ بريطانيّ وعالم حيوان، اشتهر بما سمّي بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعيّ حول نشأة الإنسان. ولد في إنجلترا في ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفي في ١٩ نيسان ١٨٨٢، بدأ اهتمام «داروين» بالتاريخ الطبيعيّ أثناء دراسته للطب. ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام «داروين» بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات. صدر كتاب له تحت عنوان: (أصل الأنواع) في عام ١٨٥٩ . لكن نظريته المخالفة للعقل السليم وللدين الإسلاميّ وُوْجِهَتْ بانتقاد كبير وخصوصًا من طرف رجال الدين في جميع أنحاء العالم، وهو نفسه ظل حائرًا في ما عرف بما سماه: (الحلقة المفقودة)، التي تتوسط الانتقال من طبيعة القردة للإنسان الحديث.

(٢) التين/ ١ – ٤.

(٣) **مسند أحمد**، أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٢/ ٣٥٣)، رقم ١٠٩٢٦.

(٤) النساء/ ١.

وعظمًا ودمًا، وقبل أن تنفخ الروح فيه أتى إبليس وصار يدور حوله ويقول: «لأمرٍ ما خُلِقْت»، وكان إبليس في مبدأ أمره جنيًّا مسلمًا مؤمنًا يعبد الله مع الملائكة ثم كفر بعد ذلك لاعتراضه على الله، لأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم وكان معهم في ذلك الحين إبليس الذي هو من الجن، فلم يَسجدْ معترضًا على أمر ربّه قال الله سبحانه وتعالى في حق آدم عليه السلام: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1]، وليس معنى الآية أن الله روح وآدم جزء منه حاشا لله، فالله هو خالق الأرواح فلا يُشبهها، وإنما أضاف الله روح آدم إلى نفسه تشريفًا لآدم كما أضاف روح عيسى إلى نفسه تشريفًا لعيسى عليه الصلاة والسلام.

وقد علّم الله تعالى سيدَنا آدم أسماء الأشياء كلها، قال الله عزَّ من قائل: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[2]، فلقد كان آدم عليه السلام يعرف أن هذا جبل وهذا سهل وهذه سماء، ويعلم كلّ اللغات ويتكلم باللغة السريانية ويحسن التعبير، وكان جميل الشكل والصورة، ولم يكن قبيح المنظر بشعًا، فقد ورد عن قتادة رضي الله عنه أنه قال: «**ما بعث الله نبيًّا إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت**»[3] رواه الترمذيّ وقد تقدَّم.

وإنما نشأتْ هذه النظرية الفاسدة الباطلة في البلاد الأوروبية ثم تردّد صداها في بلاد المسلمين شيئًا فشيئًا حتى ولجت مناهج المدارس والجامعات وهي تقول: إن الإنسان أصله قرد ثم ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار هذا الإنسان، وهذه النظرية مسماة بنظرية (النشوء والارتقاء) التي ابتدعها (داروين) وتلقَّفها المفتونون بكل جديد ولو كان سخيفًا باطلًا.

ويقول في نظريته الفاسدة هذه إن الإنسان بدأ حياته بجرثومة صغيرة، ظهرت على سطح الماء ثم تحوّلت إلى حيوان صغير، ثم تدرّج هذا الحيوان فأصبح

---

(١) الحجر/ ٢٩.

(٢) البقرة/ ٣١.

(٣) **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، الترمذيّ، (١/ ٢٦١).

ضفدعًا، فسمكة، فقردًا، ثم ترقّى هذا القرد وتمدّن فصار إنسانًا، فالإنسان في نظره قرد متمدّن، وقد استطاع ذلك القرد بعبقريته ونبوغه أن يتطوّر ويتغيّر فيصبح إنسانًا ذكيًّا بعد أن كان قردًا غبيًّا.

إن هذه النظرية مردودة باطلة عند جميع المسلمين، ومن يعتقدها لا يكون مؤمنًا بالله ورسوله، فالمسلم يعتقد أن آدم عليه السلام الذي هو أول البشر كان جميل الشكل ولم يكن قبيحًا ولا شبيهًا بالقرد ولا على هيئة أخرى منفّرة، وقد جاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا**»[1] والضمير في كلمة «**صورته**» يعود على آدم، أي أن الله خلق آدم على صورة آدم الأصلية ولم يترقَّ من قرد إلى أن صار إنسانًا، وعند مسلم رواية أخرى فيها: «**إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته**»[2]، فالمراد بهذا الحديث إنْ أُعيد الضمير إلى الأخ أن الله خلق آدم على صورة المضروب[3]، وإن أُعيد الضمير إلى الله كان على معنى المِلْك، فتكون الإضافة للتشريف[4]، فكأنه قال خلقه على الصورة التي هي مِلك له مشرّفة عنده، وهكذا يقال في الحديث: «**لا تقبّحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن**[5]»، ولا يصحّ تفسير الحديث بما قال بعضهم من أن المراد

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (١٣/ ٥٠٤)، رقم ٨١٧١.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه، (٨/ ٣٢)، رقم ٦٨٢١.

(٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، (ص ٢٩٠). **الباز الأشهب**، ابن الجوزيّ، (ص ٦٤). **مشكل الحديث**، ابن فورك، (ص ٥٠).

(٤) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، (ص ٢٩١). **الباز الأشهب**، ابن الجوزيّ، (ص ٦٥).

(٥) معنى «**صورة الرحمن**»: الصورة التي خلقها الله وشرَّفها كما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾ [ص] أي بحفظي ورعايتي، وكالإضافة في قوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴿٦٤﴾﴾ [هود]. وليس المراد أن الله له صورة متكيّفة كما أن للمخلوقات صورًا وأشكالًا وكيفيّات فقد نقل البيهقيّ عن الحافظ المحدّث الفقيه أبي سليمان الخطّابي أنه قال: «إنّ الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن رَبَّنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإنَّ=

أنه خلقه على صفاته تعالى من السمع والبصر والعلم فإن صفات الله ليست كصفات غيره. فقد أجمع أهل الحق أن الله ذات واحد له صفات أزلية بأزلية الذات أبدية لا تزول، وذلك لا ينافي الوحدانية.

ولقد جعل الله عوالم المكلفين ثلاثة: الملائكة والإنس والجن، فالملائكة من نور والجن من نار والإنس من طين كما ورد في الحديث[1]، بل صرَّح القرآن بذلك في الجن والإنس فحدَّد لكل عالم عنصرًا خاصًّا به، ولو كان الإنسان يترقّى من قرد أو غيره لَبَيَّنَهُ الله حينما ذكر عنصري الثقلين: الإنس والجانّ، أو لبيّنه الرسول ﷺ حينما ذكر الثلاثة: آدم والملائكة والجانّ، فالقرد قرد منذ خلقه الله لم يتحول إلى حيوان آخر ولن يتحول إليه في المستقبل ولو مضى عليه مئات السنين، والإنسان إنسان كذلك، والفرس فرس كذلك، اللهم إلا ما جاء في القرآن عن مسخ بعض اليهود قردة وخنازير، وهذه حالة نادرة جعلها الله عبرة ونكالًا، على أن أولئك الممسوخين لم يعيشوا أكثر من ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا، قال عزَّ مِن قائل: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2]. فنظرية «داروين» التي تقول إن الإنسان أصله قرد ثم ترقّى بسبب عوامل مجهولة حتى صار إنسانًا هي نظرية باطلة لا تقوم على أساس علميّ وتردّها دلائل النقل. على أنها هي في نفسها لا تُفيد علمًا قاطعًا يقينيًّا من جهة واضعها لأنه أعني داروين بنى ذلك على الظنّ كغيره من أصحاب النظريات وهم مُسلّمون بمظنونيّة نظريّاتهم وأنها ليست حقيقة علمية بل مجموعة فَرَضيات، فأمكن ردّها من كلامهم، والله الموفّق للصواب.

=الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية»اهـ. **الأسماء والصفات**، باب ما ذكر في الصورة، (ص ٣٧٦).

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب فى أحاديث متفرقة، (٨/ ٢٢٦).

(٢) البقرة/ ٦٥، ٦٦.

التحذير من قول مَن يقول
إنه قبل آدم كان هناك أوادم كثيرة

ويزعم بعض الناس أن آدم ليس هو أول النوع الإنسانيّ بل قبله أوادم كثيرة، وهذا أيضًا كلام مردود، فقد زعمت بعض الجماعات في الهند أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم، وقد كانوا يدّعون أن آدم كان عبدًا من عبيدهم، هرب إلى الغرب، وجاء بأولاده، وإلى هذا يشير أحدهم بقوله: (الخفيف)

جائزٌ أَنْ يكونَ آدمُ هذا قَبْلَهُ آدمٌ على إِثْرِ آدمْ

وقوله (الطويل):

وما آدمٌ في مَذْهَبِ العَقْلِ واحدًا ولكنه عندَ القياسِ أَوادمُ

إنكار شبهة أخرى عن آدم عليه السلام

من الغلوّ القبيح قول بعض المنحرفين من أدعياء التصوف: «إن آدم كان منهيًّا عن الأكل من الشجرة ظاهرًا مأمورًا باطنًا». وقال بعض هؤلاء في إخوة سيدنا يوسف مثل ذلك، وذلك تكذيب للنص، فهذا القول الفاسد يوقع الاختلاف في كلام الله تعالى، وقد نفاه الله سبحانه عن كلامه المقدس بقوله عزَّ اسمه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]، أما في حقّ سيدنا آدم عليه السلام فقد قال الله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2]، والسبب في ذلك أن آدم خالف النهي الذي نهاه الله، لأنه أعلمه بالمنع من أكل شجرة واحدة من أشجار الجنة، وأباح له ما سواها، فوسوس الشيطان له ولحواء أن يأكلا منها،

(١) النساء/ ٨٢.

(٢) طه/ ١٢١.

وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[1]، فأكلا منها فأخرجهما الله تعالى من الجنة، وكان ذلك قبل أن تنزل عليه النبوة والرسالة، لأنه إنما نُبّئ بعد أن خرج من الجنة فتابا من تلك المعصية، ولا تعدّ تلك المعصية معصية كبيرة بل هي صغيرة ليس فيها خسة ولا دناءة، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[2]، أخبرنا الله بأنه نُهِي ولم يخبرنا بأنه أُمر بالأكل من الشجرة، وكيف يجتمع الأمر بشيء والنهي عنه في حق شخص واحد في وقت واحد؟ ولو كان عليه السلام مأمورًا باطنًا بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، فأين يقع قول الله تعالى: ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] ثم أخبرنا الله تعالى بأنه تاب عليه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[4]، أي قَبِلَ توبته من المخالفة، ولو أنه كان مأمورًا باطنًا فأي مخالفة يقع المتاب منها؟ وأما إخوة يوسف الذين كادوه وآذَوْه فلم يخبرنا الله تعالى إلا بجرائمهم، وأخبرنا أن سيدنا يوسف قال لهم في القرآن: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[5]، فكيف يعقل أن يكونوا مأمورين باطنًا[6].

آدم وحواء لم يسميا ولدهما عبد الحارث

ومن الافتراءات والأكاذيب الفاسدة الكفرية التي طالت سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام وزوجته أنّ إبليس جاء إلى آدم وقد مات له ولد اسمه عبد الله، فقال: إن شئت أن يعيش لك الولد فسمّه عبد الحارث، والحارث يراد به

---

(١) الأعراف/ ٢٠.

(٢) طه/ ١٢٢.

(٣) الأعراف/ ١٩.

(٤) البقرة/ ٣٧.

(٥) يوسف/ ٩٢.

(٦) انظر في قصة تبرئة يوسف عليه السلام من هذا الكتاب، فإنّ فيها توسُّعًا في هذا الموضوع.

الشيطان، فسمَّاه كذلك، وهذا كفر والعياذ بالله تعالى.

وفي رواية مكذوبة قيل فيها: إن حواء لـمَّا حملت أول حمل لم تدر ما هو، فجزعت لذلك، فوجد إبليس السبيل إليها، فأتاها في صورة رجل لـمَّا أثقلت في أول حملها، فقال: ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري، قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، فقالت ذلك لآدم عليه السلام، فلم يزالا في هَمّ من ذلك. ثم عاد إليها -أي إبليس- فقال: إنني من الله بمنـزلة، فإن دعوتُ الله فولدت إنسانًا أفتسمينه بي؟ قالت: نعم. قال: فإني أدعو الله. فأتاها وقد ولدت فقال: سميه باسمي. فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث -ولو سمَّى لها نفسه لعرفته- فسمته عبد الحارث. ونحو هذا معدود في ضعيف الحديث، وإن كان الترمذي قد حسَّنه[1]، إلا أنّه أشار إلى إشكال فيه وذلك أن من رواة الحديث من لم يرفعه، والطريق الآخر المرفوع في رواته من يُنظر في حديثه ولا يكتفى بمجرد الرواية عنه لأنه وإن كان قد عدّله الترمذي في ذاته إلا أن ذلك كان بأدنى درجات التعديل المستفاد من قوله: (شيخ) وأصرح من هذا تجريح ابن حبّان له بقوله: «يخطئ ويخالف»اهـ، ومن ثَمَّ قال أبو حاتم الرازي عنه: «لا يحتج به» [2] اهـ.

ونص الرواية عند الترمذي: روى عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لـمَّا حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»اهـ.

---

(١) اعترض الغماري على ذلك فقال: «هذا الحديث حسنه الترمذي وهو ضعيف منكر، بل هو خُرافة إسرائيلية كما بيّنه ابن كثير في تفسيره»اهـ. **الإحسان في تعقيب الإتقان**، الغماري، (ص ٤٩).

(٢) قال ابن حبان: «عمر بن إبراهيم العبديّ يروي عن قتادة روى عنه ابنه الخليل بن عمر بن إبراهيم يخطئ ويخالف»اهـ.**الثقات**، ابن حبان، (٨/ ٤٤٦)، رقم ١٤٣٤٦. وقال ابن الجوزي: «عمر بن إبراهيم أبو حفص العبديّ البصريّ يروي عن قتادة قال يحيى: صالح، وقال مرة: ثقة، وقال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به»اهـ. كتاب **الضعفاء والمتروكين**، ابن الجوزيّ، (٢/ ٢٠٤)، رقم ٢٤٣٦.

وفي الإسرائيليات كثير من القصص والأخبار المختَلَقَة التي ليس لها أصل، فلا يُعوّل عليها مَنْ له قلب واعٍ، فإن آدم وحواء عليهما السلام وإن وقعا في ما وقعا فيه من قبل فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، على أنه قد سطر وكتب. وأما قوله تعالى ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾** ﴾[(١)]، فقد قال القرطبيّ في تفسير هذه الآيات: «قال قوم: إن هذا راجع إلى جنس الآدميين والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يعول عليه. فقول الله سبحانه: ﴿ **جَعَلَا لَهُۥ** ﴾ يعني الذكر والأنثى الكافريْنِ، ويعني به الجنسين، ودل على هذا ﴿ **فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ ولم يقل يشركان، وهذا قول حسن.وقيل: المعنى ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ** ﴾ من هيئة واحدة وشكل واحد، ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ أي من جنسها، ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا** ﴾ يعني الجنسين. وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية، فإذا آتاهما الولد صالحًا سليمًا سويًّا كما أراداه صرفاه عن الفطرة إلى الشرك، فهذا فعل المشركين. قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ مَوْلودٍ إلا يُوْلَدُ على الفِطْرة فأبواهُ يُهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه**»[(٢)] رواه البخاريّ. قال عكرمة[(٣)]: لم يخص بها آدم عليه السلام، ولكن

(١) الأعراف/ ١٨٩، ١٩٠.

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب بدء الوحي، باب «إذا أسلم الصبيّ فمات هل يصلّى عليه وهل يُعرض على الصبيّ الإسلام» (١٢/ ١١٨)، رقم ١٣٥٨. وتمام لفظ البخاريّ: «أنّ أبا هريرة رضي الله كان يحدّث أن النبيّ ﷺ قال: «**ما مِن مولود إلّا يولد على الفطرة، فأبواه يُهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه، كما تُنتَج البهيمةُ بهيمة جمعاء، هل تُحسّون فيها من جدعاء؟**» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم/ ٣٠]».

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس تابعي (ت١٠٥هـ)، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زُهاء ثلاثمائة رجل،=

جعلها عامة لجميع الخلق بعد آدم»[١]اهـ.

وقال أبو حيان الأندلسيّ في هذا الأمر: «قال الحسن وجماعة: الخطاب لجميع الخلق، والمعنى في قوله عزّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ من هيئة واحدة وشكل واحد ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جنسها، ثم ذكر حال الذكر والأنثى من الخلق، ومعنى ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ أي حرفاه عن الفطرة إلى الشرك كما جاء: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه هما اللذان يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه**». وقال القفَّال[٢] نحو هذا القول، قال: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، وجعل من جنسها زوجها، وذكر حال الزوج والزوجة و﴿جَعَلَا﴾ أي الزوج والزوجة لله تعالى شركاء ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ لأنهما تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين[٣]، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجّمين[٤]، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام.

=منهم أكثر من سبعين تابعيًّا. وكانت وفاته بالمدينة. **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٢٤٤).

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٧/ ٣٣٩).

(٢) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشيّ، القفّال (ت ٣٦٥ هـ)، أبو بكر، من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب. من أهل ما وراء النهر. وعنه انتشر المذهب الشافعيّ في بلاده. مولده ووفاته في الشاش وراء نهر سيحون، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام. من كتبه: (أصول الفقه)، و(محاسن الشريعة)، و(شرح رسالة الشافعيّ). **تهذيب الأسماء واللغات**، النوويّ، (٢/ ٢٨٢). **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (١/ ٤٥٨). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٢٧٤).

(٣) قال ابن الجوزي: «ذكرُ تلبيس إبليس على الطبائعيين: لـمّا رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع، حسَّنَ لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال ما من شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع (أي التراب والماء والنار والهواء) فيه، فدل على أنها الفاعلة، وجواب هذا نقول: اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها، ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها وذلك يخالف طبيعتها فدل على أنها مقهورة»اهـ. **تلبيس إبليس**، ابن الجوزيّ، (١/ ٤١).

(٤) «المنجّم والمتنجّم الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها»اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: ن ج م، (١٢/ ٥٦٨). وقد قال رسول الله ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرّافًا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» رواه أحمد في مسنده، أي إن اعتقد أنه يطلع=

انتهى قول القفَّال، وعلى هذا لا يكون لآدم وحوّاء ذكر في الآية. وقيل: الخطاب خاص وهو لمشركي العرب، كانوا يقرّبون المولود للّات والعزى والأصنام تبركًا بهم في الابتداء، وينقطعون بأملهم إلى الله تعالى في ابتداء خلق الولد إلى انفصاله ثم يشركون فحصل التعجب منهم، وقيل: الخطاب خاص أيضًا وهو لقريش المعاصرين للرسول ﷺ، و﴿نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هو قصيّ ﴿مِنۡهَا﴾ أي من جنسها زوجة عربية قرشية ليسكن إليها، والصالح: الولد السويّ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ حيث سمَّيا أولادهما الأربعة: عبد مناف وعبد العزّى وعبد قُصَيّ وعبد الدار، والضمير في ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك»[1] انتهى كلام أبي حيان.

وخلاصة الموضوع أن سيدنا آدم عليه السلام هو أول البشر وأول الأنبياء الكرام، ومهما افترى المفترون وأدخلوا تمويهاتهم في كتبهم وحرّفوا فلن يغيّروا الحقيقة الدامغة وهي أن آدم عليه السلام نبيّ رسول معصوم، وأنه جاء بالإسلام يعلّم زوجته وأولاده أحكام الشريعة، وهو معصوم عن الشرك قبل النبوة وبعدها ومنزّه عن أن يكون بأي هيئة منفّرة تقدح في اتصافه بمرتبة النبوة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

= على الغيب، وليس المراد من يظن أنه قد يوافق الواقع وقد لا يوافق الواقع فإنه لا يكون كافرًا بل يكون عاصيًا بسؤاله إياهم، والكاهن هو الذي يتعاطى الإخبار عن الكائنات في المستقبل اعتمادًا على النظر في النجوم أو غير ذلك.

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٥/ ٢٤٢-٢٤٥).

الفصل الثاني:
في بيان بعض ما يفترى على سيدنا نوح عليه السلام

حصول الشرك في الأرض
بعد نبي الله إدريس عليه السلام

بعد وفاة سيدنا إدريس عليه السلام حدث الشرك بين الناس واستمرّوا على هذا زمانًا إلى أن بعث اللهُ نوحًا عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام، فَبَيْنَ إدريس ونوح عليهما السلام ألف سنة وتلك الفترة تسمّى الجاهلية الأولى، فبهذا يكون نوح عليه السلام هو أول نبيّ أرسل إلى الكفار يدعوهم إلى الإسلام، وقبل هذه الفترة كان الناس على الإسلام، وحول هذا الأمر دار لغط كبير خبط فيه بعض من تعاطى التفسير خبط عشواء حتى وصل بهم الأمر إلى إنكار أن آدم عليه السلام نبيّ فوقعوا في الكفر والعياذ بالله تعالى، بل هو نبيّ رسول كما ورد ذلك في حديث أبي ذَرّ الذي أخرجه ابن حبّان وصحّحه(١) وأقرّه الحافظ ابن حجر(٢)، ولا معنى لإنكار بعض المبتدعة رسالة آدم، وبعضهم ينكر نبوته كما تقدم، ولا حجة لهم في حديث الشفاعة الذي فيه: «**أن الناس يأتون آدم ليشفع لهم ثم نوحًا فيقولون لنوح: أنت أول الرسل اشفع لنا إلى ربك**»(٣) رواه البخاريّ وغيره، لأن معناه أنت أول الرسل إلى قومه المنتشرين في الأرض(٤)، لأن الأنبياء الذين بعده

---

(١) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، باب بدء الخلق، ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما من القرون، (١٤/ ٦٩).

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٣٦١).

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴿٢٥﴾﴾ (هود)، (٤/ ١٦٣، ١٦٤). رقم ٣٣٤٠.

(٤) قال ابن حجر:«ومن الأجوبة أن رسالة آدم كانت إلى بنيه وهم موحّدون ليعلمهم شريعته، ونوحٌ كانت رسالته إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد»اهـ. **فتح الباري**، ابن=

كان النبيّ منهم يُرسل إلى قومه كما أخبر الله عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿ يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم ﴾[1]، فقد خالفت المبتدعة في قولهم هذا قولَ الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[2] قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: أي كلّهم على الإسلام، فماذا تقول المبتدعة عن آدم وأولاده؟ أتقول إنهم كانوا يعيشون عيشة البهائم لا يعرفون ما يأتون وما يَذَرُون؟ وكفاهم هذا خزيًا، وقد نقل ابن حزم الإجماع على نبوّة آدم عليه السلام[3]، كما تقدم.

وينطبق هذا الحكم على زعيم الوهابية محمّد بن عبد الوهّاب[4] الذي زعم أنّ أوّل الرّسل والأنبياء نوح عليه السلام[5]، وعلى أبي بكر الجزائريّ مؤلف الكتاب المسمى (منهاج المسلم) والكتاب المسمى (عقيدة المسلم)، وتسمية هذين الكتابين بهذين الاسمين تحريف للحقيقة، فهذان الكتابان جديران بأن يسميا بضد ذلك فيقال في الأول: هدم منهاج المسلم وفي الثاني: تحريف عقيدة المسلم لِـمَا فيهما من مسائل مخالفة لمنهاج المسلم وعقيدته.

= حجر، (١١/ ٣٦٥).

(١) الصف/ ٦.

(٢) البقرة/ ٢١٣.

(٣) **مراتب الإجماع**، ابن حزم، (١/ ١٧٣).

(٤) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي الضال، تبع ابن تيمية في بعض ضلالاته وزاد عليها والعياذ بالله، ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، وبه فُسّر الحديث الذي في صحيح ابن حبان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: وفي نجدنا، قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: وفي نجدنا، قال: «**هنالك الزلازل والفتن وبها**» أو قال: «**منها يخرج قرن الشيطان**» **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (١٦/ ٢٩٠). وفي صحيح البخاري بلفظ: «**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: وفي نجدنا، قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: وفي نجدنا، قال: «**هنالك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**» **صحيح البخاري**، البخاري، (٤/ ١٤٧). وكانت وفاته في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ. وإليه نسبة الفرقة الضالة المعروفة بالوهابية.

(٥) الكتاب المسمى **الأصول الثلاثة**، محمد بن عبد الوهاب، (ص١٥).

شرح حديث الشفاعة

إنَّ مضمون حديث الشفاعة أن سيدنا محمدًا ﷺ يختصّ بالشفاعة العظمى وهي للفصل بين الخلق أي لتخليص المسلمين من الاستمرار في حرّ الشمس في الموقف. وقد سُمّيت الشفاعة العظمى لأنها لا تختصّ بأمته فقط بل ينتفع بهذه الشفاعة غير أمته من المؤمنين لأن العذاب أنواع، ليس العذابُ بدخول النار فقط بل تسليط الشمس عليهم وهم في الموقف من جملة العذاب، والفضيحة هناك في ذلك المشهد عذاب أيضًا، فبعض المسلمين يُفْضحون، ينادي عليهم الملَك: هذا فلان ابن فلان عمل كذا لأنَّ الخلق يومئذ يكونون شاهدين، ويظلّون واقفين حتى يقضى بينهم بصرفهم إلى الجنة أو إلى النار حتى يقول الكافرُ من شدّة البؤس الذي يقاسيه من حرّ الشمس: يا رب أرحني ولو إلى النار.

وحديث الشفاعة مروي في الصحيحين، وفيه أن النبيّ ﷺ قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينظرهم الناظر، ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا تنظرون من يشفع لكم؟ فيقول بعضهم لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده**[1] -أي أنه له عناية بك- **ونفخ فيك من روحه** -أي الروح المشرّفة عنده- **وأسجد لك ملائكته، وأسكنك الجنّة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب**[2] **بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي، اذهبوا إلى**

(١) اليد لها أربعة عشر معنى كما قال الفيروزأبادي في **القاموس المحيط** (١/ ١٣٤٧). وهنا معناها العناية.

(٢) قال العلامة المحدّث الشيخ عبد الله الهرريّ ما نصه: «إن الله -تعالى- من صفاته الرضا والغضب، وهما صفتان أزليتان كعلمه وقدرته ومشيئته وسائر صفاته، ليس غضبه ورضاه كما يغضب المخلوق ويرضى، فإنَّ غَضَبَ المخلوق مخلوق لأن الصفة تتبع=

غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض -أي بعد أن انتشر الكفر في الأرض- **وسمَّاك الله عبدًا شكورًا، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي. ائتوا النبيَّ** ﷺ**، فيأتوني فأسجد تحت العرش**[1]**، فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفّع،**

= الذات، فنحن ذواتنا حادثة -أي مخلوقة- فصفاتنا حادثة، فغضبنا حادث وكذلك رضانا حادث، وأما الله فليس كذلك، بل غضبه صفة أزلية ورضاه صفة أزلية، والله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى كما جاء في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ (طه)، وقوله أيضًا: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء] وغيرها من الآيات، والأصلُ أن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه في كتابه العزيز وبما صحّ أنّ الرسول ﷺ وصفه به من غير أن يكون لأحد شركة مع الله تعالى لا في ذاته ولا في صفاته. ثم الغضب بالنّسبة للخلق تغيّر يحصل عند غليان الدم في القلب بإرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه. والغضب إذا وصف الله به يكون بمعنى الغاية أي إرادة الانتقام، وإرادة الانتقام أزلية، هذا المعروف عند الأشاعرة في عباراتهم، وإذا وصف المخلوق بالغضب يوصف باعتبار المبدأ وهو التغيّر أي الانفعال النفسانيّ. والرضا من الله عبارة عن إرادة إنعامه على عباده أو عن نفس إنعامه عليهم وهذا هو معنى الرحمة أيضًا، وليست رحمته رقّة قلب. وأما ما ورد في حديث الشفاعة الذي رواه مسلم من أن آدم وغيره يقولون يوم القيامة: «**إن الله قد غَضِبَ اليومَ غضبًا لم يغضَب مثله قبلهُ ولا يغضَب بعدَهُ مثله**» فهذا يُقصَدُ به أَثر الغضب ليس الغضب الذي هو صفة ذاتيّة. وقد كان السلف إذا أرادوا اختصار العبارة يقولون الله يغضب ويرضى بلا كيف، مالك ابن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوريّ والأوزاعيّ هؤلاء حين يذكرون الصفات التي وردت في حقّ الله تعالى ممّا يتوهّم بعض الناس أنها كصفات المخلوقين لقصر أفهامهم، كانوا رضي الله عنهم يقولون: «بلا كيف» أي بلا تشبيه ولا تجسيم، أما الخلف وبعض السلف أوّلوا فيقولون رضا الله إرادته الرحمة وغضبه إرادته الانتقام، أَرجعوا الصفتين إلى الإرادة، وكِلا القولين صحيحٌ»اهـ. **شرح العقيدة الطحاوية**، الهرري، (ص ٢٩٦).

(١) ليس المعنى أن الله يسكن العرش ويجلس عليه، فقد صحّ أن الله موجود بلا مكان. نقل الإمامُ أبو منصور البغداديّ إجماعَ المسلمينَ سلفِهم وخلفِهم على أن الله موجود بلا مكانٍ وجهةٍ في كتابه **الفرق بين الفرق** حيث قال ما نصّه: «وأجمعوا -أي أهل السُّنة والجماعة- على أنه -أي الله- لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان»اهـ. **الفرق بين الفرق**،=

وسل تعطَهْ»[1]اهـ.

وليُحذر مما ورد دسًّا وتحريفًا في بعض نسخ ابن حبّان السقيمة أنَّ كلًّا من هؤلاء الأنبياء الخمسة يقول عندما يُطلب منه الشفاعة: إني أخاف أن يطرحني الله في النار، لأن نسبة هذا لنبيّ من الأنبياء كفر والعياذ بالله، لأن النبيّ لا يظنّ بربه أنه يطرحه في النار، فما ذُكِرَ في كتاب الإحسان لابن بلبان باطل وهو دسّ وافتراء.

نوح عليه السلام أول الرسل إلى الكفار

قد صحَّ أن نوحًا أول الرسل إلى أهل الأرض أي بعد حدوث الكفر بين البشر، وليس معناه أنه لم يكن قبله نبيّ ولا رسول، بل كان آدم نبيًّا رسولًا، كما يشهد لنبوته الحديث الذي حسّنه الترمذيّ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**»[2]. فقد كان الناس قبل قوم نوح عليه السلام على الإسلام يعبدون الله تعالى لا يشركون به شيئًا، ولا يعرفون أوثانًا أو أصنامًا، وكانوا مسلمين مؤمنين مقرّين بوحدانية الله عزّ وجلّ.

ومما يدلّ على أنَّ الناس كانوا مسلمين قبل قوم نوح، لا يعرفون الوثنية والإشراك قول الله تعالى في بيان أسباب بعثة الرسل عليهم السلام: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[3]، وروي عن ابن عباس رضي الله

= البغدادي، (ص ٣٣٣).

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، (٤/ ١٤٣). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنّة منزلة فيها، (١/ ١٨٢).

(٢) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، باب في فضل النبيّ ﷺ، (٥/ ٥٨٧)، رقم ٣٦١٥.

(٣) البقرة/ ٢١٣.

عنهما في هذه الآية الكريمة أنه قال: «كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين»[1]اهـ.

ليس تحت نبي من أنبياء الله زوجة زانية

ومن الافتراءات التي رُمِيَ بها سيدنا نوح عليه السلام نسبة الزنا إلى امرأته، وهذا ليس صحيحًا ألبتة، فلا يوجد نبيّ تحته امرأة زانية، وأما قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[2]، فقال القرطبيّ: «ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهًا على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرّق بينهما الدين. قال الضحاك[3] عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «إن جبريل نزل على النبيّ ﷺ فأخبره أن اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط والهة»اهـ. ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[4] قال عكرمة والضحاك: بالكفر. وقال سليمان ابن رقية عن ابن عباس: كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه. وعنه: ما بغت امرأة نبيّ قط. وهذا إجماع من المفسرين في ما ذكر القشيريّ[5]. إنما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين. وقيل: كانتا منافقتين. وقيل: خيانتهما النميمة، إذا أوحى

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٣/ ٣٠).

(٢) التحريم/ ١٠.

(٣) الضحاك بن مزاحم البلخيّ الخراسانيّ (ت ١٠٥ هـ)، أبو القاسم، مفسر. كان يؤدّب الأطفال. ويقال: «كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبيّ»اهـ. وذكره ابن حبيب تحت عنوان أشراف المعلمين وفقهاؤهم. له كتاب في التفسير. توفي بخراسان. **المحبر**، محمد بن حبيب البغداديّ، (ص ٤٧٥). **العبر في خبر من غبر**، الذهبيّ، (١/ ١٢٤). **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٢١٥).

(٤) التحريم/ ١٠.

(٥) ذكره القرطبيّ بإسناده، **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (١٨/ ٢٠٢).

الله إليهما -أي إلى نوح ولوط عليهما السلام- شيئًا أفشتاه إلى المشركين، وقيل: كانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف، دخَّنت لِتُعْلِمَ قومها أنه قد نزل به ضيف، لِـمَا كانوا عليه من إتيان الرجال. ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[1] أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما -لـمَّا عصتا- شيئًا من عذاب الله»اهـ ثم قال: «ويقال: إن كفار مكة استهزؤوا وقالوا: إن محمدًا يشفع لنا، فبيَّن الله تعالى أن شفاعته لا تنفع كفار مكة وإن كانوا أقرباء، كما لا تنفع شفاعة نوح لامرأته وشفاعة لوط لامرأته، مع قرْبهما لهما لكفرهما»[2]اهـ. ويتبع هذا إنكار أن تكون زوجة سيدنا نوح عليه السلام كانت تقع في السحاق، فلم يرد هذا الوصف في خبر ثابت، بل هو من الترَّهات الدخيلة التي يُراد بها الإغراب في النقل ولفت الأنظار، فلا يُلتفت إليها.

بعد هذا البيان، يتبيَّن لنا أن أوَّلية نبوّة سيدنا نوح عليه السلام إنما هي أولية نسبية، أي بالنسبة لأهل زمانه، وأن أول نبيّ أرسله الله إلى البشر على الإطلاق هو سيدنا آدم عليه السلام، وتبيّن لنا كذلك أن زوجات الأنبياء عليهم السلام لا يقعن في الزنا ألبتة، والذي جرى من بعضهنّ أنهن خُنَّ أزواجهنّ فيه فذلك في الدين فقط وهو كونهنَّ على الشرك، لأنه كان في شرع نوح ولوط عليهما السلام وشرع بعض الأنبياء يَحِلّ زواج المسلم من مشركة أو المسلمة من مشرك كحال آسية بنت مزاحم رضي الله عنها التي كان زوجها فرعون. ومع ذلك قد تكون تحت نبيّ زوجة كافرة ليس لأن الزنى أشدّ بل لأن حكم الله هكذا.

(١) التحريم/ ١٠.

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٨/ ٢٠١).

الفصل الثالث:
في بيان بعض ما يفترى على سيدنا إبراهيم عليه السلام

إنَّ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام من أجمل القصص التي عمرت بالعبر الكريمة والمواقف الإنسانية العظيمة، ولكن بسبب ما أُدخِل إليها من إسرائيليات وافتراءات شنيعة لم يكن بدٌّ من الوقوف للتحذير والتنبيه على ذلك فقمنا بتمييز الحق من الباطل ونبّهنا على وجه البطلان مع الردّ المناسب.

إبراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام كغيره من الأنبياء الكرام منذ صغره ونشأته مسلمًا مؤمنًا، عارفًا بربه، منـزّهًا له عن مشابهة المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ** ﴾[1] أي من قبل إيتائه النبوة ومنذ الصغر كان إبراهيم عليه السلام على الرشد والهدى، لم يعبد صنمًا ولا كوكبًا إنما أُلْهِمَ التوحيد والتـنـزيه وعبادة الله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

إبراهيم لم يبع الأصنام قطّ

إنَّ إبراهيم نبيّ رسول معصوم من الزيغ والإشراك، قد آتاه الله الرُّشد والصواب، ووصفه بمقام الصديقية، فلا يقع في الشكّ في الإله المعبود، وليس صحيحًا ما قيل ونُسِب إليه أنه كان يبيع الأصنام مع والده المشرك آزر صانع الأصنام وعابدها وبائعها، بل سيدنا إبراهيم هو

(١) الأنبياء/ ٥١.

الذي نهى أباه عن عبادتها، كما أخبر الله بذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، وقال عزّ من قائل: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾[2]، فكما ترى قد بيّن إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه مُنكرًا عليه ذلك بقوله : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ أي أنها لا تستحق العبادة فهي لا تغني شيئًا ولا تُكسب رزقًا، لأنها مجرد أحجار جامدة ومثل هذا لا ينفع ولا يضر.

لا يطلب نبي من الله لكافر المغفرة وهو على كفره

لم يقبل آزر نصيحة ولده نبيّ الله إبراهيم عليه السلام ولم يستجب لدعوته بل استكبر وعاند ابنَه وتوعّده وهدّده بالشر والرجم والقتل كما أخبرنا الله تعالى عنه في القرآن الكريم: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾[3]، وهنا جرى أمر توهّم منه بعض الغافلين أن إبراهيم عليه السلام سيستغفر لوالده وهو على حال الشرك أي توهّموا أنه طلب أن يغفر الله

(١) الأنبياء/ ٥٢ – ٥٦.

(٢) مريم/ ٤١ – ٤٥.

(٣) مريم/ ٤٦.

له مع بقائه على الشرك، وهذا منافٍ للحقيقة ومخالف لأحكام الإسلام، وأما قول الله تعالى إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[1]، فمعناه لا يصلك مني مكروه ولا ينالك مني أذى، ومعنى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ أي سأطلب من الله أن يغفر لك كفرك بالدخول في الإسلام، وليس معناه أني أطلب لك أن يغفر الله لك كفرك وأنت على حالك هذه، ومعنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ قال القرطبيّ: «الحفيّ المبالِغ في البِرّ والألطاف، يقال: حفي به وتحفّى إذا بَرَّه، وقال الكسائي: حَفِي بي حِفاوة وحِفوة، وقال الفراء: إنه كان بي حفيًّا أي عالِـمًا لطيفًا يجيبني إذا دعوته»[2]اهـ. وعلى معنى الاستغفار المتقدم يُحْمَلُ قول سيدنا إبرهيم عليه السلام في الدعاء لأبيه: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[3]، أي يا رب اغفر له بدخوله بالإسلام بأن تشرح صدره للإسلام، وهو هنا كان ما زال حيًّا ولم يمت على الكفر، ولـمَّا تبيّن لإبراهيم أن أباه لا يسلم بل يموت على الكفر تبرَّأ منه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[4].

إبراهيم ما عبد كوكبًا ولا شمسًا ولا قمرًا ولم يشكّ بربه ولا لحظة

ومن المفتريات التي طالت سيدنا إبراهيم عليه السلام اتهامُهُ أنه كان يعبد الكواكب وهذا ظاهر البطلان إذ فيه نسبةُ الشرك والكفر لنبيّ كريم صانه ربه منذ الصغر من متاهات الكفر، وعصمه من الزيغ والضلال.

(١) مريم/ ٤٧.
(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١١/ ١١٣).
(٣) الشعراء/ ٨٦.
(٤) التوبة/ ١١٤.

وتوضيحًا لهذا الأمر فلنبدأ من بدايته فنقول: كان قومُ سيدنا إبراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب من دون الله سبحانه، فأراد سيدنا إبراهيم أن يبيّن لقومه أن عبادتهم لها فاسدة باطلة، وأنها لا تصلح للعبادة أبدًا، لأنها مخلوقة مسخّرة يطرأ عليها التغيير، فتطلع تارة وتغيب تارة أخرى، وما كان كذلك لا يكون إلهًا، لأنه بحاجة إلى من يغيّره وهو الله تبارك وتعالى الدائم الباقي الذي لا يتغيّر ولا يزول ولا يفنى ولا يموت لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1]، فقول سيدنا إبراهيم عن الكوكب: هذا ربي هو على تقدير الاستفهام الإنكاريّ، فكأنه قال: أهذا ربي كما تزعمون، لذلك لـمّا غاب الكوكب قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي لا يصلح أن يكون هذا الكوكب ربًّا لأنه يأفل ويتغيّر فكيف تعتقدون ذلك. وعندما لم يفهموا مقصوده وظلوا على ما كانوا عليه، قال حين رأى القمر مثل ذلك، فعندما لم يجد بغيته أظهر لهم أنه بريء من عبادته أي من القمر لأنه لا يصلح للعبادة ولا يصلح للربوبية، ثم لـمّا أشرقت الشمس وظهرت قال لهم مثل ذلك، فعندما لم يرَ منهم بغيته أيضًا ووجد أنهم أصحاب عقول سقيمة مستغلقة وقلوب مظلمة مستكبرة، أيس منهم وأظهر براءته من هذا الإشراك الذي وقعوا به وهو عبادة غير الله تعالى.

وأما سيدنا إبراهيم فقد كان مؤمنًا عارفًا بربه كجميع الأنبياء فهو رسول الله ونبيُّهُ لا يشكّ بوجود الله طرفة عين، وكان يعلم أن الربوبية لا تكون إلا لله، وأنه

(١) الأنعام/ ٧٥ - ٧٩.

لا خالق إلا الله ولا معبود بحق إلا الله، ولم يكن كما يفتري عليه بعض أهل الجهل والضلال من قولهم إنه مرّ بفتراتٍ وأوقاتٍ شكّ فيها بوجود الله، لأن الأنبياء والرسل جميعهم يستحيل عليهم الكفر والضلال قبل النبوة وبعدها، لأنهم بُعِثوا هداة مهتدين ليعلّموا الناس الخير من مصالح دينهم ودنياهم، فالحقّ أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قبل مناظرته لقومه وإقامة الحجة عليهم وقبل دعوتهم إلى الإسلام والإيمان يعلم علمًا يقينًا لا شكّ فيه أنّ له ربًّا وهو الله تبارك وتعالى الذي لا يشبه شيئًا وخالقُ كلّ شيء، والدليل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. وممن ضلّ في هذه المسألة فاتّهم نبيّ الله إبراهيم عليه السلام أنه كان يطرأ عليه الشكّ في ربّه -والعياذ بالله- سيد قطب المصريّ[2] حيث قال: «وإبراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء فيرى نجمًا فيظنّه إلهه فإذا أفَلَ قال لا أحبّ الآفلين، ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربّه ولكنه يأفل كذلك فيتركه ويمضي ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ويظنها ولا شكّ إلهًا ولكنها تخلف ظنه هي الأخرى»[3]اهـ.

---

(١) الأنعام/ ٨٣.

(٢) سيد قطب بن إبراهيم (ت ١٣٨٧ هـ)، كاتب مصريّ، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٣٤م وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعُيّن مدرسًا للعربية، فموظفًا في ديوان وزارة المعارف. ثم مراقبًا فنيًّا للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا ١٩٤٨م- ١٩٥١م، ولـمّا عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وانضم إلى ما يسمّى حزب الإخوان، فترأس ما يسمّى قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم ١٩٥٣م - ١٩٥٤م وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. من كتبه -المشحونة بالكفر والضلال والفساد ومخالفة الإسلام ما أسماه-: (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، و(التصوير الفنيّ في القرآن)، و(في ظلال القرآن)، و(معالم في الطريق). **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ١٤٧، ١٤٨).

(٣) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (ص ١٣٣).

إبراهيم معصوم لا يصدر منه كذب

لقد افتُرِيَ على سيدنا إبراهيم أنه كذب والعياذ بالله عدة كذبات حقيقية على قومه، وذلك على زعمهم عندما قال بأنه سقيم، وعندما حطم أصنامهم وصيّرها جُذاذًا ونسب فعل ذلك إلى كبير الأصنام نسب تكسير الأصنام الصغار إلى كبيرهم، وعندما قال للملك حين أراد أن يأخذ منه زوجته سارة عَنْوَة إنها أختي، فما هو الجواب.

الجواب: أنّه لـمَّا رأى إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام أن قومه ما زالوا متعلقينَ بأوهامهم، متمسكين بعبادة أصنامهم، عَقَد النيةَ على أن يَكيدَ أصنامَهم ويفعلَ بها أمرًا يُقيمُ الحجةَ به عليهم لعلَّهم يُفيقونَ من غَفلتِهم ويَصحونَ من كَبْوَتِهم، وكان من عادةِ قومِه أن يُقيموا لهم عيدًا، فلمَّا حلَّ عليهم عيدُهم وهمُّوا بالخروج إلى خارج بلدِهم دعَوْهُ لِيَخْرُجَ معهم إلى مَهْرَجانهم فأخبرَهم أنه سقيم لأنه أرادَ التخلُّفَ عنهم ليكسِرَ أصنامَهم ويُقيمَ الحجةَ عليهم، قال الله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾[1]، ومعنى ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ سيلحَقُني المرض وليس كذِبًا منه عليه السلام، إذ كانت تأتيه حُمّى تقلع عنه ثم تعود، ولـمَّا طالبه قومه ليخرج معهم كان وقت الحمّى. فلمَّا مضى قومُه ليحتفِلوا بعيدهم قال كما ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾[2]، فرجَع إبراهيمُ إلى بيت الأصنام الذي كان قومُه يعبدونها فيه من دون الله، فإذا هو في بَهْوٍ عظيمٍ واسع وفيه صنمٌ كبير وإلى جانبه أصنامٌ صغيرة بعضُها إلى جنب بعض، وإذا هم قد صَنعوا لها طعامًا وضعوهُ أمامَ هذه الأصنام، فلمَّا نظرَ إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام إلى ما بينَ أيدي هذه الأصنام من الطعام الذي وضَعه قومُه قُربانًا لها ورأى سخافةَ عقولِهم، خاطبَ عليه السلام هذه

(١) الصافات/ ٨٨ – ٩٠.

(٢) الأنبياء/ ٥٧.

الأصنام وقال لها على سبيل التَّهَكُّم[1] والازدراء[2]: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[3]، فعندما لم تجبه قال لها أيضًا على سبيل الاحتقار والإذلال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[4]، ثمَّ أمسكَ بيده اليُمنى فأسًا وأخذَ يهوي على الأصنام يُكَسِّرُها ويُحَطِّمُ حِجارتَها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾[5]، ولم يزلْ كذلك حتى جعلَها كُلَّها حُطامًا إلا كبيرَ هذه الأصنام، فلم يحطِّمْه قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[6]، وعَلَّقَ الفأسَ في عنُقِهِ ليرجِعوا إليه فيُظهِرَ لهم أنها لا تنطِقُ ولا تعقِلُ ولا تدفَعُ عن نفسِها ضررًا، وبذلك يُقيمُ سيدُنا إبراهيمُ عليه السلام الحجةَ على قومِهِ الكافرين الذين يعبُدونها على غيرِ بُرهانٍ ولا هُدى تقليدًا لآبائهم، ولـمَّـا رجَعَ قومُه من عيدهم ووَجدوا ما حلَّ بأصنامِهم بُهتوا واندهشوا وراعَهم ما رأَوا في أصنامهم، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[7] يعنون فتًى يسُبُّها ويعيبُها ويَستهزئ بها وهو الذي نظنُّ أنه صنعَ هذا وكسرَها، وبلغ ذلك الخبرُ الملكَ نُمرودَ الجبار ملكَ البلاد وحاكمَها وأشرافَ قومه، قال تعالى: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[8]، وأجمعوا على أن يُحضروا إبراهيمَ ويَجمعوا الناسَ ليشهدوا عليه ويَسمعوا كلامَه. وكان اجتماعُ الناسِ في هذا المكانِ الواحدِ مقصِدًا منتظرًا ومَطلَبًا متأكدًا لسيدنا

(١) «التهكم: الاستهزاء»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، باب الميم فصل الهاء، (ص ١٥١١).

(٢) «الازدراء: الاحتقار والانتقاص»اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، باب الواو والياء فصل الزاي، (١٤/ ٣٥٦).

(٣) الصافات/ ٩١.

(٤) الصافات/ ٩٢،٩٣.

(٥) الأنبياء/ ٥٨.

(٦) الأنبياء/ ٥٨.

(٧) الأنبياء/ ٥٩ ، ٦٠.

(٨) الأنبياء/ ٦١.

إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ليُقيمَ بمَرأى ومسمع الجميع الحجَّةَ على بُطلان ما هم عليه من عبادةِ الأصنام التي لا تخلق ضرًّا ولا نفعًا، واحتشدت الوفودُ وتكاثرت جمُوعُ الكافرين كلٌّ يريدُ الاقتِصاصَ من إبراهيمَ نبيّ الله الذي أهانَ أصنامَهم واحتقَرَها، ثم جاؤوا بإبراهيمَ عليه الصلاة والسلام إلى ذلك المحفلِ المشحون بالكفار أمامَ ملِكِهم الجبارِ نمرود، فسألوه وقالوا ما أخبر الله به: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]، وهنا وجد نبيُّ الله إبراهيمُ الفرصةَ سانِحة ليُقيمَ الحجَّةَ عليهم وليُظهرَ لهم سُخْفَ معتَقَدِهِم وبُطلان دينهم فقال ما أخبر الله: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[2]، وهذا إلزامٌ للحجة عليهم بأنَّ الأصنام جمادٌ لا تقدِر على النُّطق، وأنّ هذه الأصنام لا تستحقُّ العبادة فهي لا تخلق ضرًّا ولا نفعًا، ولا تُغني عنهم شيئًا.

وليعلم أنَّ قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ما أخبر الله عنه حيث قال ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾[3] ليس كذِبًا حقيقيًّا بل هو صِدقٌ من حيثُ الباطنُ والحقيقة، لأنَّ كبيرَ الأصنام هو الذي حملَه على الفتكِ بالأصنام الأخرى مِن شدةِ اغتياظِه من هذا الصنمِ الكبير، فأسند الفعل إليه على سبيل المجاز العقلي وهو ضرب من الخطاب الكلاميّ كثير في الاستعمال فحوّل إسناد الفعل إلى من كان سببًا في حدوثه، وما ذاك إلا لمبالغتهم في تعظيمه بتجميل هيئته وصورته، فحملَه ذلك على أن يكسِرَ صِغارَ الأصنام ويُهينَ كبيرَها، فإنهم إذا تحقّقوا أن كبيرها- وهو أعظمها قدرًا ومكانة في قلوبهم وأبهاها منزلًا وصورة في عيونهم- لم يُحامِ عن باقي الأصنام ولم يدفع ضررًا قامت الحجة عليهم واستبان غيّهم وضلالهم، فيكونُ إسنادُ الفعلِ إلى الكبير إسنادًا مجازيًّا فلا كذب في ذلك،

(١) الأنبياء/ ٦٢.

(٢) الأنبياء/ ٦٣.

(٣) الأنبياء/ ٦٣.

لأن الأنبياء يستحيل عليهِمُ الكذب، لأنَّ من صفاتِهِمُ الواجبةِ لهم الصدقَ فهم لا يكذبون.

وعاد المشركون إلى أنفسهم في ما بينهم بالملامة لأنهم تركوها من غير حافظ لها ولا حارس عندها، ثم عادوا فقالوا لإبراهيمَ عليه السلام ما أخبرَ الله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(١)]، أي لقد علمتَ يا إبراهيمُ أن هذه الأصنامَ التي نعبدُها لا تنطِق فكيف تطلُب منا أن نسألها، فلمَّا أَقرُّوا على أنفسهم بأن أصنامَهُمُ التي اتخذوها آلهةً من دون الله عاجزةٌ عن الإصغاءِ والنُطق، واعترفوا أنها عاجزة لا تُدرِك ولا تقدِر ولا حياةَ لها، عند ذلك أقامَ إبراهيمُ عليه السلام الحجةَ عليهم وأفحَمهم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(٢)]، وقال لهم: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[(٣)]، عند ذلك غُلِبوا على أمرِهم وألزمهم نبيُّ الله إبراهيمُ الحجةَ عليهم فلم يجدوا حُجَّةً يحتجون بها عليه، يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾[(٤)].

رد فرية أخرى تتعلق بما سبق في الكلام على حديث «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»

وَرَدَ حديثٌ ظاهره أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات حقيقيَّة، وهو من المتشابه الذي له تأويل إن صحَّ الحديث، وإلا فقد ردّه بعض العلماء ولم يُثبته،

(١) الأنبياء/ ٦٥.

(٢) الأنبياء/ ٦٦، ٦٧.

(٣) الصافات/ ٩٦.

(٤) الأنعام/ ٨٣.

وأوّله بعضهم كالرازي[1] وابن حجر[2] وغيرهما[3]. فظهر بذلك أن للعلماء في ذلك مسلكين ولم يقل أحدٌ من أئمة أهل السنة والجماعة بثبوت الكذب حقيقة على سيدنا إبراهيم ولا على غيره من الأنبياء.

فما يقوله بعض الجهال بفهمهم المخالف للحديث: إن سيدنا إبراهيم كذب ثلاث كذبات حقيقية وهو يخاف منها يوم القيامة، هو باطل، كيف هذا والأنبياء معصومون من الكذب؟ متصفون بالصدق الذي هو ملازم لدعوتهم، إذ لو جاز عليهم الكذب لَـمَا صدّقهم أقوامهم عند التبليغ، ولقالوا لهم: أنتم لستم معصومين عن الكذب، فما يدرينا أن ما أتيتمونا به صدق.

ومثل ذلك سبق اللسان، فالأنبياء معصومون عن سبق اللسان حتى في الأمور العادية التي هي غير الكلام الشرعيّ. فثبت أن سيدنا إبراهيم لم يكذب على الحقيقة وإنما كذب من افترى وادعى ذلك على سيدنا إبراهيم خليل الرحمن.

والحديث قد رُوي في صحيح البخاريّ وهو: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لم يكذبْ إبراهيمُ عليهِ السلامُ إِلّا ثلاثَ كذباتٍ: ثِنتينِ منهنَّ فِي ذاتِ الله**

(١) قال الرازي في عصمة الأنبياء: «فإن قلت: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة: إنها أختي». قلت –أي الرزاي– هذا من أخبار الآحاد – أي لا يعتمد عليه في العقيدة ، فلا يعارض الدليل القطعيّ الذي ذكرناه، ثم إن صحَّ حُمِلَ على ما يكون ظاهره الكذب»اهـ.

(٢) قال ابن حجر في الفتح في شرح قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ (النساء): «وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولًا يعتقده السامع كذبًا لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٤٩٣).

(٣) كالسرخسي في **المبسوط** (٣/ ٤٨٩)، والبيضاوي في **أنوار التنزيل** (١/ ١٦٨)، وعمر ابن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي في **اللباب** (١/ ٥٥).

عَزَّ وَجَلَّ قولُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[1]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[2]، وقالَ: بينا هو ذاتَ يوم وسارةُ إذ أتى على جبارٍ من الجبابرةِ، فقيل له: إنَّ ههنا رجُلًا معه امرأةٌ من أحسنِ النَّاسِ[3]، فأرسلَ إليهِ فسألهُ عنهَا، فقالَ: من هذهِ؟ قال: أختِي[4]، فأتى سَارةَ قالَ: يا سارَةُ، ليسَ على وجهِ الأرضِ مؤمنٌ غَيري وغيرُكِ[5]، وإنّ هذا سألنِي فأخبرتُهُ أنّك أختي فلا تُكذّبينِي، فأَرسَلَ إليها فلمّا دخلتْ عليه ذهبَ يتناولها بيده فأُخذَ فقالَ: ادعي الله لي ولا أَضُرُّكِ، فَدَعتِ الله فَأُطْلق، ثمّ تناولها الثّانيةَ فأُخِذَ مثلَهَا أو أَشدَّ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرُّكِ، فدعتْ فأطلقَ فدعا بعضَ حجبتهِ، فقال: إنكم لم تأتونِي بإنسانٍ إنما أتيتُمونِي بشيطانٍ، فأخدمها هاجرَ، فأتته -أي أتت إبراهيم- **وهوَ قائمٌ يصلّي فأومأ بيدهِ: مهيا** -أي ما الخبر؟- **قَالَتْ: رَدَّ الله كَيْدَ الْكَافِرِ** -أَوِ الْفَاجِرِ- **في نحرهِ وأخدم هاجرَ[6]»** قالَ أبو هريرةَ: تلك أمكُم يا بني ماءِ السّماءِ[7]»[8] اهـ. والحديث كما

---

(١) الصافات/ ٨٩.

(٢) الأنبياء/ ٦٣.

(٣) «قيل: كان من دين ذلك الملك ألّا يتعرض إلا لذوات الأزواج»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٣٩٢).

(٤) «أي أختي في الإسلام»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٣٩٢).

(٥) «قوله: «**ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك**» يشكل عليه كون لوط كان معه كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴿٢٦﴾﴾ (العنكبوت)، ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض الأرض التي وقع له فيها ما وقع ولم يكن معه لوط إذ ذاك»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٣٩٣).

(٦) «إنها -أي هاجر- كانت مملوكة وقد صحّ أن إبراهيم عليه السلام أولدها بعد أن ملكها فهي سُرّيّة»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٩/ ١٢٨).

(٧) «أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها، وقال ابن حبان في صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء، لأن إسماعيل ولد هاجر وقد رُبّي بماء زمزم وهي من ماء السماء. وقيل غير هذا»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٣٩٤).

(٨) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:=

تقدم إمّا أن يردّ أو أن يؤوّل.

وأما قول إبراهيم لقومه ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾[1]، فذلك أنه كانت تأتيه حمّى تُقلِعُ عنه ثم تعود إليه. وفي ذلك الوقت، لـمَّا خرج قومه لعبادة الأوثان طلبوا أن يخرج معهم إلى مَهْرَجانهم، فقال: إني سقيم، أي الآن وقت الحمى التي تصيبني.

وفي تفسير القرطبيّ: «قال الضحاك: معنى ﴿سَقِيمٌ﴾ سأسقم سقم الموت، لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت، وهذا تورية[2] -أي ليس كذبًا حقيقيًّا- وتعريض، كما قال للملك لـمَّا سأل عن سارة: «**هي أختي**»، يعني أخوّة الدين. قلتُ -أي القرطبيّ-: وفى الصحيح عن النبي ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام إلا ثلاث كذبات**» الحديث، وهو يدلّ على أنه لم يكن سقيمًا وإنما عرَّض لهم، فالمعنى: «إني سقيم في ما أستقبل» فتوهموا هم أنه سقيم الساعة. وهذا من معاريض الكلام على ما ذكرنا، وقيل: أراد سقيم النفس لكفرهم»[3]اهـ.

وهذا النمط من أساليب البلاغة التي هي معدودة في فصيح الكلام، ولا يُعد هذا كذبًا حقيقيًّا بحال.

= ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ (النساء) (٤/ ١٧١)، رقم ٣٣٥٨. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل (٧/ ٩٨)، رقم ٦٢٩٤. **سنن الترمذيّ**، الترمذي، سورة الأنبياء، (٥/ ٣٢١)، رقم ٣١٦٦.

(١) الصافات/ ٨٩.

(٢) «ورّى الخبر توريةً: ستره وأظهر غيره، كأنّه مأخوذ من وراء الإنسان لأنّه إذا قال وراه كأنَّه جعله وراءه حيث لا يظهر، وورّى عن كذا: أراده وأظهر غيره، ومنه الحديث: «**كان إذا أراد سفرًا ورّى بغيره**»، أي ستره وكنّى عنه وأوهم أنّه يريد غيره، ومنه أخذ أهل المعاني والبيان التوريةَ»اهـ.**تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: و ر ي، (٢٠/ ١٩١).

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٥/ ٩٣).

يفترى على إبراهيم عليه السلام أنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى

كان نبيّ الله إبراهيم عليه السلام جازم اليقين في إيمانه بربه عارفًا به، ثابت الجَنان ممتلئ الثقة والتصديق بقدرة الله، ولم يكن شاكًّا ولا مستريبًا بوجود الله سبحانه، ولم يتردّدْ لحظة في أنَّ الله قادر على إحياء الموتى وإعادة الخلق يوم القيامة، ولكنه أراد أن يزداد بصيرة ويقينًا، فسأل الله سبحانه أن يريه كيف يحيي الموتى بعد مفارقتهم الحياة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

لم يكن سيدنا إبراهيم عليه السلام في وقت من الأوقات شاكًّا في قدرة الله تعالى، بل ألهمه الله الرشد والإيمان منذ صغره، ولـمَّا نزل عليه الوحي وأوتي النبوة وبعثه الله رسولًا يعلّم الناس الإسلام، ذهب إلى ملك البلاد نمرود الذي كان كافرًا جاحدًا لا يعترف بوجود الله سبحانه وتعالى، فقال له سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يجادله في قصره: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾[٥] فقال نمرود معارِضًا: «أنا أُحيي وأُميت» والعياذ بالله تعالى، فأطلق سراح رجل كان سجينًا عنده محكومًا عليه بالإعدام وقال: «لقد أحييته» ثم قتل رجلًا آخر وقال: «لقد أَمَتُّهُ»، فحاجَّه وغلبه سيدنا إبراهيم عليه السلام لـمَّا قال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦]، ولكن نمرود لم يتوقف عند هذه الحادثة بل تمادى في

(٤) البقرة/ ٢٦٠.

(٥) البقرة/ ٢٥٨.

(٦) البقرة/ ٢٥٨.

غيّه وعناده وقال حسب ما يروى: قل لربك أن يحيي الموتى وإلا قتلتك فلم يخف سيدنا إبراهيم عليه السلام منه ولكنه أحبَّ أن يُرِيَ نمرود وأتباعه إحياء الموتى علَّهم يؤمنون فدعا الله تعالى وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1] أي أنا مؤمن غير شاكّ ولا مرتاب، ولكن تاقت نفسي لأن أرى بعينيّ ليطمئنَّ قلبي ويزداد يقيني بإجابة طلبي، لأنه من الجائز أن يعطيَ الله تعالى أحد الأنبياء جميع ما يطلب، أو أن يعطيَه بعض ما يطلب، فسيدنا محمد ﷺ ما أُعْطِيَ جميع ما طلب، بل أُعطي بعض ما طلب ومنع بعضًا آخر، فإبراهيم عليه السلام ما كان جازمًا وقاطعًا في نفسه بأنَّ الله يعطيه ما سأل، لكنّه كان مؤمنًا بأنَّ الله تبارك وتعالى قادر على ذلك، إنما كان عنده احتمال أن الله يريه كيف يحيي الموتى واحتمال أن لا يريه، فأجاب الله تعالى سؤال إبراهيم عليه السلام.

وصودف مروره عليه السلام قرب البحر فشاهد جيفة بهيمة مطروحة على الشاطئ، فإذا هاجت الأمواج دفعتها إلى البر فأكلت منها السباع، فإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت منها ثم طارت، ثم إذا سحب الموج الجيفة إلى البحر أكلت منها الأسماك والحيتان، فدعا إبراهيم عليه السلام ربه وسأله ليطمئن قلبه برؤية كيفية الجمع كما رأى كيفية التفريق[2]، وعندها تحصل معجزة كبيرة باهرة دالَّة على صدق هذا النبيّ العظيم وأنه مرسل من عند الله تبارك وتعالى، إذ استجاب الله عزَّ وجلَّ لدعاء إبراهيم عليه السلام، فأمره بأن يأخذ أربعة من الطير، فأخذ ديكًا أحمر، وحمامةً بيضاء، وطاووسًا أخضر، وغرابًا أسود، ثم ذبحها وأسالَ دمها، وبعد ذلك قطّعها قطعًا صغيرة، وخلط لحومها ببعضها مع الدم والريش حتى يكون أعجب، ثم وزَّع أجزاء هذا الخليط الغريب على سبعة جبال، ووقف هو بحيث يرى تلك الأجزاء، وأمسك رُؤوس تلك

(١) البقرة/ ٢٦٠.

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٣/ ٣٠٠).

الطيور في يده ثم قال: «تعالين بإذن الله»، فتطايرت تلك الأجزاء، فجعل سيدنا إبراهيم عليه السلام ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها ببعض في اتّساق تامّ. وعادت الأشلاء تتجمع وتنتظم حتى صارت إلى هيئتها المعهودة وقام كل طائر وحده ولكن من غير رأس، ليكون أبلغ لسيدنا إبراهيم عليه السلام في الرؤية التي سألها، وعادت الروح إليها وسَعَتْ إليه بقدرة الله مسرعة، وصار كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد سيدنا إبراهيم عليه السلام، فإذا قدَّم له رأسًا غير رأسه لا يقبله، فإذا قدَّم إليه رأسه تركَّب مع بقية جسده بقدرة الله، فالله عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه ما يريد. ثم طارت الطيور كما كانت من جديد بإذن الله، بعد أن تحققت معجزة كبيرة لنبيّ من أعظم الأنبياء قدرًا عند الله تعالى[1]. وعلى الرغم من ذلك لم يؤمن نمرود إذ قد غلبت عليه شقاوته فأذلَّه الله تعالى بأن سلَّط عليه نوعًا من الحشرات دخل رأسه ولم يكن يهدأ ألمه حتى يضرب بالأحذية والكفوف المجتمعة إلى أن مات ذليلًا مقموعًا[2].

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٣/ ٣٠٠، ٣٠١). **الدرّ المنثور**، السيوطيّ، (٣/ ٢٢٠). **معالم التنزيل**، البغوي، (١/ ٣٢٢). **البحر المحيط**، أبو حيان، (٢/ ٦٤٢).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (١١/ ٣٠٥).

الفصل الرابع:
في بيان بعض ما يفترى على سيدنا لوط عليه السلام

الرد على من زعم أن سيدنا لوطا عرض بناته للزنا

قال الله تعالى في القرآن: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾[1].

وهنا ينبغي التنبه إلى معنى كلام سيدنا لوط عليه السلام، حتى لا يتوهم متوهم أنه يُؤَيّد ويوافق ما في بعض الكتب الـمُضلّلة من أنه عَرَض بناته على أولئك الرجال من قومه وقال لهم: افعلوا بهنَّ ما شئتم، فإن هذا لا يُتصوّر من نبيّ منهجه ومسلكه هداية الناس وإرشادهم إلى أسباب الخير والصلاح، فالأنبياء هم صفوة العباد اجتباهم الله وزيّنهم بأفضل الصفات وأحسن الأخلاق فلا يقع أحدهم بما يؤدي إلى الطعن في عرضه أو الغَمز في شرفه ومروءته.

وقد حكى القرطبيّ في تفسيره الحادثة بأكملها فقال: «كان سبب إسراعهم -أي الكَفَرَة- ما روي أن امرأة لوط الكافرة لـمَّا رأت الأضياف وجمالهم وهيئتهم، خرجت حتى أتت مجالس قومها، فقالت لهم: إن لوطًا قد أضاف الليلة فتية ما رُئِيَ مثلهم جمالًا، وكذا وكذا، فحينئذ جاؤوا يُهْرَعون إليه. ويذكر أن الرسل لـمَّا وصلوا إلى بلد لوط وجدوا لوطًا في حرث له. وقيل: وجدوا ابنته تستقي ماء من نهر سَدُوْم، فسألوها الدلالة على مَن يضيفهم، ورأت هيئتهم فخافت عليهم من

(١) هود، (٧٧ـ ٨٠).

قوم لوط، وقالت لهم: مكانَكُم، وذهبت إلى أبيها فأخبرَتْهُ، فخرج إليهم، فقالوا: نريد أن تضيفنا الليلة، فقال لهم: أوما سمعتم بعمل هؤلاء القوم؟ فقالوا: وما عملهم؟ فقال: «أشهد بالله إنهم لشرُّ قوم في الأرض»، وقد كان الله عز وجل قال لملائكته: «لا تعذبوهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات»، فلمَّا قال لوط هذه المقالة، قال جبريل لأصحابه: هذه واحدة، وتردد القول بينهم حتى كرَّر لوط الشهادة أربع مرات، ثم دخل بهم المدينة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبۡلُ﴾ أي ومن قبل مجيء الرسل. وقيل: من قبل لوط عليه السلام ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي كانت عادتهم إتيان الرجال، فلمَّا جاؤوا إلى لوط وقصدوا أضيافه قام إليهم لوط مدافعًا، وقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ ابتداء وخبر، وقد اختلف في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فقيل: كان له ثلاث بنات من صلبه وقيل: بنتان، زيتا وزعوراء، فقيل: كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه. وقيل: ندبهم في هذه الحالة إلى النكاح، وكانت شريعة لوط جواز نكاح الكافر المؤمنة، وقد كان هذا في أول شريعة محمد ﷺ جائزًا ثم نسخ، فزوَّج رسول الله ﷺ بنتًا له من عُتْبَةَ بن أبي لهب(1)، والأخرى من أبي العاص بن الربيع(2) قبل الوحي، وكانا كافرين.

---

(1) عُتْبَةُ بن أبي لهب، واسم أبي لهب عبد العُزَّى بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وهو ابن عم النبي ﷺ، وأمه أم جميل بنت حَرْب بن أمية أخت أبي سفيان وهي حمالة الحطب. أسلم هو وأخوه مُعَتّب يوم الفتح وكانا قد هربا من النبي ﷺ فبعث النبي ﷺ العباس ابن عبد المطلب عمهما إليهما فأتى بهما فأسلما فسر رسول الله ﷺ بإسلامهما، وشهدا مع رسول الله ﷺ حُنَيْنًا وكانا ممن ثبت ولم ينهزم، وشهدا الطائف ولم يخرجا عن مكة ولم يأتيا المدينة، ولهما عقب. **أسد الغابة**، ابن الأثير، (٣/ ٥٦٢).

(2) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القرشي العَبْشَمِيّ. صهر رسول الله ﷺ على ابنته زينب أكبر بناته، وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة لأبيها وأمها قاله أبو عمر. وقال ابن منده وأبو نعيم: «اسمها هند»اهـ. فهو ابن خالة أولاد رسول الله ﷺ من خديجة. واختلف في اسمه فقيل: لَقِيْط. وقيل: هُشَيْم. وقيل: مهشم. والأكثر لقيط. **أسد الغابة**، ابن الأثير، (٥/ ١٨٥).

وقالت فرقة -منهم مجاهد وسعيد بن جبير[1]-: أشار بقوله إخبارًا عن سيدنا لوط: ﴿بَنَاتِي﴾ إلى النساء جملة، إذ نبيُّ القوم أب لهم، ويقوّي هذا أن في قراءة ابن مسعود[2]: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[3] فهو أب لهم. وقول الله تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ابتداء وخبر: أي أزوّجكموهن، فهو أطهر لكم مما تريدون، أي أحلّ. والتطهر التنـزه عما لا يحل. وقال ابن عباس: كان رؤساؤهم خطبوا بناته فلم يجبهم، وأراد ذلك اليوم أن يفدي أضيافه ببناته. وليس أَلِفُ ﴿أَطْهَرُ﴾ للتفضيل حتى يتوهم أن في نكاح الرجال طهارة، بل هو كقولك: الله أكبرُ وأعلى وأَجَلّ وإن لم يكن تفضيل، وهذا جائز شائع في كلام العرب، ولم يكابر الله تعالى أحد حتى يكون الله تعالى أكبر منه. وقد قال أبو سفيان ابن حرب يوم أُحُد[4]: اُعل هُبَل، اُعل هُبَل، فقال النبيّ ﷺ لعمر: «**قل: الله أعلى وأجلُّ**». وهبل لم يكن قط عاليًا ولا جليلًا. وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ فوجه الكلام أنه ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هن قصدنا، ولا

---

(١) سعيد بن جبير الأسديّ بالولاء، الكوفيّ (ت ٩٥ هـ)، أبو عبد الله، تابعيّ، كان أعلم التابعين، وهو حبشيّ الأصل. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر رضي الله عنهم. ثم كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: «أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء»اهـ. يعني سعيدًا. قال الإمام أحمد بن حنبل: «قتل الحجاجُ سعيدًا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه»اهـ. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (١/ ٢٠٤). **طبقات ابن سعد**، ابن سعد، (٦/ ١٧٨). **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٩٣).

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذليّ (ت ٣٢ هـ)، أبو عبد الرحمن صحابيّ من أكابرهم فضلًا وعقلًا وقربًا من رسول الله ﷺ، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا. حدّث عنه أبو موسى وأبو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، له ٨٤٨ حديثًا. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (١/ ٤٦١، ٤٩٩). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ١٣٧).

(٣) الأحزاب/ ٦.

(٤) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، (١/ ٢٩٧).

لنا عادة نطلب ذلك، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ إشارة إلى الأضياف»[١]اهـ، وقال القرطبي أيضًا في تفسير آية الحجر: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[٢]: «أي فتزوَّجوهنَّ ولا تركنوا إلى الحرام»[٣]اهـ.

فثبت أن سيدنا لوطًا عليه السلام لم يعرض بناته للزنا كما قد يظن بعض الجهال، حاشاه من ذلك. ومن وصفه بهذا الفعل الشنيع فقد أعظم الفِرْيَةَ عليه.

تبرئة اسمه الشريف عليه السلام من نسبة اشتقاق اللواط إليه والرد على ذلك

إنَّ الله تعالى صان الأنبياء من المنفّرات ككون أساميهم مشتقة ومأخوذة من الأسماء القبيحة الشنيعة وكون أخلاقهم من الأخلاق القبيحة، فمن نسب إليهم اسمًا شنيعًا قبيحًا فقد انتقصهم، فكيف استساغ بعض اللغويين القول بأن لوطًا مأخوذ من اللواط، وهذه المقالة باطلة شنيعة لغة وشرعًا، فليحذر كلام من قال هذا من اللغويين. فالله تعالى عصم الأنبياء عليهم السلام من أن تكون أسماؤهم خبيثة أو مشتقة من خبيث أو أن يشتق منها خبيث. وقد قال الفقيه المحدّث بدر الدين الزركشي[٤] في كتابه تشنيف المسامع ما نصّه: «إن الأفعال مشتقة من المصادر على الصحيح، والأفعال أصل للصفات المشتقة منها فتكون المصادر

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٩/ ٧٣-٧٨).

(٢) الحجر/ ٧١.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٠/ ٣٩).

(٤) بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصريّ الزركشيّ الشافعيّ (ت ٧٩٤ هـ)، الإمام العلامة المصنّف المحرّر، كان فقيهًا أصوليًّا أديبًا فاضلًا في جميع ذلك، درّس وأفتى، قال البرماويّ: «كان منقطعًا إلى الاشتغال بالعلم والتعلم لا يشتغل عنهما بشىء وله أقارب يكفونه أمر دنياه»اهـ. ومن تصانيفه: (تكملة شرح المنهاج للإسنويّ)، و(الروضة) وهو كتاب كبير فيه فوائد جليلة، و(تشنيف المسامع شرح جمع الجوامع). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٦٠، ٦١).

أصلًا لها أيضًا»[1]اهـ.

فلا يجوز أن يقال إن لوطًا مشتقّ من اللواط، ويكفي في ردّ هذا الاشتقاق وإبطاله أنه لا يوافق الاشتقاق المصطلح عليه عند اللغويين لأن الاشتقاق المصطلح عليه عندهم شرطه أن يكون المشتق والمشتق منه من لغة العرب، وذلك أن اللواط لفظ عربي وهو مصدر لاط، وأما لوط فهو اسم أعجميّ، فكيف يدعي مدّع أنه مشتق من اللواط، وكذلك عكسه وهو القول بأن اللواط مأخوذ من لوط، فلفظ اللواط كان قبل قوم لوط لأن اللغة العربية لغةٌ قديمةٌ، حتى قال بعض العلماء: إن أول لغة تكلم بها آدم هي العربية، ويشهد لذلك ما ورد في الصحيح «**أن آدم عطس فقال الحمد لله**»[2]. فلفظ اللواط كان قبل ذلك، فأولاد آدم ومن بعدهم يعرفون كلمة لاط بتصاريفها كما يعرفون كلمة الزنى وتصاريفها، وكيف يكون هود وصالح اللذان هما مبعوثان إلى العرب لغتهما ولغة من أرسلا إليه خالية عن هذه الكلمة. وقد ردَّ هذه المقالة من أئمة اللغة الزجاجُ، فلا يُغترّ بأن هذه المقالة الشَّنيعة مذكورةٌ في بعض كتب اللغة.

(١) **تشنيف المسامع شرح جمع الجوامع**، الزركشي، (ص٨٧).

(٢) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٥/ ٤٥٣).

الفصل الخامس:
في بيان بعض ما يفترى على سيدنا يوسف عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[1].

هو يُوسف ابن نبيّ الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلّى الله عليهم وسلّم، وقد أُعْطِيَ يوسف عليه السلام شطرَ الحُسن.

وقد أثنى اللهُ عليه ووصفه بالعفة والنـزاهة والصبر والاستقامة قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2]، كما أثنى عليه سيدنا محمد ﷺ بقوله: «**إنّ الكريمَ ابنَ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**»[3] رواه البخاريّ.

وهو من أشهر أنبياء بني إسرائيل، وقد ذُكرت قصةُ سيدنا يوسف عليه السلام في سورة يوسف مُفصلة، وفيها بيانٌ لحياته ومحنته مع إخوته ومحنته مع امرأةِ العزيز، ودخولِه السجن ودعوتِه فيه إلى الله تعالى، ثم خروجه من السجن، وفيها تفسيرُه الرؤيا للملِك واستلامه لخزائن الأرض أي أرض مصر، ثم مجيء إخوته إلى مصر بسبب القحط، وإبقاؤه لأخيه بنيامين عنده، ثم اجتماعه بأبيه وإخوته ودخولهم عليه وسجودهم له على وجه التحية والتعظيم[4]، إلى غير ذلك من إشارات دقيقةٍ وعظات بالغة يُستفاد بها من حياة هذا النبي الكريم.

---

(١) يوسف/ ٧.

(٢) يوسف/ ٢٤.

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، (٤/ ٢٢٤)، رقم ٣٥٢٤.

(٤) وكان ذلك جائزًا في شريعتهم.

هي حوادث متلاحقة بدايتها محاولة قتل سيدنا يوسف من قِبَلِ إخوته ما عدا بنيامين، ثم رميه في الجُبّ (البئر) وإنقاذه على يد قافلة عابرة لذلك المكان، وأخذه عليه السلام إلى أرض مصر حيث بِيع لوزير البلاد يومها وهو المسؤول عن خزائن مصر، فاشتراه وذهب به إلى بيته.

يوسف عليه السلام لا يهم بالزنى

إنَّ الذي يجب أن يُعتقد أن الله تبارك وتعالى عصم نبيَّه يوسف عليه السلام ونزَّهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، كما صان وعصم سائرَ أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، إذ أجمع علماء الإسلام أنه تجب للأنبياء الصيانة، فيستحيل عليهم الرذائل والسفاهة والجبن، ولهذا قال الله تبارك وتعالى في حَقّ يوسف عليه الصلاة والسلام نافيًا عنه السُّوء والفحشاء ومُطهّرًا إياه من قصد الفاحشة والهمّ بالزنى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[1].

أقامَ يُوسف عليه السلام في بَيت عزيز مصر ووزيرها مُكرَّمًا، وكان فائق الحسن والجمال، فلمَّا شبّ وكبر أحبَّته امرأةُ العزيز حبًّا جمًّا وأُوْلعَتْ به وشغفها حبُّه لـما رأت من حُسنه وجَماله الباهر. وذات يوم أرادت امرأةُ العزيز أن تحمله على مُواقعتها عَنوةً، وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب، وغلّقت الأبواب عليها وعليه، وتهيأت له وتَصَنّعت ولَبِست أحسنَ ثيابها وأفخرها ودعته صراحة إلى نفسها من غير حياء وطلبت منه ما لا يليقُ بحاله ومقامه، والمقصودُ أنها دَعته إليها وحرصت على ذلك أشد الحِرْص، ولكن هيهات هيهات وهو النبيُّ العفيفُ الطاهر المعصوم عن مثل تلك الرذائل والسَّفَاهات والفواحش، وهو نبيٌّ من سُلالة الأنبياء الذين يستحيلُ عليهم الرذائل والفواحش، لذلك

(١) يوسف/ ٢٤.

أبى يوسف عليه السلام ما دعته إليه امرأة العزيز، وامتنع أشد الامتناع ولم يتردّدْ لحظةً في فعل الفاحشة ولم يتأثر بما هيّأته من خَلْوة وزينة، بل مال عنها قائلًا: مَعاذ الله، أي أعوذُ بالله أن أفعل هذا ، ثم قال لها: ما أخبر الله به: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴿٢٣﴾﴾[2].

وأمام إباء يوسف عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز، وأمام عفته وإصراره على عدم الوقوع معها في الحرام، ازدادت هي إصرارًا على الهَمّ بالرذيلة فأمسكت به تريدُ أن تجبره على مواقعتها وارتكاب الفاحشة معها من غير حشمة وحياء، فأخذ عليه السلام في مجانبتها فتنحَّى عنها وأفلتَ من يدها فأمسكت ثوبه من خَلف فتمزق قميصه، وظلت تلاحقه وهما يَستبقان الباب، هو يريدُ الوصول إليه ليفتحَه ليتخلَّصَ منها يدفعُه إلى ذلك الخوفُ من الله مولاه، وهي تريد أن تَحُول بينه وبين البابِ تدفعُها إلى ذلك الشهوة الجامحة والاستجابة لوساوس الشيطان، وفي تلك اللحظات وصل زوجُها العزيز فوجدهما في هذه الحالة، فبادرته بالكلام وحرّضته عليه وحاولت أن تنسبَ إلى يوسف عليه السلام محاولة إغوائها والاعتداء عليها، مدعية أنها امتنعت وهربت منه فنسبت إلى يوسف الخيانة وبَرّأت نفسها، وردّ نبيّ الله يوسف عليه السلام التهمة عن نفسه، يقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾[3]. فهو همَّ بأن يدفعها عنه ليتمكن من الخروج من الباب لكن لم يدفعها، لأن الله ألهمه أنه لو دفعها لكان ذلك حجَّة عليه عند أهلها بأن يقولوا: إنما دفعها ليفعل بها الفاحشة، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا

---

(١) يوسف/ ٢٣.

(٢) يوسف/ ٢٣.

(٣) يوسف/ ٢٥، ٢٦.

﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾[1] أي لولا أنه رأى برهانًا من الله لدفعها، فلم يدفعها بل أدار لها ظهره ذاهبًا إلى الباب فلحقته فشقت قميصه من خلف، فكان الدليلُ والحجة عليها ولو ضربها ودفعها لاتخذت من ضربِه ودفعه إياها حجة لها عليه، لأنها تقول: راودني فمنعته فضربني.

لذلك لا يصحُّ ولا يجوز اعتقاد ما يُروى عن بعض المفسرين أن يوسف عليه السلام حلَّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل من امرأته وحلّ عَقْدَ نِطاقها[2]، فإن هذا باطل وكفر إذ لا يليق بنبيّ من أنبياء الله تعالى أن يحصل منه ذلك، فإنه لو كان حصل هذا من يوسف لكان فيه دليل على العزم على فعل الفاحشة، والأنبياء صلوات الله عليهم معصومون من العزم على الزنا والفاحشة ومقدماتها، قال الله سبحانه في بيان براءة نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3].

قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ[4]: «ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا دل على العزم والأنبياء معصومون من العزم على الزنا»[5]اهـ.

---

(١) يوسف/ ٢٤.

(٢) ذكر سيد قطب المصريّ في كتابه المسمى **التصوير الفني في القرآن** كلامًا كفريًّا في حق سيدنا يوسف واتهمه بأنه ضعف أمام امرأة العزيز والعياذ بالله. ومثله عبد الوهاب النجار المصريّ في كتابه المسمّى **قصص الأنبياء**، ومثل هذا موجود في كتاب الثعالبيّ النيسابوريّ المسمى **قصص الأنبياء**، فليحذر.

(٣) يوسف/ ٥١.

(٤) ابن الجوزيّ هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ (ت ٥٩٧ هـ)، أبو الفرج، علّامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، له نحو ثلاثمائة مصنف منها: (تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير)، و(الأذكياء وأخبارهم)، و(المدهش)، و(تلبيس إبليس)، و(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)، و(دفع شُبَه التشبيه في الرد على المجسمة). **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٣١٦، ٣١٧).

(٥) **زاد المسير**، ابن الجوزيّ، (٤/ ٢٠٥).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: «إن يوسف عليه السلام كان بريئًا عن العمل الباطل والهمّ المحرّم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذبّ»[1] اهـ.

وقال الشيخ الفقيه الخطيب الزاهد الورع الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد الهاشمي الطنجالي رضي الله عنه: «قال الإمام أبو الفضل بن الخطيب في كتاب الأربعين له: يجوز أن يكون لـمَّا همّ بدفعها في نفسه أراه الله برهانًا على أنه إن قدم على ما همّ به من دفعها أهلكه أهلها، وأنها تدعي عليه المراودة على القبيح وتنسبه على أنه دعاها إلى نفسه وضربها لأجل امتناعها منه، فأخبر الله تعالى أنه صرف عنه بالبرهان السوء والفحشاء وهو القول المكروه وظنّ القبيح واعتقاده فيه. انتهى ما قال الإمام. وهو قول حسن ويؤيده ما ظهر في الوجود من قدّ القميص من دبر في الفرار أمامها الذي ينبئ عليه قوله: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ وجعل الله تعالى قدَّ القميص من دُبُر حاكمًا له عليها، ولعله لو لم يفرّ أمامها ويترك ما همّ به من دفعها لكان قدّ القميص من قُبُل فتقوى الشبهة وتلحقه الإذاية والتهمة من أهلها، فأراه الله تعالى بالبرهان حجج تركه الانتصار فكان الأمر كذلك. ﴿ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ ﴾ وظهرت براءته، وثبتت الخطيئة عليها وقيل لها: ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّ ﴾ وله: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾[2]»[3] اهـ.

تبرئة يوسف عليه السلام ممَّا اتهمته به امرأة العزيز

بَعد أن اتهمت امرأةُ العزيز يوسف عليه السلام بأنه حاول الاعتداء عليها بالفاحشة وبرَّأت نفسها ردّ يوسف عليه السلام هذه التُّهمة عنه: ﴿ قَالَ هِيَ

(١) **مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، (١٨/ ١١٨).

(٢) يوسف/ ٢٩.

(٣) **المعيار المعرب والجامع المغرب**، الطنجالي، (ص٢٠٢، ٢٠٣).

﴿رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾[(١)] في هذا الموقف أنطقَ الله القادر على كل شيء شاهدًا من أهلها، وهو طفل صغير في المهد فكانت هذه المعجزة تأييدًا من الله لتندفع التهمة عن يوسف عليه السلام وتثبت الحجة على المرأة التي اتهمته زورًا ولِتظهر براءةُ يوسف عليه السلام واضحة أمام عزيز مصر ووزيرها، فنطق الطفل بقدرة الله قائلًا: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[(٢)]، أي لأنه يكون قد راودها فَدَفَعَته حتى شَقّتْ مُقَدَّمَ قميصِه فتكون التُّهَمة بذلك على يوسف عليه السلام، ثم قال: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٣)]، أي لأنه يكون قد تركها وذهب فتبعته وتعلقت به من خلف فانشقَّ قميصه بسبب ذلك، وتكون التهَمة بذلك على امرأة العزيز، فلمّا وجد العزيز أنَّ قميصَ يوسف قد انشق من خَلف خاطَب زَوجتَه وقال لها: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾[(٤)] أي هذا الذي جرى من مَكركُنَّ، أنت راودته عن نفسه ثم لتدفعي التُّهَمة عن نفسِك اتهمته بالباطل والبهتان. ثم قال زوجها لسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام بعد أن ظهرت براءته جلية واضحة: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾[(٥)] أي لا تذكرْه لأحد لأن كتمان مثل هذه الأمور في ذلك الحين أحسن، ثم أمر زَوجته بالاستغفار لذنبها الذي صَدَر منها والتوبة إلى ربها وقال لها: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾[(٦)]، يعني من المذنبين الآثمين.

وبذلك ظهرت براءةُ يوسف عليه السلام ظهورَ الشمس في وضح النهار من تلك السَّوْءَة والعار، وظهر للعزيز عفة يوسف عليه السلام، وأنه نزيه العِرض

(١) يوسف/ ٢٦.

(٢) يوسف/ ٢٦.

(٣) يوسف/ ٢٧.

(٤) يوسف/ ٢٨.

(٥) يوسف/ ٢٩.

(٦) يوسف/ ٢٩.

سليمُ القصد مأمون الجانب، وأنه منـزّه عن التهمة التي اتهمته بها امرأته زورًا وبُهتانًا.

ومن الأدلة الصريحة أيضًا على براءة يوسف عليه السلام ما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم حكاية عن إبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1] وقوله أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2]، فاستُثْنِيَ من الوقوع في الغواية العباد المخلصون أي لا يتسلط عليهم إبليس فيُزيّنَ لهم الفواحش والمنكرات بل يَسلمُون من ذلك بعصمة الله وحفظه، وقد أخبر الله تعالى عن سيدنا يوسف ووصفه بأنه من جملة العباد المخلصين بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[3] أي أن يوسف عليه السلام من عباد الله المخلَصين، فليس لإبليس سلطان عليه، وهذا من أقوى الأدلة على براءة سيدنا يوسف عليه السلام.

وبالرجوع إلى تفسير الهمّ الوارد في قصة مراودة امرأة العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام يقول القرطبيّ: «لا خلاف أن همَّها كان المعصية، وأما يوسف فهمَّ بها ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[4]، ولكن لـمّا رأى البرهان ما همَّ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء، قال الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[5]، فإذًا في الكلام تقديم وتأخير، أي

---

(١) ص/ ٨٢ – ٨٣.

(٢) الحجر/ ٣٩ – ٤٢.

(٣) يوسف/ ٢٤.

(٤) يوسف/ ٢٤.

(٥) يوسف/ ٢٤.

لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها. قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلمَّا أتيت على قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية[1]، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد: ولقد همَّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها»[2]اهـ.

وكان الفخر الرازي في التفسير الكبير قد كفَّر من يُفسّر ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾[3] بأنه همٌّ بالزنا، وفسّر بأنه لم يحصل منه هذا الهمّ لأنه علم أن هذا الأمر غير لائقٍ بالأنبياء، لذلك امتنع. هذا على أحد التفسيرين. والتفسير الثاني: ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾[4] همّ بدفعها ثم قال: والتفصيل في التفسير الأول: أن امرأة العزيز همّت بالزنا، وأن سيدنا يوسف لم يحصل منه همٌّ لذلك ألبتّة. وجعلوا ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ ﴾[5] مقدّمًا عليها و﴿ لَوْلَآ ﴾ جوابها ممتنعٌ لوجود المبتدأ الذي يليها، والتقدير: «ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها وهذا القول الأقوى، فجواب لولا ليس حاصلًا»[6]اهـ. أي لم يحصل منه همٌّ بالمرة لأنه رأى البرهان أي أُلهم أن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الشيء، والتقديم والتأخير في لسان العرب سائغ، فحمل النص على هذا التأويل موافق لسنن العرب وما تعارفوه من فصيح الكلام. إذا عرفتَ ذلك فاحذرْ مـمّا دُسَّ افتراء في تفسير الجلالين وغيره من أن يوسف قصد الزنا بامرأة العزيز. فقد تبيَّنْتَ فحش هذه المقالة وماذا جمعَتْ من الاجتراء والافتراء على أنبياء الله، مع صفاقة الوجوه وعدم الحياء فوق التهاون الحاصل بذكر المصطَفَيْن الأخيار.

---

(١) يوسف/ ٢٤.

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٩/ ١٦٥، ١٦٦).

(٣) يوسف/ ٢٤.

(٤) يوسف/ ٢٤.

(٥) يوسف/ ٢٤.

(٦) **مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، (١٨/ ٤٤٠ – ٤٤٤).

الفصل السادس:
في الرد على من زعم أن سيدنا أيوب عليه السلام كان يخرج منه الدود

كان سيدنا أيوب عليه السلام قبل أن ينـزل عليه البلاء من الأنبياء الأغنياء يسكن في قريةٍ له اسمها «الْبَثَنِيَّةُ» وهي إحدى قرى حَوْرَان في أرض الشام بين مدينة «دمشق» و«أَذْرِعَات» في الأردن، وقد آتاه الله تعالى الأملاك الواسعة والأراضي الخصبة والصحة والمال وكثرة الأولاد، وكان عليه السلام شاكرًا لِنِعَمِ الله، مواسيًا لعباد الله، برًّا رحيمًا بالمساكين، يكفل الأيتام والأرامل، ويكرم الضيف ويصل المنْقَطع[1].

الأنبياء أشد الناس بلاءً

ثم إنه أصابه بلاءٌ شديدٌ وعناءٌ عظيمٌ، وليس ذلك لأنه هيّنٌ على الله، إنما ابتلاءٌ مِنْ ربه له ليعظم ثوابه وأجره، فعن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب ابن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: أيّ الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتليَ على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة**»[2]. وهكذا صار الناس إذا ذكروا بلاء سيدنا أيوب وصبرَهُ على مرّ السنين مع كونِهِ أفضلَ أهل زمانه، عوّدوا أنفسهم

---

(١) **معالم التنزيل**، البغوي، (٥/ ٣٣٧). **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي (١٥/ ٢٠٨)، (١٦/ ٣٣٥). **تفسير الخازن**، الخازن، (٣/ ٢٣٤).

(٢) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، (٤/ ٦٠١)، رقم ٢٣٩٨.

الصبر على الشدائد كما فعل سيدنا أيوب عليه السلام، إذ إنه ابتُلِيَ بأنْ جاءت الشياطينُ إلى أمواله فأحرقتها وفتكت بأغنامه وإبله وعبيده، وخرّبت أراضيَهُ، فلمّا رأى سيدنا أيوب ما حلّ به من الـمُلِمَّات والنوازل صبر ولم يعترضْ على الله تعالى.

وعادتِ الشياطينُ إلى أفاعيلها وفسادها فسُلِّطَتْ على أولاد سيدنا أيوب الذين كانوا في قصر أبيهم يَنْعَمُونَ برزق الله تعالى فتزلزل القصر بهم، حتّى تصدَّعت جدرانه ووقعت حيطانه، وقُتِلُوا جميعًا ولم يَبْقَ منهم أحدٌ. وبلغ سيدنا أيوب الخبر فبكى ولم يُقَابِل المصيبةَ إلا بالصبر.

أيوب عليه السلام لم يخرج منه الدود

امتلأ إبليس وأعوانه غيظًا مما صدر مِنْ سيدنا أيوب عليه السلام مِنْ صبْرٍ وتسْليم لقضاء الله وقدره. وأُصِيبَ سيدُنا أيوب بأمراضٍ شديدة عديدة، لكنَّه لم يَخْرُجْ منه الدُّود كما يذكر بعض الجهّال، وإنما اشتد عليه المرض والبلاء حتّى جفاه القريب والبعيد ولم يَبْقَ معه إلا القلَّة القليلة، لكنَّ زوجته بقيت تَخْدِمُهُ وتحسن إليه ذاكرةً فضلَه وإحسانَهُ لها أيام الرَّخاء.

فليحذرْ أشدَّ الحذر مـمَّا شاع وانتشر بين بعض الناس من أن سيّدنا أيوب عليه الصلاة والسلام خرج منه الدود وذلك بيانًا لشدة صبره بزعمهم، وهم يظنون أنهم بهذا الكلام يمدحون سيدنا أيوب، وهذا الكلام خُرافة لا أصل لها مخالفة لدين الله.

الأمراض المنفرة مخالفة لمنصب النبوة

إن الأمراض المنفّرة كخروج الدود من البدن مخالفة لمقام النبوة لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وظيفتهم الكبرى الدعوة إلى الله، وهذا الوصف المستقبح

المستشنع يُضادُّ ذلك؛ إذ إنه يجعل الناس يهربون وينفرون منهم، فهذا طعن في مقام النبوة العليّ، لكن من كان لا يقصد الذمَّ والتنقيص ولم يرَ أن مجرد خروج الدود منفّرٌ بل أراد المدح بأن سيدنا أيوب عليه السلام حصل معه هذا فصبر ولم يعترض فلا يكفر، لكن قوله حرام. وأما من كان يراه منفّرًا ونسبه لنبيّ الله أيوب عليه السلام فهذا خرج من دين الله والعياذ بالله تعالى.

أيوب لا يرد الدود إلى جسده

ووصل بالبعض أنهم زعموا أن أيوب عليه السلام كان كلما سقط الدود من جسمه ردّه إليه وهذا كفر والعياذ بالله، وجوابنا عن ذلك أن أهل الحق أجمعوا على أن الكبائر مستحيلة على الأنبياء عليهم السلام، فما يروونه في تلك القصة من أنه كانت تتساقط الديدان من جسمه ثم يعيدها ويقول لها: يا مخلوقة الله، يا مباركة، كُلي مما رزقك الله. فهذا فيه نسبة الكبائر إلى أيوب عليه السلام وهو مُخرِجٌ من الدين، لأن الإضرار بالجسم والعقل وإيذاء النفس بغير حقّ معلوم من الدين بالضرورة حُرمته. وفي هذا القول سَفَهٌ، والأنبياء منـزّهون عن السفه، فكيف يُنسب ذلك لنبيّ من أنبياء الله يُضرَب به المثل في الصبر.

فلذلك أثبت أهل الحق أن سيدنا أيوب لم يكن مرضه منفّرًا، ولم يخرج منه الدود ومِنْ ثَمَّ يعيده على زعمهم ليأكل من جسمه، وكذلك لم تصدر منه روائح كريهة ما دَفَعَت الناس إلى رميه على المزابل كما زعم بعض الناس أيضًا والعياذ بالله من الضلال.

ونعود إلى تكملة قصة سيدنا أيوب عليه السلام، فنقول: طالت مدّة هذه العلّة ولم يَبْقَ له شيءٌ من الأموال ألبتَّةَ، وكان يزورُهُ اثنانِ من المؤمنينَ فارتدَّ أحدهما وكفر، فسأل سيدنا أيوب عنه فقيل له: وسوس إليه الشيطان أنَّ الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين، وأنّك لست نبيًّا فاعتقد ذلك. فحزن سيدنا أيوب لهذا الأمر وتألَّمَ لارتداد صاحبه عن الإسلام فدعا الله أنْ يُعافِيَهُ ويُذْهِبَ عنه البلاء

كي لا يرتدَّ أحدٌ من المؤمنين بسبب طول بلائه. فرفع الله تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام البلاء، وكان ذلك بعد مرور ثمانية عشر عامًا، كان فيها سيدنا أيوب صابرًا شاكرًا ذاكرًا مع شدّة بلائه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[1] وأوحى إليه أن يضرب الأرض بِرِجْلِهِ فضربها فنبعَتْ عَيْنَانِ شَرِبَ مِنْ واحدة فتعافى باطنه واغتسل بالأخرى فتعافى ظاهره، وأذهبَ الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض، وأبدلَهُ بعد ذلك صِحَّة ظاهرةً وباطنةً وجمالًا تامًّا، ولـمّا اغتسل من هذا الماء المبارك أعاد الله أيوب على أحسن ما كان، وأنـزل له ثوبَيْنِ من السماء أبيضَيْنِ، التحف بأحدهما من وسطِه، ووضع الآخرَ على كتفيْه ثمّ أقبل يمشي إلى منـزله، وأبطأ على زوجته حتَّى لقِيَتْهُ من دون أنْ تَعرِفَهُ فألقت عليه السلام وقالت: «يَرْحَمُكَ الله، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ الله المبْتَلَى وَقَدْ كَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِكَ حِينَ كَانَ صَحِيحًا؟» قال: «**أَنَا هُوَ**»، وردّ الله إلى زوجة سيدنا أيوب شبابها ونضارتها فولَدَتْ له سبعةً وعشرينَ ذكرًا عوضًا عن الذين ماتوا سابقًا، وأقبلتْ سحابةٌ وصَبَّتْ في بَيْدَرِ قمحِهِ ذهبًا حتّى امتلأ، ثمّ أقبلت سحابة أخرى إلى بَيْدَرِ شعيرِهِ وحُبُوبِهِ فسكبت عليه فِضّةً حتّى امتلأَ.

والحقّ في هذه القصة ما دلّ عليه كتاب الله على لسان نبيّه محمد الصادق على أن الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام في جسده وأهله وماله، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك، وقد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب، قال الله عزَّ شأنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2]، فالواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله، ولا يزيد في القصة كما تزيد الزنادقة، فقد ألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم، وليس هذا بعجيب ممن يفتري على الدين من الذين لم يتجرؤوا على أنبياء الله ورسله فحسب بل تجرؤوا على الله تبارك وتعالى فشبَّهوه بخلقه ونسبوا إليه ما قامت الأدلة العقلية والنقلية المتواترة على استحالته

(١) ص/ ٤٤.

(٢) ص/ ٤٤.

عليه سبحانه وتعالى من قولهم إن الله في جهة أو إنه حالٌّ في مكان من الأمكنة أو إنه يوصف بالحركة أو السكون أو الهيئة أو الحجم أو اللون.

والذي يوافق الشريعة أن أيوب عليه السلام ابتُلِيَ، ولكنَّ بلاءَه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام[1]، وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه أُلقِيَ على كُناسة -أي مزبلة- بني إسرائيل وأنه رعى في جسده الدود، وعبثت به دوابّهم.

فأيّوب عليه صلوات الله وسلامه أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وحاشا أن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقزّزهم منه، بل الحقّ أن الله تعالى حكيم يرسل أنبياءه ورسله وقد جعلهم على أكمل هيئة وجمال وأخلاق سامية ومنطق فصيح واضح ليعلّموا الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم.

---

(١) «الجُذامُ كغُرابٍ: عِلَّةٌ تحدُث من انْتِشارِ السَّوْداءِ في البَدَنِ كلّه فَيَفْسُدُ مِزاجُ الأعْضاءِ وهَيْئَتها، ورُبَّما انتهى إلى تَآكُلِ الأعْضاءِ وسُقوطِها عن تَقَرُّحٍ»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: ج ذ م، (١/ ١٤٠٤).

الفصل السابع:
في الرد على من زعم أن سيدنا يونس شك في قدرة الله عليه

بعث الله تبارك وتعالى نبيَّهُ يونس بن متى عليه السلام إلى أهل «نينوى» الذين كانوا في أرض الموصل بالعراق، ليدعوهم إلى دين الإسلام ويعبدوا الله وحده، وكان عدد أهل نينوى أكثر من مائة ألف نسمة، وكانت قد دخلت فيهم الوثنية وانتشرت فيهم عبادة الأصنام.

فكان سيدنا يونسُ عليه السلام يدعو سكانَ تلك المدينة إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، لكنّهم كذّبوه وتمرّدوا عليه وأصرّوا على كفرهم ولم يستجيبوا لدعوته.

وبقي يونس عليه السلام بينهم صابرًا على الأذى يدعوهم إلى الحق، ولكنه مع طول مكثه معهم لم يَلْقَ منهم إلا عنادًا وتماديًا في الكفر والضلال، وأقام فيهم نحو ثلاثٍ وثلاثين سنة يدعوهم إلى الإسلام، ولم يؤمن به خلال هذه المدّة غير رجلين فأَيِسَ منهم أي ما عاد يرجو اهتداءهم وخرج من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله تعالى بالخروج، وظنَّ أن الله سبحانه لن يضيّق عليه بسبب تركه لأهل هذه المدينة، فخرج قبل أن يأمره الله بذلك، وهذه معصية صغيرة ما فيها خسّة ولا دناءة، وقد تاب منها سيدنا يونس ﷺ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]. وهذا شأن الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام إذا وقع أحدهم في معصية صغيرة يتوب منها فورًا.

(١) الأنبياء/ ٨٧.

يونس عليه السلام
لم يغضب من ربه ولم يشك بقدرة الله

وهنا ينبغي أن نتوقّف هنيهة لبيان أمر مهم، وهو أن بعض الناس ظنّوا من قصور أفهامهم أن يونس عليه السلام غضب من ربه وهذا غير صحيح ألبتة، بل من يعتقد هذا فقد وقع في الكفر والعياذ بالله تعالى، إذ لا يجوز هذا في حقّ أنبياء الله الذين عصمهم الله وجعلهم هداةً مهتدين عارفين بربهم، فمن نسب إلى يونس عليه السلام أنه ذهب غاضبًا من الله فقد افترى على نبيّ الله ونسب إليه الجهل بالله والكفر به، وهذا يستحيل على الأنبياء لأنهم معصومون من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوّة وبعدها. والصحيح أنّ سيدنا يونس عليه السلام أقام في قومه ثلاثًا وثلاثين سنة يدعوهم إلى الإسلام ولم يؤمن به خلال هذه المدّة غير رجلين اثنين، فترك قومه وخرج من بينهم آيسًا منهم لكفرهم وكان ذاك قبل أن يأمره الله تعالى بالخروج، وكان هذا منه ذنبًا صغيرًا لا خسّة فيه. وظنّ سيّدنا يونس أن الله لن يضيّق عليه ولن يؤاخذه على هذا الفعل المحرّم الذي ليس فيه خسّة ولا دناءة، وما كان ليغضب من ربّه فأرسل الله عليه الحوت فابتلعه، وذلك لأنّ سيدنا يونس ما كان ينبغي له أن يترك قومه من غير أن يأذن الله له بذلك، فسلّط عليه الحوت فابتلعه ومكث في بطنه ثلاثة أيّام، ولذلك سمّاه الله في القرآن الكريم ذا النّون أي صاحب الحوت.

وأما قول الله سبحانه في حقّ سيّدنا يونس: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[1]، فمعنى ذلك أنه ظنَّ أن الله تعالى لن يضيّق عليه بتركه لقومه قبل أن يؤمر بذلك، وكان خروجه ذاك معصية صغيرة ليس فيها خسّة ولا دناءة، ولا يجوز أن يُعْتَقَدَ أن نبيّ الله يونس عليه السلام ظنَّ أن الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه، لأن هذا مما لا يُعْذَرُ فيه أحد العوامّ فضلًا عن نبيّ كريم. وهذا كلام من لم يفقهْ كلامَ العرب

(١) الأنبياء/ ٨٧.

ولم يدرِ موارد استعمالاتهم، ومن ثمَّ نَبَّه اللغويّ محمد مرتضى الزبيدي على ذلك فقال: «القَدْر: التضييق، كالتقدير. يُقال: قَدَرَ عليه الشيءَ يَقْدِرُه ويَقْدُرُه قَدْرًا وقَدَرًا، وقَدَّرَه: ضَيَّقَه، عن اللّحيانيّ. وقولُه تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أَي لن نُضَيّق عليه، قاله الفَرّاء وأَبو الهَيْثَم. وقال الزَّجّاج: أَي لَنْ نُقدّر عليه ما قَدَّرنا من كونه في بَطْن الحُوتِ. قال: ونَقْدِرُ: بمعنَى نُقدِّر. قال: وقد جَاءَ هذا في التَّفسِير قال الأَزْهريّ: وهذا الذي قاله صحيح، والمعنى ما قَدَّرَهُ اللهُ عليه من التضييق في بطن الحوت وكُلٌّ ذلك سائغ في اللغة، والله أَعلم بما أَراد. وأما أن يكون من القُدرة فلا يجوز لأَنّ من ظنّ هذا كَفَر، والظنّ شكٌّ، والشكّ في قدرة الله تعالى كُفْرٌ. وقد عَصَمَ الله أَنْبِيَاءَه عن ذلك، ولا يَتَأَوَّل مِثْلَه إِلا جاهلٌ بكلامِ العَرَب ولُغَاتِهَا[1]»اهـ.

ولنستطلع بعض الأقوال التي وردت في هذا الشأن عن بعض المفسّرين، فقد قال القرطبيّ في تفسير هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ قال الحسن والشعبيّ[2] وسعيد بن جبير: «مغاضبًا لربه عزَّ وجلَّ». واختاره الطبريّ واستحسنه المهدويّ[3]، وروي عن ابن مسعود.

(١) **تاج العروس**، الزبيدي، مادة: ق د ر، (١٣/ ٣٧٣).

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبيّ الحميريّ (ت ١٠٣ هـ)، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه. سئل عما بلغ إليه حفظه فقال: «ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدّثني رجل بحديث إلا حفظته»اهـ. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهًا. **حلية الأولياء**، أبو نُعيم، (٤/ ٣١٠). **تهذيب ابن عساكر**، (٧/ ١٣٨). **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٢٥١).

(٣) أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدويّ التميميّ (ت ٤٤٠ هـ)، أبو العباس، مقرئ أندلسيّ أصله من المهدية بالقيروان. رحل إلى الأندلس في حدود سنة ٤٠٨هـ وصنّف كتبًا، منها: (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)، وهو تفسير كبير للآيات يذكر القراءات والإعراب، واختصره وسماه (التحصيل في مختصر التفصيل)، و(أبيات في أجناس الظاءات)، و(التيسير في القراءات). **الأعلام**، الزركلي، (١/ ١٨٤، ١٨٥).

وقال النحاس[1]: «وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح». والمعنى: مغاضبًا من أجل ربه، كما تقول: غضبتُ لك أي من أجلك. والمؤمن يغضب لله عزَّ وجلَّ إذا عُصِيَ، ولم يغضب على الله ولكن غضب لله. وقال ابن مسعود: أبق من ربه أي من أمر ربه حتى أمره بالعودة إليهم بعد رفع العذاب عنهم. فإنه كان يتوعَّد قومه بنـزول العذاب في وقت معلوم، وخرج من عندهم في ذلك الوقت، فأظلَّهم العذاب فتضرَّعوا فرفع عنهم ولم يعلم يونس بتوبتهم؛ فلذلك ذهب مغاضبًا وكان من حقه ألا يذهب إلا بإذن محدد.

وأما ما يقوله بعض الجهال من أنَّ قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾[2]، معناه استزلَّهُ إبليس ووقع في ظنّه إمكان ألا يقدر الله عليه بمعاقبته، فهذا قول مردود وهو كفر.

وذكر الثعلبيّ[3] وقال عطاء[4] وسعيد بن جبير وكثير من العلماء معناه: فظن أن لن نضيّق عليه. قال الحسن: هو من قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[5] أي يضيّق. وقوله سبحانه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل المراديّ المصريّ (ت ٣٣٨ هـ)، أبو جعفر النحاس مفسّر أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباريّ. زار العراق واجتمع بعلمائه وصنّف: (تفسير القرآن)، و(إعراب القرآن)، و(ناسخ القرآن ومنسوخه)، و(معاني القرآن). **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٢٠٨).

(٢) الأنبياء/ ٨٧.

(٣))أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ (ت ٤٢٧ هـ)، أبو إسحاق، مفسر من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. من كتبه: (الكشف والبيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الثعلبيّ. **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٢١٢).

(٤) عطاء بن أبي رباح "أسلم"، مفتي الحرم، أبو محمد القرشيّ، من كبار التابعين حدّث عن عائشة وأم سلمة وأم هانئ وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم، وحدث عنه مجاهد والزهريّ وقتادة. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (٥/ ٧٨ ، ٨٧).

(٥) الرعد/ ٢٦.

عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾[١]. قلتُ -أي القرطبيّ-: وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن وقَدَرَ وقَدَّرَ وقَتَرَ وقَتَّرَ بمعنًى، أي ضيَّق وهو قول ابن عباس في ما ذكره الماورديّ[٢] والمهدويّ. وقيل: هو من القدر الذي هو القضاء والحكم، أي فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة.

وهذان التأويلان تأولهما العلماء في قول الرجل الذي لم يعمل خيرًا قط لأهله إذا مات فحرَّقوه: «**فوالله لئن قدر الله عليّ**»[٣] الحديث، فعلى التأويل الأول يكون تقديره: والله لئن ضيَّق الله عليَّ وبالغ في محاسبتي وجزائي على ذنوبي ليكونن ذلك، ثم أمر أن يحرق بإفراط خوفه. وعلى التأويل الثاني: أي لئن كان سبق في قدر الله وقضائه أن يعذب كل ذي جُرْمٍ على جُرْمِهِ ليعذّبني الله على إجرامي وذنوبي عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين غيري. وحديثه خرّجه الأئمة في الموطأ وغيره.

والرجل كان مؤمنًا مُوَحِدًا. وقد جاء في بعض طرقه: «**لم يعمل خيرًا إلا التوحيد**»[٤] وقد قال حين قال الله تعالى: «**لم فعلت هذا؟**» قال: من خشيتك

---

(١) الطلاق/ ٧.

(٢) عليّ بن محمد بن حبيب البصريّ الماورديّ الشافعيّ (ت ٤٥٠ هـ)، قال القاضي شمس الدين في «وفيات الأعيان»: «من طالع كتاب «الحاوي الكبير» له يشهد له بالتبحُّر ومعرفة المذهب»اهـ. ولي قضاء بلاد كثيرة، وله: تفسير القرآن سماه (النكت والعيون)، و(أدب الدنيا والدين)، و(الأحكام السلطانية). **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (١٨/ ٦٤ - ٦٧).

(٣) ولفظ الحديث في موطأ مالك: «حدثني عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرّقوه، ثم اذْرُوا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذّبه أحدًا من العالمين، فلمّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم. قال: فغفر له**»اهـ. كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، (١/ ٢٤٠)، رقم الحديث ٥٧٠.

(٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (١١/ ٣٣٢).

يا رب. والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1]. وقد قيل: إن معنى ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: الاستفهام، وتقديره: أَفَظَنَّ؟ فحذف ألف الاستفهام إيجازًا، وهو قول سليمان التيميّ أبي المعتمر[2]. وحكى القاضي منذر بن سعيد[3]: «أن بعضهم قرأ «**أفظن**» بالألف»[4]اهـ.

---

(١) فاطر/ ٢٨.

(٢) سليمان بن طرخان الإمام (ت١٤٣هـ)، أبو المعتمر التيميّ البصريّ. محدّث، قال يحيى بن معين والنسائيّ وغيرهما: «ثقة»اهـ. روى عن أنس بن مالك وعن أبي عثمان النهديّ، حدّث عنه أبو إسحاق السبيعيّ أحد شيوخه وابنه معتمر وشعبة وسفيان وحماد ابن سلمة، قال عليّ بن المدينيّ: «له نحو مائتي حديث»اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (٦/ ١٩٥ – ٢٠٢).

(٣) منذر بن سعيد البلوطيّ أبو الحكم الأندلسيّ (ت ٣٥٥ هـ)، قاضي الجماعة بقرطبة، من تصانيفه: (الإنباه عن الأحكام من كتاب الله)، و(الإبانة عن حقائق أصول الديانة). قال ابن بشكوال في بعض كتبه: «منذر بن سعيد خطيب بليغ مِصْقَعٌ لم يكن بالأندلس أخطب منه مع العلم البارع والمعرفة الكاملة واليقين في العلوم والدين والورع وكثرة الصيام والتهجد والصدع بالحق»اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (١٦/ ١٧٣ – ١٧٨).

(٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١١/ ٣٢٩ – ٣٣٢).

الفصل الثامن:
في الرد على مزاعم تطعن في سيدنا موسى عليه السلام

موسى عليه السلام لم يكن عصبيَّ المزاج

لم يكن سيدنا موسى عليه السلام نموذجًا للرجل المندفع العصبيّ المزاج كما يُفترى عليه في الكتاب المسمى: (التصوير الفنيّ في القرآن)[1] لسيد قطب المجسّم الذي صدّره حزب الإخوان وبرّزوه. بل كان سيدنا موسى عليه السلام حليمًا رقيق القلب، فقد أخرج البخاريّ في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « قسم النبيّ ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم، فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله –وهذا كفر والعياذ بالله– قلت: أما أنا لأقولنَّ للنبيّ ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فساررته فشقَّ ذلك على النبيّ ﷺ وتغيَّر وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته. ثم قال: «**يرحم الله موسى قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**»[2]. قال ابن حجر في معرض بيانه بعض الأمور التي صبر فيها سيدنا موسى عليه السلام: «وأشار بقوله ﷺ: «**قد أوذي موسى**» إلى قول الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ** ﴾[3] قد حُكِيَ في صفة أذاهم ثلاث قصص إحداها: قولهم هو آدر[4]، وقد تقدَّم ضبط ذلك وشرحه في قصة موسى من أحاديث الأنبياء، ثانيها: في قصة موت هارون وقد أوضحته أيضًا في قصة موسى، ثالثها: في قصته مع قارون حيث أمر البغيَّ أن

---

(١) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (ص ١٦١، ١٦٢).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، (٤/ ١٩١)، رقم الحديث ٣٤٠٥.

(٣) الأحزاب/ ٦٩.

(٤) من أصيب بالأُدرة، قال الزبيدي: «الأُدرة بالضم مرضٌ تنتفخ منه الخصيتان ويكبران جدًّا»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: أ د ر، (١٠/ ٤٠). وقد تقدم.

تزعم أن موسى راودها حتى كان ذلك سبب هلاك قارون، وقد تقدم ذلك في قصة قارون في آخر أخبار موسى من أحاديث الأنبياء»[١]اهـ.

وقال الله تعالى في مدح أنبيائه عليهم السلام: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]، وقضيةُ تفضيلهم جعلهم على أحسن خَلْقٍ وأعدله وأفضل خُلُقٍ وأتـمّه، فوصفُ سيدنا موسى بأنه كان متَسخّطًا حَنِقًا يستشيط غضبًا مضادٌ للآية وتنقيص لشأن سيدنا موسى عليه والسلام، والعياذ بالله من الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٣]، وأما سيد قطب فكفرياتُه وأخطاؤه لا يحصيها إلا الله، ومنها ما أدت به إلى القدح والذّمّ بسيدنا موسى عليه السلام فقال في كتابه المسمى «التصوير الفنيّ في القرآن» ما نصه: «لنأخذ موسى إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج»، ويقول في الصحيفة التالية: «فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات، فلعله قد هدأ وصار رجلًا هادئ الطبع حليم النفس»[٤]اهـ.

ولا يخفى عليك أيها القارئ المنصِف ما في هذا الكلام من الطعن والقدح بنبيّ الله موسى عليه السلام الذي قال الله عنه في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾[٥]. قال القرطبيّ في تفسيرها: «لـمّا ذكر الله تعالى المنافقين والكفار الذين آذَوْا رسول الله ﷺ والمؤمنين، حذّر المؤمنين من التعرض للإيذاء، ونهاهم عن التشبّه ببني إسرائيل في أَذِيَّتِهِم نبيَّهم موسى. واختلف الناس في ما أوذي به محمد ﷺ

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (١٠/ ٥١٢).

(٢) الأنعام/ ٨٦.

(٣) النساء/ ١٣٦.

(٤) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (ص ١٦١، ١٦٢).

(٥) الأحزاب/ ٦٩.

وموسى عليه السلام، فحكى النَّقَّاش[1] أن أذيتهم محمدًا عليه السلام قولهم: «زيد ابن محمد»، وقال أبو وائل: أذيته أنه ﷺ قَسَمَ قَسْمًا فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أُرِيدَ بها وجه الله، فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فغضب وقال: «**رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**». وأما أذية موسى ﷺ فقال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة: هي ما تضمنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وذلك أنه قال: «**كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، وكان موسى عليه السلام يتستّر كثيرًا ويخفي بدنه، فقال قوم: هو آدر وأبرص أو به آفة، فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بأرض الشام وجعل ثيابه على صخرة، ففرَّ الحجر بثيابه واتبعه موسى عريانًا يقول: «ثوبي حجر، ثوبي حجر» حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فنظروا إليه وهو من أحسنهم خلقًا وأعدلهم صورةً وليس به الذي قالوا فهو قوله تبارك وتعالى:** ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾»[2] أخرجه البخاريّ ومسلم بمعناه. ولفظ مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سَوْءَة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر قال: فذهب يومًا يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففرّ الحجر بثوبه، قال: فجمح** -أي جرى جريًا سريعًا- **موسى عليه السلام بإثره يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى نَظَرَتْ بنو إسرائيل إلى سَوْءَة موسى وقالوا: والله ما بموسى من بأس. فقام الحجر حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا**»[3]، قال أبو هريرة: والله إنه بالحجر نَدَب[4] ستة

---

(١) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون (ت ٣٥١ هـ)، أبو بكر النَّقَّاش، عالم بالقرآن وتفسيره. أصله من الموصل ومنشؤه ببغداد. رحل رحلة طويلة. وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش. من تصانيفه: (شفاء الصدور) في التفسير، و(الإشارة في غريب القرآن)، و(الموضح في القرآن ومعانيه)، و(المعجم الكبير في أسماء القراء وقراءاتهم). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٨١).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، (٤/ ١٩٠).

(٣) تقدَّم تخريجه (ص ١٤).

(٤) «نَدَب: بفتح النون والدال وهو الأثر»اهـ. **شرح مسلم**، النووي، (٢/ ٥٢).

أو سبعة ضرب موسى بالحجر. فهذا قول. وروي عن ابن عباس عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: «آذوا موسى بأن قالوا: قتل هارون، وذلك أن موسى وهارون خرجا من فحص -أي أرض- التيه[1] إلى جبل فمات هارون فيه، فجاء موسى فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته وكان ألين لنا منك وأشدّ حبًّا، فآذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى طافوا به في بني إسرائيل، ورأوا آية عظيمة دلّتهم على صدق موسى عليه السلام، ولم يكن فيه أثر القتل».

فإن قيل: كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل؟ قيل: لأنه صدر عن الحجر فعل من يعقل. و«**حجر**» منادى مفرد محذوف حرف النداء، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[2]، و«**ثوبي**» منصوب بفعل مضمر، التقدير: «أعطني ثوبي، أو اترك ثوبي»، فحذف الفعل لدلالة الحال عليه. قول الله سبحانه: ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي عظيماً. والوجيه عند العرب: العظيم القدر الرفيع المنـزلة. ويروى أنه كان إذا سأل الله شيئًا أعطاه إياه»[3] انتهى كلام القرطبيّ وقد تقدَّم بعضه.

وموسى عليه السلام مدحه الله في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[4]، وقال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾[5]، ويكفيه شرفًا ورفعةً أنه

---

(١) التيه هو الموضع الذي ضلّ فيه قوم موسى بن عمران عليه السلام، وهو أرض بين أَيْلَةَ (العقبة) ومصر وبحر القُلْزُم (البحر الأحمر) وهو الآن قلب شبه جزيرة طور سيناء. قال الزبيديّ: «التّيه: موضع تاه فيه بنو إسرائيل بين مصر والعقَبة فلم يَهْتدوا للخروج منه»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ت ي هـ، (٣٦/ ٣٦١).

(٢) يوسف/ ٢٩.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٤/ ٢٥٠).

(٤) مريم/ ٥١.

(٥) القصص/ ٣١.

كليم الله كما أخبر سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[1].

وهنا تنبيه مهم في بيان معنى تكليم الله لسيدنا موسى عليه السلام، قال شيخنا شيخ الإسلام عبد الله الهرريّ مبيّنًا صفة الكلام لله تعالى: «ومعنى صفة الكلام لله أن له صفة هو بها متكلم آمر ناهٍ واعد مُتوَعّد ليس ككلام غيره، بل أزليّ بأزلية الذات لا يشبه كلام الخلق. وليس بصوت يحدث من انسلال الهواء أو اصطكاك الأجرام، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، ونعتقد أن سيدنا موسى عليه السلام سمع كلام الله الأزليّ بغير حرف ولا صوت كما يرى المؤمنون ذات الله في الآخرة من غير أن يكون جوهرًا ولا عرضًا، لأن العقل لا يُحيل سماع ما ليس بحرف ولا صوت. وكلامه تعالى الذاتيّ ليس حروفًا متعاقبة ككلامنا. وإذا قرأ القارئ منا كلام الله فقراءته حرف وصوت ليست أزلية، لأن ما يقوم بالمخلوق لا يُعقل أن يكون أزليًّا. وأما مقروؤه فهو عبارة عن الكلام الأزليّ الأبديّ الذي ليس بحروف ولا صوت.

وكُتُب الله المنـزلة من القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك مما أنزله على رسله عبارات عن كلامه الذاتيّ الأزليّ الأبديّ. والعبارة غير المعبَّر عنه، ولذلك اختلفت باختلاف الألسنة. فإذا عُبِّر عن الكلام الذاتيّ بحروف القرآن التي هي عربية فقرآن، وبالعبرانية فتوراة، وبالسريانية فإنجيل وزبور. فالاختلاف في العبارات دون المعبَّر عنه. فحروف القرآن حادثة، والمعبَّر عنه بها هو الكلام الذاتيّ القائم بذات الله أزليٌّ. فتبيّن أن القراءة والتلاوة والكتابة حادثة، كما أنه إذا ذُكر اللهُ بألسنةٍ متعددةٍ ولغات مختلفة فإن الذكر حادث والمذكور هو ربّ العباد قديم أزليّ. فوضحَ أن القرآن له إطلاقان: أحدهما إطلاقه على كلامه الذاتيّ الأزليّ الأبديّ الذي لا يتجزّأ ولا يتبَعَّض، الذي هو ليس عربيًّا ولا سريانيًّا ولا غيرهما من اللغات، فالقرآن بهذا المعنى قديم قطعًا.

والإطلاق الثاني اللفظ المنَزّل على سيدنا محمد لإعجاز المعارضين بأقصر

(١) النساء/ ١٦٤.

سورة منه. ويسمى هذا اللفظ كلام الله أيضًا لأنه دالّ على الكلام الذاتيّ وعبارة عنه.

وكِلا الإطلاقين حقيقة، أما تسمية الأول كلام الله فظاهر لا يحتاج إلى تأويل. وأما تسمية اللفظ المنزّل كلام الله فلأنه يدل على الكلام الذاتيّ، ولأنه ليس من تأليف جبريل ولا من تأليف سيدنا محمد ﷺ. فالكلام الأزليّ لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى قلوب العباد والأوراق، ولا التقديم ولا التأخير ولا اللحن ولا الإعراب ولا سائر التغييرات، فتفهموا ذلك رحمكم الله»[١]اهـ.

لم يكن موسى عليه السلام تأتاءً ولا ألثغ

ليعلم أنَّ الأنبياء يستحيل أن يكون منهم من هو تَأْتَاءٌ[٢] أو أَلْثَغُ[٣] أو فَأْفَاءٌ[٤] أي يكرر حرف التاء أو الفاء عدة مرّاتٍ عند النطق به، فليس فيهم من هو عَيِيٌّ يعجز عن التعبير، ولا من هو مَعيْبٌ بعلّة لسانيّة تحبسه عن النطق، بل كلُّ الأنبياء فصحاء بلغاء يُخرجون الحروف من مخارجها وينطقون بها بشكل صحيح من المرة الأولى ولا يتلعثمون حين يتكلمون.

وأمَّا ما يُفترى على سيدنا موسى عليه السلام من أنه كان تأتاءً أو ألثغ فهو غير صحيح ألبتة، والصحيح أنه تأثر لسانُه عليه السلام بالجمرة التي تناولها

(١) **الدليل القويم على الصراط المستقيم**، الهرريّ، (ص٢٢٧- ٢٢٩).

(٢) «رجل تأتاء على فعلال وفيه تأتأة: يتردد في التاء إذا تكلّم»اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: ت أ ت أ، (١/ ٤٠).

(٣) «اللَّثَغ محرَّكة واللُّثْغة بالضم: تحوُّل اللسان من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين أو اللام إلى الياء أو من حرف إلى حرف أو أن لا يتم رفع لسانه وفيه ثقل»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: ل ث غ، (١/ ١٠١٧).

(٤) «هو الذي يكثر ترداد الكلام إذا تكلم، أو هو مردّد الفاء ومكثره في كلامه إذا تكلّم، وهو قول المبرد، وفيه فأفأةٌ أي حبسة في اللسان وغلبة الفاء على الكلام»اهـ. **تاج العروس**، الزبيدي، مادة: ف أ ف أ، (١/ ٣٤١).

ووضعها في فمه حين كان طفلًا أمام فرعون وذلك لحكمة، فصار في لسانه عقدة خفيفة، ولكن كان كلامه مُفْهِمًا لا يُبدل حرفًا بحرفٍ بل يتكلم بلسانٍ مُبيْنٍ سليم من العيوب، ولـمَّا نزل عليه الوحي دعا الله تعالى قائلًا: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾[1] فأذهبها اللهُ سبحانه عنه.

قال المفسرون كالطبريّ وأبي حيان وغيرهم: «إن فرعون كان قد وضع موسى عليه السلام وهو طفل صغير في حِجْرِهِ، فأخذ موسى بلحية فرعون ومدَّها بيده فَهَمَّ فرعون بقتله فخافت عليه زوجته آسية وقالت لفرعون: إنه طفل لا يعقل، وسأريك بيان ذلك: قَدّمْ إليه جمرتين ولؤلؤتين فإن اجتنب الجمرتين عرفتَ أنه يعقل، فلمّا وضعت الجمرتين أمام موسى عليه السلام أخذ موسى -لحكمة- جمرة منهما ووضعها في فمه، فأحرقت لسانه وصار فيه عقدة خفيفة من أثر هذه الجمرة، لكن بقي كلامه بعد ذلك مع الناس مفهمًا وواضحًا، بل كان عليه السلام يتكلّم على الصواب، وقد سأل موسى عليه السلام ربَّهُ لـمَّا نزل عليه الوحي أن يزيل هذه العقدة من لسانه فاستجاب الله له وأذهبها عنه»[2]اهـ.

كذب صراح وكفر بواح ما يفترى على موسى عليه السلام أنه قال لربه: كم لك في الألوهية

ومما يجب التحذير والتنبيه منه كتاب اسمه «مناجاة موسى» أو «المناجاة الكبرى»، ففيه كفر شنيعٌ يُنسب إلى موسى عليه السلام كذبًا وافتراءً وهو بريء منه، وهو قولهم: إنَّ موسى عليه السلام قال: يا رب، كم لك في الألوهية؟، فهذا الاستفهام يستحيل أن يصدر من نبيّ من الأنبياء، لأن الأنبياء هم حَمَلَةُ الهداية إلى العباد، وهم علّموا أن الله أزليٌّ لا بداية له ولا يوصف بالزمان، فلا يقال: منذ كم

(١) طه/ ٢٧، ٢٨.

(٢) **جامع البيان**، الطبريّ، (١٨/ ٣٠٠). **البحر المحيط**، أبو حيان، (٧/ ٣٢٨).

الله في الألوهيّة، أو كم له في الألوهيّة من الزمن؟ فالله تعالى موجود قبل الزمان[1] والمكان[2]، وكلٌّ من الزمان والمكان حادث مخلوق، فمن نسب إلى الله أنه يجري عليه الزمان أو أنه يحلّ في المكان فهو كافر غير عارف بربه عزّ وجلّ.

وذلك الكتاب المسمى «مناجاة موسى» يشتمل على كفر صريح، وقد قدّمنا أنه يشتمل على تلك الحكاية الباطلة وهي وحدها كافية في رد هذا الكتاب، ونص الحكاية المكذوبة: «قال موسى: يا ربّ أريد أن أسألك عن أشياء وأنا خائف منك فلا تؤاخذني، قال: فاسأل يا موسى ما بدا لك ولا تخف فإني الحكيم الكريم أحلم على مَن عصاني، قال: يا رب أين أنت، قال: في قلوب عبادي المنكسرين النقية من المعاصي[3]، قال: ومن النقيّ قلبه؟ قال: الذي يتقي الحلال مخافة أن يقع في الحرام، فقلوبهم منوَّرة بذكر الله تعالى، قال: أخبرني عن أول مخلوق خلقته قبل كل شيء، قال الله تعالى: يا موسى قبضت قبضة من نور

(١) «الزمان عبارة عن متجدّد معلوم مقدّر به متجدد آخر موهوم كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس فإن طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام»اهـ. **التعريفات**، الجرجانيّ، (١/ ١٥٢).

(٢) «المكان هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده»اهـ. **التعريفات**، الجرجانيّ، (١/ ٢٩٢). وقد عَرَّف المكان جمعٌ من اللغويين وأهل العلم، ونقتصر على ذكر البعض، فقد قال أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهانيّ (ت ٥٠٢ هـ)، ما نصه: «المكان عند أهل اللغة الموضع الحاوي للشيء»اهـ. **المفردات في غريب القرآن**، (١/ ٧٧٢). وقال مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأباديّ (ت٨١٧ هـ) ما نصه: «المكان: الموضع، ج: أمكنة وأماكن»اهـ. **القاموس المحيط**، مادة:م ك ن، (١/ ١٥٨٥). وقال العلامة كمال الدين أحمد بن حسن البَياضيّ الحنفيّ (ت ١٠٩٨ هـ) ما نصه: «المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم»اهـ. **إشارات المرام**، (ص ١٩٧). وقال المحدث الفقيه العلامة الشيخ عبد الله الهرريّ المعروف بالحَبشيّ (ت١٤٢٩هـ) ما نصه: «المكان هو ما يأخذه الحجم من الفراغ»اهـ.

(٣) يكفر من يقول: «الله يسكن قلوبَ أوليائه» إن كان يفهم منه الحلول، لكن إن كان يفهم من هذه العبارة أن حب الله ساكن قلوبهم فلا يكفر لكن لا يجوز هذا.

وجهي[1] فقلت لها: كوني حبيبي محمدًا ﷺ فصارت كوكبًا تسبّحني، فكان هو أول مخلوق خلقته وآخر مبعوث بعثته برسالتي، وهو أول من عبدني بالغيب

(١) قال شيخ الإسلام عبد الله الهرريّ رحمه الله: «من هنا يُعلَمُ فسادُ قول من يقول إن نورَ محمدٍ خُلِقَ قبل كل شيءٍ، فالذي يعتقدُ أن الله خَلَقَ نورَ محمدٍ قبل كل الأشياء لا يُكفَّر لكنه يُغَلَّط لمخالفته ثلاثةَ أحاديثَ ثابتةٍ، وكذلك الذي يعتقد أن روحَ محمدٍ خُلِقَ من نور لا يكفَّر، لكن من يعتقد أن جَسَدَ محمدٍ خُلِقَ من نورٍ فهو كافر لتكذيبه القرآن، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت]. ولم يصحَّ حديث جابر المفتعل والذي فيه: «أوّل ما خلقَ الله نورُ نبيّك يا جابر خلقَهُ الله من نوره قبل الأشياء» وهذا الحديثُ ركيكٌ، والركاكةُ قال علماءُ الحديث إنها دليلُ الوضع لأن الرسول لا يتكلمُ بكلام ركيكِ المعنى، وذلك لأن في الجملة الأولى: «أولُ ما خلق الله تعالى نور نبيك» جعل نور النبي أول العالم والمخلوقات على الإطلاق ثم هذه الجملة: «خلقه الله من نوره قبل الأشياء» إن اعتُبِرَ أن معنى من نوره أي نور مخلوق لله على أن الإضافةَ إضافة الملك إلى المالك ليست إضافة صفةٍ إلى موصوفٍ يكون المعنى أن أولَ المخلوقاتِ نورٌ خلقَهُ الله ثم خَلَقَ منه نور محمد، فهذا يناقض الجملة الأولى، لأن الجملةَ الأولى تَدُلُّ على أن نورَ محمدٍ أولُ المخلوقاتِ على الإطلاق، وهذه الجملةُ «خلقه الله من نوره قبل الأشياء» تدلُّ على أن أولَ المخلوقاتِ نورٌ خُلِقَ منه نورُ محمد، فيكون نور محمد متأخرًا عن ذلك النور في الوجود فلا يصح على هذا قول: «نور محمد أول المخلوقات على الإطلاق». وأما إن اعتُبِرت الإضافةُ التي في نوره إضافة الصفة إلى الموصوفِ فالبليةُ أشدُّ وأكبرُ لأنه يكون المعنى أن سيدَنا محمدًا جزءٌ من صفةِ الله، وهذا إثبات البعضية لله وذلك كفر، والله تعالى منزهٌ عن البعضيةِ والتركيبِ والتجزؤ. فيكون على التقديرِ الثاني إثبات التبعض لله وذلك ينافي التوحيد، لأن الله واحدٌ ذاتًا وصفاتٍ لم ينحلَّ منه شيءٌ ولا ينحلُّ هو من شيء غيره، فلا تكون صفاته صفةً لغيره كما قررَ علماءُ التوحيد في مؤلفاتهم. فبهذا سَقَطَ الاحتجاجُ بهذا الحديثِ على دعوى أن أوّلَ المخلوقاتِ على الإطلاق نورُ محمدٍ. ثم إن هذا الحديثَ لم يصححهُ أحدٌ من الحفاظ، وممن ردّ حديث جابر المفتعل الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماريّ في **مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر**، وقالَ الحافظ السيوطيّ إنه لا يثبت، ونسبة هذا الحديث إلى عبد الرزاق لا يُفيدُ أن هذا الحديثَ صحيحٌ أو حسنٌ، على أنه لم يقل أحدٌ من هؤلاء إن الحديثَ صحيحٌ أو حسنٌ إنما أوردوه ناسبينَ إيّاه إلى مصنَّفِ عبدِ الرزاق –وليس له وجود في مصنفه– فليس في ذلك حجة»اهـ. **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرري، (ص ١١٦). **رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي**، الهرري. وسيرد تفنيد أن محمدًا ﷺ ليس نورًا بمعنى الضوء في الباب الثالث الفصل الأول من هذا الكتاب.

ثمانين ألف عام، قال: سبحانك أنت الذي تغضب وأنت الذي ترضى لا إله إلا أنت إنك على كل شىء قدير، قال: يا موسى إذا غضبت على عبدي سلبت عنه طاعتي وأشغلته بدنياه عن آخرته حتى يلقاني ولا حسنة له عندي، قال موسى: يا رب وكم لك في الألوهية؟ قال: تأدب يا موسى قد سألت عن أمر عظيم»اهـ. وهذا مما لا يخفى بطلانه، نعوذ بالله من الكفر والضلال. فالله منزّه عن الزمان لأن الزمان مخلوق له بداية، أما الله تعالى فهو خالق كل شىء وليس له بداية ولا يجري عليه الزمان.

ومما يجب التحذير والتنبيه منه أن أناسًا يزعمون التصوفَ -والتصوفُ الحقيقيّ بريء منهم- يَنْسِبون إلى نبيّ الله موسى أنّه قال له ربّهُ: أتظنُّ نفسك أفضل من الكلب الأجرب؟ قالَ: لا، وأَنّ الربّ عزّ وجلّ قال له: لو قلتَ بلى لمحوتُك من ديوان الأنبياء. وهذا خروج عن ملّة الإسلام، وقد قالوا في الحثّ على التواضع على زعمهم: إن الله سبحانه أوحى إلى نبيّه موسى في إحدى مناجاته يا موسى إذا أتيت إلى المناجاة الآتية فاصطحب معك مخلوقًا أنت أفضل منه، وحاول موسى عليه السلام وهو النبيّ الكريم، وأحد أولي العزم من الرسل، أن يجد من البشر من يراه دونه فلم يجد، فنظر في الحيوانات فلم يجد، إلى أن عثر على كلب أجرب فقاده معه، وفي أثناء الطريق أطلقه، تواضعًا لله تبارك وتعالى أن يجد نفسه شيئًا عند الله تعالى، فلمّا جاء إلى المناجاة أوحى الله سبحانه إليه أنه حسنًا فعلت حين أطلقت الكلب، ولو جئتَ به لكنتُ محوتك من ديوان النبوة[1]اهـ.

وهذا من أبشع الكفر، فإن الأنبياء هم صفوة خلق الله حفظهم الله وعصمهم وخلّقهم بالأخلاق السامية الرفيعة، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] أي أنهم أفضل من كل العالمين، والعالم اسم لكل موجود إلا

(١) الكتاب المسمى **عدة الداعي ونجاح الساعي**، أحمد بن فهد الحليّ، (ص ٢١٨).

(٢) الأنعام/ ٨٦.

الله تبارك وتعالى[١]، فهذا الكلام المختلَق المكذوب ظاهر الوضع وهو أوهى في الثبوت من خيط العنكبوت، فلا يُلتفت إليه ولا يجوز أن يعتقد مثل هذا في سيدنا موسى النبيّ المكرَّم الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾[٢].

مما يجب التحذير والتنبيه منه ما زعمه بعض القصاصين أن الله قال لموسى يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما

ومن جملة ما افتري به على سيدنا موسى عليه السلام ما روي عن كعب الأحبار[٣] أنه قال (**والقصة مكذوبة**): «أصاب الناسَ قحط شديد على عهد موسى رسول الله عليه السلام، فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقي لهم، فلم يُسْقَوْا، حتى خرج ثلاث مرات ولم يُسْقَوْا، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نَمَّام، فقال موسى: يا ربِّ، ومن هو حتى نخرجه من بيننا، فأوحى الله إليه: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نَمَّامًا، فقال موسى لبني إسرائيل: توبوا إلى ربّكم أجمعكم عن النميمة، فتابوا، فأرسل الله تعالى عليهم الغيث»اهـ.

وفي رواية أخرى(**وهي قصة مكذوبة**) يزعمون أن موسى خرج يستسقي ببني إسرائيل، وكانوا سبعين ألفًا، وكان في السماء بعض السحاب، فقام نبيّ الله

(١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (١٣/ ٥٣).

(٢) الأحزاب/ ٦٩.

(٣) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحِمْيَريّ (ت ٣٢ هـ)، أبو إسحاق، تابعيّ. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وقدم المدينة في دولة عمر عليه رضوان الله، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها عن مائة وأربع سنين. **حلية الأولياء**، أبو نُعيم (٥/ ٣٦٤). **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٢٢٨).

موسى عليه السلام يدعو وبنو إسرائيل يؤمّنون على دعائه، وفجأة بدأ السحاب يتفرّق، وكانت مفاجأة لا يتوقَّعها أحد، كيف لا يجيب الله دعاء كليمه موسى عليه السلام، وعندها قال موسى مناجيًا ربه: ربّ ما عوّدتني هذا، وإنما عوّدتني إذا دعوتك أن تجيب دعائي، فجاء الجواب من الله عزَّ وجلَّ: يا موسى، إن بينكم عبدًا لي عصاني أربعين سنة، وإني لن أسقيكم ما دام بينكم، فَمُرْهُ يخرج حتى أسقيَكم، فقال موسى: ربّ وكيف لي به؟ أعلمني إياه حتى أخرجه، فقال له ربّ العزّة والجلال: بل نادِ في بني إسرائيل: يا من عصيت الله أربعين سنة اخرج من بين أظهرنا حتى يسقينا الله. فقال موسى: ربّ وأنّى لي أن يبلغهم صوتي وهم سبعون ألفًا؟ قال: يا موسى، عليك النداء وعلينا البلاغ **(انتبه هذه قصة مكذوبة)** فجمعهم موسى في صعيد واحد، ثم قال لهم ما أمره به ربّه عزَّ وجلَّ، فصار الناس ينظر بعضهم إلى بعض، وكل يرجو ألا يكون هو المراد، ولكن لم يخرج أحد، فأعاد موسى النداء ولم يخرج أحد، وأعادها الثالثة وقال: ويلك يا من عصيت الله أربعين سنة، سيهلك الناس بسببك فاخرج من بين أظهرنا، وكان الرجل المقصود ينتظر في كلّ مرة ينادي فيها موسى أن يخرج غيره، ويتمنى ألّا يكون هو المعنيّ بكلام موسى، ولكن في المرة الثالثة أيقن أنه المراد، وخاف الفضيحة، وصارت نفسه تراوده ويراودها هل أخرج حتى لا يهلك الناس؟ أو أبقى حتى لا أفضح؟ وبينما هو كذلك متردّد بين الخروج وعدمه قرَّر أمرًا ثالثًا خطر في باله، ترى ما هو؟ لقد قرر أن يتوب إلى الله، فغطّى رأسه بجبته ثم قال: رب عصيتك أربعين سنة وسترتني أفتفضحني اليوم، اللهم إني تبت إليك، اللهم اسقنا الغيث ولا تفضحني اليوم. وخلال لحظات وإذا السحاب يجتمع من كل مكان، والناس ينظر بعضهم إلى بعض، وينظرون إلى موسى وينظر موسى إليهم، ترى أين وعد الله ألم يقل موسى إن الله لا يسقينا حتى يخرج الرجل ولم يخرج أحد، ونزل المطر وسقى الله العباد **(انتبه هذه قصة مكذوبة)**. فقال موسى مناجيًا ربه متعجبًا: رب سقيتنا ولم يخرج الرجل، وأنت قلت: لن تسقينا حتى يخرج فقال الله لموسى: يا موسى إنما سقيتكم بالذي منعتكم به.

فقال موسى: كيف ولم يخرج الرجل فقال الله: يا موسى لقد تاب الرجل. عند ذلك أحبَّ موسى أن يرى هذا الرجل فقال: ربّ أرني إياه يكون من خاصتي، فكان الجواب من الله عزَّ وجلَّ: يا موسى، عصانا فسترناه، أفإن تاب إلينا فضحناه»اهـ.

وهذه القصة فيها سوء ظن بموسى عليه السلام أنه كان سيفضح الرجل بين الناس، ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام أنصح الناس للناس، ولو افترضنا أن سيدنا موسى علم بحال رجل كذلك الرجل المتقدم لَنَصَحَهُ سرًّا وطالبه بالتوبة بينه وبين الله وستر عليه، كما يُروى في قصة نبي من أنبياء الله الكرام كان قد جاهد مع قومه عدوًّا، فلمَّا انتصروا نزلت النار لأخذ الغنائم فلم تأكلها بسبب غلول في الناس، فبايع النبيَّ من كل سبط -أي قبيلة- شخصٌ حتى التصقت بيد رجل فقال: فيكم الغلول، فبايعته القبيلة فالتصقت يده بيد رجلين فعرف أنهم أهل الغلول ولم يكن في ذلك نميمة ولا مخالفة للشرع.

وقد أورد القرطبيّ هذه القصة فقال: «كانت تنزل من السماء إذا غنموا نارٌ بيضاء فتأكل الغنائم، وكان ذلك دليلًا على قبولها، فإن كان فيها غلول لم تأكله، وجاءت السباع والوحوش فأكلته، وكانت نارًا بيضاء مثل الفضة لها حفيف أي صوت مثل صوت الشجر وجناح الطائر في ما يذكرون، فذكروا أنه أُحْرِقَ الغالّ ومتاعه بغور يقال له الآن غور عاجز، عرف باسم الغالّ، وكان اسمه عاجزًا. قلتُ -أي القرطبيّ-: ويستفاد من هذا عقوبة الغالّ قبلنا، وقد تقدم حكمه في ملتنا، وبيان ما انبهم من اسم النبيّ والغالّ في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**غزا نَبيٌّ من الأَنبياءِ فقال لقومِهِ: لا يتبعنِي رجلٌ قد ملكَ بضعَ**[1] **امرأةٍ وهوَ يريدُ أن يبنِيَ بها ولـمَّـا يبْنِ، وَلا آخرُ قد بنى بنيانًا ولـمَّـا**

(١) «ملك فلان بضع فلانة وهو النكاح»اهـ. **جمهرة اللغة**، الأزدي، (١/ ٣٥٢).

يرفع سقفَهَا، ولا آخرُ قد اشترى غنمًا أو خلِفاتٍ[1] وهو منتظِرٌ ولادها. قال فغزا فأدنى للقريةِ حين صلاةِ العصر أو قريبًا من ذلكَ فقالَ للشّمسِ: أنت مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهمَّ احبسْهَا عليَّ شيئًا. فحبست عليه حتّى فتح الله عليهِ -قَالَ- فَجمَعُوا ما غَنِموا فأقبلَتِ النّار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال: فيكم غلولٌ فليبايعني من كل قبيلةٍ رجلٌ. فبايعوهُ فلصقتْ يدُ رجلٍ بيدهِ فقال: فيكم الغلولُ فلتبايعْنِي قبيلتُكَ. فَبَايَعَتْهُ -قَالَ- فلصقتْ بيدِ رجلينِ أو ثلاثةٍ فقالَ: فيكمُ الغلولُ أنتم غللتم -قَالَ- فأخرجوا لهُ مثلَ رأسِ بقرةٍ من ذهب -قَالَ- فوضعوهُ في المالِ وهوَ بالصّعيدِ فأقبلتِ النارُ فأكلتهُ. فلم تَحِلَّ الغنائمُ لأحد من قبلنا ذلك بأنّ الله تباركَ وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا»[2]. قال علماؤنا: والحكمة في حبس الشمس على يوشع عند قتاله أهل أريحاء[3] وإشرافه على فتحها عَشِيَّ يوم الجمعة، وإشفاقه من أن تغرب الشمس قبل الفتح أنه لو لم تحبس عليه حرم عليه القتال لأجل السبت، ويعلم به عدوهم فيعمل فيهم السيف ويجتاحهم، فكان ذلك آية له خصّ بها بعد أن كانت نبوته ثابتة بخبر موسى عليه الصلاة والسلام على ما يقال. والله أعلم»[4]اهـ.

بعد هذا يتبيّن أن الأنبياء عليهم السلام جميعًا لا يتصفون بصفات نقص في حقهم، فعلى المكلف أن يتعلم ما فرض الله عليه حتى لا يقع في المهالك، وذلك عن طريق تلقّي العلم من أهل الثقة الأُمَناء، وأولى العلوم بالتقديم والاهتمام علم

---

(١) «الخِلف بوزن الكِتِف المخاض وهي الحوامل من النوق، الواحدة خليفة»اهـ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة: خ ل ف، (١/ ٩٥).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، (٥/ ١٤٥)، رقم ٤٦٥٣.

(٣) أَرِيحَا -بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة والحاء مهملة والقصر- هي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك. سميت في ما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، (١/ ١٦٥).

(٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٦/ ١٣٠).

التوحيد، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ولـمَّا كان علم التوحيد يفيد معرفة الله على ما يليق به ومعرفة رسوله على ما يليق به وتنزيه الله عما لا يجوز عليه وتبرئة الأنبياء عما لا يليق بهم كان أفضل من علم الأحكام ومن ثَمَّ قال الإمام الشافعيّ: «أحكمنا ذاك قبل هذا»[٥]اهـ. أي علم التوحيد قبل فروع الفقه.

(٥) **مناقب الشافعي**، البيهقي، (١/ ٤٥٧).

الفصل التاسع:
في الرد على على مزاعم تطعن في سيدنا داود عليه السلام

حقيقة قصة داود مع الخصمين

الأنبياء الكرام أمناء فيستحيل عليهم الخيانة، أعفّاء قد طهّرهم الله وعصمهم من حبائل الشيطان، فداود عليه السلام لم يقع في الخيانة ولا كان قلبه مشغوفًا بالنساء، قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

ينبغي الاقتصار في فهم قصة الخصمين مع داود عليه السلام على ظاهر ما أوردها الله تعالى في القرآن، فقد جاء في تفسيرها أن ذينك الخصمين كانا في الحقيقة من البشر من بني آدم بلا شكّ ولم يكونا مَلَكَيْنِ، وأنهما كانا مشتركين في نعاج من الغنم على الحقيقة وليس المراد بالنعاج النساء، وأنه بغى أحدهما على الآخر وظلمه على ما نصّت الآية، وقد تسوّر هذان الخصمان محراب داود عليه السلام وهو أشرف مكان في داره، وكان داود عليه السلام مستغرقًا في عبادة ربه في ذلك المحراب فلم يشعر داود عليه الصلاة والسلام بالشخصين إلا وهما أمامه، فلمّا قال لهما: مَن أدخلكما عليَّ؟ طمأناه وقالا له: لا تخف، ثم سألاه أن

(١) ص/ ٢١- ٢٤.

يحكم في شأنهما وقضيتهما إلى آخر القصة التي نصَّ الله تعالى عليها في القرآن.

وقد امتحن الله تعالى نبيَّهُ داود عليه السلام في هذه الحادثة التي جرت بينه وبين هذين الخصمين، وأما استغفاره عليه الصلاة والسلام فلأجل الذنب الصغير الذي وقع فيه الذي ليس فيه خسة ولا دناءة، وذلك أنه كان قد حكم للخصم الأول قبل السماع للآخر، وكان يجب عليه لـمَّا سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عمّا عنده فيها ولا يقضي عليه بالحكم قبل سؤاله، وقد تاب داود عليه السلام من ذلك الذنب الذي ليس فيه خسَّة ولا دناءة وغفر الله تعالى له هذا الذنب بنصّ القرآن، قال الله تعالى: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾[1].

سيدنا داود لم يرغب بزوجة أحد قادته فأرسله ليموت في الحرب

من الدخيل الذي يخلّ بمقام الأنبياء وينافي عصمتهم، ما ذُكِرَ في الجزء الخاصّ بالمحليّ[2] في كتاب تفسير الجلالين في قصة داود عليه السلام عند تفسير هذه الآية ونصه: ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ ﴾، نحن ﴿ خَصْمَانِ ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة خصميْنِ وقع لهما ما ذُكِر على سبيل الفرض، لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوّجها ودخل بها»اهـ.

---

(١) ص/ ٢٥.

(٢) جلال الدين المحليّ، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحليّ الشافعيّ (ت ٨٦٤ هـ)، فقيه مفسّر. مولده ووفاته بالقاهرة. صنّف كتابًا في التفسير أتمه الجلال السيوطيّ فسمي: (تفسير الجلالين) «**فيه أخطاء لعلها دست فيه لا بد من الانتباه إليها**»، و(كنز الراغبين) في شرح المنهاج في فقه الشافعية، و(البدر الطالع في حل جمع الجوامع) في أصول الفقه، و(شرح الورقات). **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٣٣٣).

ومما ينبغي الحذر عند قراءته والتنبه منه ما ورد في كتب الطبري وابن أبي حاتم[1] والسيوطيّ[2] في قصة خطيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ووهب بن منبّه[3] وكعب الأحبار وغيرهم، ومحصّلها أن داود عليه السلام حدّث نفسه إن ابتليَ أن يعتصم، فقيل له: إنك ستُبْتَلى وستعلم اليوم الذي تُبْتَلى فيه، فخذ حذرك، ثم قيل له: هذا اليوم الذي تُبتلى فيه، فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق بابه، وأقعد خادمه على الباب، وقال: لا تأذن لأحد اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهّب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن عليه لينظر أين وقع، **(انتبه هذه قصة مكذوبة)** فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلمّا رأت ظلّه نفضت شعرها فغطّت جسدها به، وكان زوجها غازيًا في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: «أن اجعله في حَمَلَة التابوت»[4]، وكان حَمَلَة التابوت إما أن يُفتح

(١) ابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميميّ الحنظليّ الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، أبو محمد، حافظ للحديث، من كبارهم. له تصانيف منها: (الجرح والتعديل)، و(التفسير)، و(الرد على الجهمية)، و(علل الحديث). **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٣٢٤).

(٢) السيوطيّ هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيريّ السيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، فقيه حافظ مؤرخ أديب، له نحو ستمائة مصنف، منها: (الإتقان في علوم القرآن)، و(الدرّ المنثور)، و(همع الهوامع)، و(تدريب الراوي) و(تاريخ الخلفاء)، وغيرها. **الأعلام**، الزركلي، (٢/ ٦٩).

(٣) وهب بن منبّه الأبناويّ الصنعانيّ الذماريّ (ت ١١٤ هـ)، أبو عبد الله، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حِمْيَر. ولد ومات بصنعاء. وفي (طبقات الخواص) أنه صحب ابن عباس رضي الله عنهما ولازمه ثلاث عشرة سنة. من كتبه: (ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم) رآه ابن خلكان في مجلد واحد، وقال: «هو من الكتب المفيدة» اهـ. **الأعلام**، الزركلي، (٨/ ١٢٥، ١٢٦).

(٤) صندوق فيه آثار من أنبياء بني إسرائيل كانوا يقدمونه بين يدي الجيش كي يُنصروا قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ =

عليهم، وإما أن يُقْتَلوا، فقدَّمه في حَمَلَة التابوت، فقُتِل. **(انتبه هذه قصة مكذوبة)** فلمّا انقضت عدّتها خطبها داود عليه السلام، فاشترطت عليه إن ولدت غلامًا أن يكون الخليفة من بعده وأشهدت عليه خمسًا من بني إسرائيل وكتبت عليه بذلك كتابًا، فأشعر بنفسه أنه كتب حتى ولدت سليمان عليه الصلاة والسلام وشبّ، فتسوّر عليه الملكان المحراب فكان شأنهما ما قصّ الله تعالى في كتابه، وخرّ داود عليه السلام ساجدًا فغفر الله له وتاب عليه[1].

ومما يذكر في هذه القصة ولا يصح نسبته لنبي الله داود ما أخرجه الحكيم الترمذيّ في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند ضعيف، عن أنس[2] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة أوصى صاحب الجيش فقال: **(انتبه هذه القصة مكذوبة)** إذا حضر العدوّ فقرّب فلانًا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يُستنصَرُ به، مَنْ قُدّمَ بين يدي التابوت لم يرجع حتى يُقْتَل أو ينهزم معه الجيش، فَقُتِلَ، وتزوّج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام فسجد فمكث أربعين ليلةً ساجدًا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه فأكلت الأرض جبينه، وهو يقول في سجوده: ربّ زلَّ داود زلَّةً أبعد مما بين المشرق والمغرب ربّ إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنوبه جعلتَ ذنبه حديثًا في المخلوق من بعده، **(انتبه هذه قصة مكذوبة)** فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود، إن

=لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ [البقرة].

(١) **تفسير الطبريّ**، الطبري، (٢١/ ١٧٤). **تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٢٤٠). **الدرّ المنثور**، السيوطيّ، (١٢/ ٥٢٥).

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٦٨٢٢ حديثًا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. **الأعلام**، الزركلي، (٢/ ٢٤).

الله قد غفر لك وقد عرفتَ أنّ الله عدْلٌ[1] لا يميل، فكيف بفلان -أي الزوج المقتول- إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا رب دمي الذي عند داود، قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم فعرج جبريل وسجد داود عليه السلام، فمكث ما شاء الله، ثم نزل جبريل، فقال: قد سألتُ اللهَ يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإنّ لك في الجنة ما شئت، وما اشتهيت عِوَضًا»[2]اهـ. ومثل هذه القصص والحكايات ظاهرة الدسّ والتحريف فينبغي التنبه وتمييز الافتراء من أصل القصة الحقيقية التي وردت عن سيدنا داود التي لا طعن ولا مَنْقَصَةَ فيها.

وفي رواية أخرى لهذه القصة المدسوسة مع بعض التغيير في التفاصيل يقولون: إن داود عليه الصلاة والسلام كان يومًا في محرابه إذ وقعت عليه حمامة من ذهب، فأراد أن يأخذها فطارت فذهب ليأخذها فرأى امرأة تغتسل، فوقع في حبّها وعشقها وأُعْجِبَ بها وأُغْرِم، وكانت زوجة أحد قوّاده واسمه «أوريا»، فأراد أن يتخلّص منه ليتزوّج بها فأرسله في أحد الحروب وحمّله الراية وأمره بالتقدُّم، وكان قد أوعز إلى جنوده أن يتأخروا عنه إذا تقدّم نحو الأعداء، حتى قُتِلَ ذلك القائد وبهذه الوسيلة -**كما تقول هذه القصة المفتراة**- قُتِل القائد «أُوريا» وتزوّج داود عليه السلام زوجته من بعده، ويتجرأ بعضهم فيزيد في الوقاحة ويُعظم الفرية على سيدنا داود عليه السلام فيقول: إن داود زنى بهذه المرأة قبل تدبير هذه المكيدة ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[3].

---

(١) «العَدْلُ في أسماء الله سبحانه: هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكْم، وهو في الأصل مصدر سمّي به، فوُضع موضع العادل، وهو أبلغ منه، لأنّه جُعل المسمّى نفسه عَدْلًا»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ع د ل، (٢٩/ ٤٥٢).

(٢) تفسير **الطبريّ**، الطبري، (٢١/ ١٨١). **نوادر الأصول**، محمد الحكيم الترمذيّ، (١/ ٣٩٣). **تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٢٣٩).

(٣) الكهف/ ٥.

وهناك قصة أخرى مفتراة شبيهة أيضًا في بعض تفاصيلها بهذه التي مرّت، يقولون فيها إن داود عليه السلام نظر وهو يمشي على سطح داره إلى امرأة تستحمّ فأعجبته وأُغْرِمَ بها، وأتى بها، واضطجع معها فحملت منه وأعلمته، وكان زوجها «أوروبا الحثّيّ» في الحرب، فأتى به ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر، وليحْدِثَ الرجل بامرأته عهدًا -أي أن يجامعها- حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم في ما بعد أنها حامل، ولكن الرجل كان تقيًّا جدًّا، فبات بباب داود ولم يزر امرأته، لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتّع بزوجه وإخوانه في الحرب بعيدون عن أزواجهم، **(انتبه هذه قصة مكذوبة)** فلمّا علم داود بأمره لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره إلا تعريض «أُوريا» لجبهة القتال حاملًا الراية، وأن يتأخر عنه الجند بعد التقدُّم، وبهذه الوسيلة قُتِل الرجل، وأتت امرأته بولد من تلك الزنية، وتزوّجها داود، ثم مرض الولد، ومن هذه المرأة كان سليمان، وهذا تخرُّصٌ سخيف ودعوى ساقطة ظاهرة الانتحال، لا تنطلي على صغار الطلبة إذ لا يوجد نبيٌّ جاء إلا من نكاح صحيح لا من زنى، كما أنه لا يقع نبيٌّ بالزنى فقد عصمهم الله وحفظهم من كبائر الذنوب وخَسيس الأفعال ورذيلها.

رد العلماء المعتبرين هذه الرواية المنكرة المختلقة على نبي الله داود ﷺ من وجوه

أولًا من القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[1]. فالله تعالى أمر نبيَّه محمدًا ﷺ بأن يقتديَ بداود في المصابرة مع المكابدة، ولو قلنا إن داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم امرئ مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمدًا أفضل الرسل بأن يقتديَ بداود في الصبر

---

(١) ص/ ١٧ – ٢٠.

على طاعة الله.

ثانيًا في الحكم على الحديث: وأما من حيث الحكم على الحديث ففي سند هذه الرواية المختلقة على رسول الله ﷺ يزيد بن أبان الرقاشيّ، وكان ضعيفًا في الحديث[1]، يروي مناكير، كما بيّن ذلك أهل الجرح والتعديل كالإمام أحمد بن حنبل والنسائي. ومن ثَمَّ يتبيّن لنا كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول الله ﷺ.

ثالثًا من حيث المعنى: أما من حيث المعنى فلا يُصدَّق ورود هذا عن المعصومين أنبياء الله تعالى، وإنما هي اختلاقات وأكاذيب من الإسرائيليات، وهل يشكّ مؤمن عاقل يقرّ بعصمة الأنبياء في استحالة صدور هذا عن داود عليه السلام، ومثل هذا التدبير السيّئ والاسترسال فيه على ما رَوَوْا لو صدر من رجل من سوقة الناس وعامّتهم لاعتُبِرَ أمرًا مستهجَنًا مستقبَحًا، فكيف يصدر من نبيّ جاء لهداية الناس زكت نفسه، وطهرت سريرته، وعصمه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو الأسوة الحسنة لمن أُرْسِلَ إليهم.

ولكي يموّهوا عندهم هذا الباطل قالوا: إن المراد بالنعجة المرأة، وأن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة، وروَوْا أن الملَكَيْنِ لـمَّا سمِعا حكم داود وقضاءَهُ بظلم صاحب التسع والتسعين نعجة لصاحب النعجة، قالا له: وما جزاء مَن فعل ذلك؟ فقال -بزعمهم-: يقطع هذا، وأشار إلى عنقه، وفي رواية: «يُضْرَب من ههنا، وههنا وههنا»، وأشار إلى جبهته وأنفه وما تحته، فضحكا، وقالا: «أنت أحقّ بذلك منه» ثم صعدا»[2].

---

(١) قال أحمد بن حنبل: «منكر الحديث، وكان شعبة يحمل عليه»اهـ. **الجرح والتعديل**، ابن أبي حاتم، (٩/ ٢٥١). قال النسائيّ: «الرقاشيّ متروك»اهـ. **الضعفاء والمتروكين**، النسائيّ، (١/ ٢٥١). قال أحمد: «كان يزيد منكر الحديث»اهـ. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، الذهبيّ، (٤/ ٤١٨). قال أحمد: «لا يُكتب حديث يزيد»اهـ. **تقريب التهذيب**، ابن حجر، (٢/ ٣٢٠).

(٢) **تفسير الطبريّ**، الطبري، (٢١/ ١٨١).

والحق: أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، وليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وهي التي عليها المعوَّل، وليس هناك ما يصرف لفظ النعجة عن حقيقته إلى مجازه، ولا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز والإشارة.

رابعًا أقوال العلماء: قال ابن العربيّ: «وأما قولهم إنها لـمَّا أعجبته أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعًا، لأنَّ داود ﷺ لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه، وليس في القرآن أن ذلك كان، ولا أنه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، ولا ولادتها لسليمان، فعمّن يروى هذا ويسند، وعلى مَنْ في نقله يعتمد، وليس يؤثِرُه عن الثقات الأثبات أحد»[1]اهـ.

وقال أبو حيان في تفسيره: «وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء، ضربنا عن ذكرها صفحًا»[2]اهـ. وقال أيضًا: «والذي يذهب إليه ما دلّ عليه ظاهر الآية من أن المتسوّرين المحراب كانوا من الإنس دخلوا عليه من غير المدخل، وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم ظانًّا أنهم يغتالونه، إذ كان منفردًا في محرابه لعبادة ربه. فلمَّا اتضح له أنهم جاؤوا في حُكومة[3] وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قص الله تعالى، وأن داود عليه السلام ظنّ دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذًا من الله له أن يغتالوه، فلم يقع ما كان ظنه، فاستغفر من ذلك الظن، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه، وخرَّ ساجدًا، أو رجع إلى الله تعالى فغفر له ذلك الظن، ولذلك أشار بقوله: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[4]، ولم يتقدّم سوى قوله: ﴿ وَظَنَّ

---

(١) **أحكام القرآن**، ابن العربيّ، (٧/ ١٩).

(٢) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٩/ ١٤٦).

(٣) يقال: حكم عليه بالأمر يحكم حكمًا وحكومة إذا قضى وحكم بينهم، قال الأصمعي: وأصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، وإنما سُمّي الحاكم بين الناس حاكمًا لأنه يمنع الظالم من الظلم. **تاج العروس**، الزبيدي، مادة: ح ك م، (٣١/ ٥١٠).

(٤) ص/ ٢٥.

دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ ﴾[1] ويُعلم قطعًا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا الدنيئة، ولا يمكن وقوعهم في شىء منها ضرورة أن لو جوّزنا عليهم شيئًا من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشىء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم، فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده تعالى، وما حكى القصّاص مما فيه غضّ عن منصب النبوة طرحناه»[2]اهـ. وقال ابن الجوزيّ في تفسيره بعد ذكر هذه القصة المكذوبة عن سيدنا داود: «وهذا لا يصحّ من طريق النقل ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزَّهون عنه»[3]اهـ.

وما أحسن قولَ القاضي عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا، ونقله بعض المفسرين، ولم ينصَّ الله تعالى على شىء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نصَّ عليه في قصة سيدنا داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وليس في قصة «داود» و«أوريا» خبر ثابت»[4]اهـ. والمحقّقون المعتبرون ذهبوا إلى ما قرّره القاضي.

فلا ينبغي اعتقاد ما ينافي عقيدة المسلمين في أن الأنبياء معصومون عن الأعمال التي فيها دناءة.

وفي ما يلي التفسير الصحيح للآيات والبيان الجليُّ لما وقع في تلك الحادثة:

كان داود عليه السلام قد وزّع مهامّ أعماله ومسؤولياته تُجاه نفسه وتُجاه الرعية على الأيام، وخصَّ كل يوم بعمل، فجعل يومًا للعبادة، ويومًا للقضاء وفصل الخصومات، ويومًا للاشتغال بشؤون نفسه وأهله، ويومًا لوعظ بني إسرائيل وهكذا.

---

(١) ص/ ٢٤.

(٢) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٩/ ١٥١).

(٣) **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزيّ، (٥/ ٢٣٣).

(٤) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، (٢/ ١٥٨).

ففي يوم العبادة، وبينما كان مشتغلًا بعبادة ربه في محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسوّرا عليه من السور، ولم يدخلا من المدخل المعتاد، وبيَّنا له أنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه. فقال أحدهما: إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فأراد أن يضمَّ نعجتي إلى نعاجه فقال له داود: لقد ظلمك بسؤال نعجتك، قال له ذلك قبل أن يستمع إلى قول الآخر، والقاضي لا يحكم بين الخصمين قبل الاستماع إليهما، فمن هذا الأمر تاب داود عليه السلام، فلمّا قضى بينهما استغفر ربَّهُ، وخرَّ ساجدًا لله تعالى، تحقيقًا لصدق توبته والإخلاص له، وأناب إلى الله غاية الإنابة.

فالخصمان رجلان حقيقة، وليسا مَلَكَيْنِ كما زعموا، والنعاج على حقيقتها، وممن ذكر من العلماء أن النعاج نعاج حقيقية: أبو الليث السمرقنديّ[1] في تفسيره[2] وأبو عبد الله الحليميّ[3] كما في البحر المحيط[4]، وليس ثمّة رموز ولا إشارات، وهذا التأويل هو الذي يوافق القرآن الكريم ويتفق وعصمة الأنبياء عليهم السلام، فالواجب الأخذ به، ونبذ الخرافات والأباطيل التي هي من صنع غلاة بني إسرائيل، التي تلقّفها القصّاصون وأمثالهم ممن لا علم عندهم ولا تمييز بين الغثّ والسمين.

---

(١) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث السمرقنديّ (ت٣٧٣ هـ)، له: (تفسير القرآن)، وكتاب (النوازل) في الفقه، و(خزانة الأكمل)، و(تنبيه الغافلين)، و(بستان العارفين). **تاج التراجم**، قطلوبغا، (١/ ٣١٠). **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (١٦/ ٣٢٢).

(٢) **تفسير السمرقنديّ** المسمى **بحر العلوم**، أبو الليث السمرقنديّ، (٣/ ١٣٣).

(٣) القاضي أبو عبد الله الحليميّ الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاريّ الفقيه الشافعيّ (ت ٤٠٣ هـ)، صاحب التصانيف، أخذ عن أبي القفال الشاشيّ، وكان أوحد الشافعيين بما وراء النهر وأنظرهم وآدبهم بعد أستاذَيْهِ أبي بكر القفال والأُوْدَنِّيّ، وكان مفنّنًا فاضلًا له مصنّفات مفيدة نقل منها الحافظ أبو بكر البيهقيّ كثيرًا. **شذرات الذهب**، ابن العماد، (٣/ ١٦٧).

(٤) **البحر المحيط**، أبو حيان، (١٥/ ١٧٨).

وفي قصة داود عليه السلام يتأكّد الانتباه أكثر وأكثر مِن أين تؤخذ القصص المعتمدة الخالية من الدسائس التي تشوّش عقول الناس.

الفصل العاشر:
في الرد على مزاعم تطعن في سيدنا سليمان عليه السلام

سليمان عليه السلام لا يأمر بما حرم الله تعالى

عصم اللهُ سبحانَه أنبياءَه العظام الكرام من الكفر والكبائر وصغائر الخسّة، فمن كذب الكلام وزوره ما يُنسب لسيدنا سليمان عليه السلام أنه أمر بظلمٍ وهو شقّ ولدٍ نصفين على الحقيقة، وهذا مستحيل لأن الأنبياء جميعًا معصومون من مثل هذا.

وبيان حقيقة الأمر أنه مما يدلّ على حكمة وفطانة نبيّ الله سليمان عليه السلام وجودة رأيه في الحكم والقضاء ما جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما فتنازعتا في الآخَر، فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك، وقالت الصغرى: بل إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فحكم به للكبرى فخرجتا على سليمان فقال: ائتوني بسكين أشقه بينكما نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فقالت الصغرى: لا تفعلْ يرحَمْك الله، هو ابنها. فقضى به للصغرى**»[(١)] رواه البخاريّ ومسلم. ولـمّا قال سيدنا سليمان عن الغلام: «**أشقه**» كان ذلك منه على وجه العرض والاستفهام وهو يعتقد أنها تقول: «لا»، ويكفر من ظنَّ أنه أمر حقيقة بشقه نصفين بغير حق.

قال ابن حجر: «والذي ينبغي أن يقال إن داود عليه السلام قضى به للكبرى لسبب اقتضى به عنده ترجيح قولها؛ إذ لا بينة لواحدة منهما، وكونه لم يعين في الحديث اختصارًا لا يلزم منه عدم وقوعه، فيحتمل أن يقال إن الولد الباقي كان

---

(١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص٣٠)، (٤/ ١٩٦)، رقم ٣٤٢٧. **صحيح مسلم**، مسلم، باب بيان اختلاف المجتهدين (٥/ ١٣٣)، رقم ٤٥٩٢.

في يد الكبرى وعجزت الأخرى عن إقامة البينة، قال وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية، وليس في السياق ما يأباه ولا يمنعه، فإن قيل: فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه؟ فالجواب أنه لم يعمد إلى نقض الحكم وإنما احتال بحيلة لطيفة أظهرت ما في نفس الأمر، وذلك أنهما لـمَّا أخبرتا سليمان بالقصة دعا بالسكين ليشقه بينهما، ولم يعزم على ذلك في الباطن، وإنما أراد استكشاف الأمر فحصل مقصوده لذلك لجزع الصغرى الدالّ على عظيم الشفقة ولم يلتفت إلى إقرارها بقولها: «هو ابن الكبرى» لأنه علم أنها آثرت حياته، فظهر له من قرينة شفقة الصغرى وعدمها في الكبرى مع ما انضاف إلى ذلك من القرينة الدالّة على صدقها ما هجم به على الحكم للصغرى، ويحتمل أن يكون سليمان عليه السلام ممن يسوغ له أن يحكم بعلمه أو تكون الكبرى في تلك الحالة اعترفت بالحق لـمَّا رأت من سليمان الجِدَّ والعزم في ذلك. وقال النوويّ: إن سليمان فعل ذلك تحيُّلًا على إظهار الحق، فكان كما لو اعترف المحكوم له بعد الحكم أن الحقَّ لخصمه، وفيه استعمال الحيل في الأحكام لاستخراج الحقوق، ولا يتأتى ذلك إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال»[1]اهـ.

الرد على من زعم أن الشيطان غلب سليمان وأخذ خاتمه وحكم في ملكه وصار يأتي أهله

ومما يُفْترى على سيدنا سليمان عليه السلام أنه سُلِبَ ملكه منه ثم عاد إليه بطريقة شيطانية غريبة عجيبة، وقد اتفقت كلمة المسلمين على أن الشيطان ليس له على أنبياء الله تعالى سلطان، فلا يستطيع أن يتسلّط على عقولهم، ولا أن يتشكّل بصورهم، ولا أن يدخل أجسادهم، وإلا لم يبقَ لأنبياء الله ثقة، والله حكيم لا يفعل ذلك.

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٤٦٤، ٤٦٥).

وقد ورد في بعض كتب التفسير قصة مكذوبة، وهي ذهاب ملك سيدنا سليمان عليه السلام بسبب جنّيّ لبس خاتم سليمان بعدما تشكّل بصورته، فحكم مدّة، ثم بَيَّنَ الله كذبه.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الآية[(١)].

يُنسب إلى جلال الدين السيوطيّ -في تفسير الجلالين الذي فيه ما فيه من الدسائس التي نحسبها مفتراة على صاحِبَي الكتاب وهما السُّيوطيّ وجلال الدين المحلّيّ لأنهما شيخان جليلان يعلمان ما يليق بالأنبياء وما يستحيل في حقهم- أنه قال في تفسير قول الله سبحانه وتعالى الذي سبق ما نصه: «﴿ وَٱتَّبَعُواْ ﴾ عطف على نبذ ﴿ مَا تَتْلُواْ ﴾ أي تلت ﴿ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ ﴾ عهد ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيّه لـمَّا نُزِع ملكه»[(٢)]اهـ. والحق أنه لم ينزع ملك سيدنا سليمان عليه السلام ولا لحظة قطّ.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[(٣)]، قال أبو حيّان في تفسير هذه الآية: «نقل المفسرون -أي كثيرون- في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالًا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها، وهي من أوضاع اليهود والزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسيّ سليمان. وأقرب ما قيل فيه: إن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال: «**قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة، -أو تسع وتسعين- كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له**

---

(١) البقرة/ ١٠١، ١٠٢.

(٢) **تفسير الجلالين**، السيوطيّ والمحلّيّ، (١/ ١١٠).

(٣) ص/ ٣٤.

صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل». ثم قال نبيّنا ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون**»[١]. فالمراد بقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾[٢] هو هذا، والجسد الملقى هو المولود شق رجل. وقال قوم: مرض سليمان مرضًا كالإغماء حتى صار على كرسيه جسدًا كأنه بلا روح. ولـمَّا أمر تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم، أمره بأن يذكر من ابتلي فصبر، فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة أيوب ليتأسّى بهم، وذكر ما لهم عنده من الزُّلْفَى والمكانة، فلم يكن ليذكر من يتأسّى به ممن نسب المفسرون إليه ما يعظم أن يتفوه به ويستحيل عقلًا وجود بعض ما ذكروه، كتمثّل الشيطان بصورة نبيّ، حتى يلتبس أمره عند الناس، ويعتقدون أن ذلك المتصوَّر هو النبيّ، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبيّ، وإنما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية[٣]، نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها»[٤]اهـ.

وسبقه في تحرير هذه المسألة القاضي عياض حيث قال ما نصه: «ولا يصحّ ما نقله الأخباريون من تشبُّه الشيطان به -أي سليمان- وتسلُّطه على ملكه، وتصرّفه في أمته بالجَوْر في حكمه لأن الشياطين لا يُسَلَّطونَ على مثل هذا، وقد عُصِمَ الأنبياء من مثله»[٥]اهـ.

ويُنْسَب إلى المحلّيّ قوله في تفسير سورة (ص) ما نصّه: «في قول الله سبحانه

---

(١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، (٤/ ٢٧)، رقم ٢٨١٩.

(٢) ص/ ٣٤.

(٣) السوفسطائية طائفة ينفون العلم وينفون حقائق الأشياء كلها ويقولون: ما نراه هو تخيّلات، وقد كفّرهم المسلمون لأنهم عدُّوهم مخالفين لِـمَا قد علموه بالضرورة.

(٤) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، (٧/ ٣٨١).

(٥) **الشفا**، القاضي عياض (٢/ ١٤٨).

وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[١]، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ ﴾ ابتليناه بسلب ملكه وذلك لتزوّجه بامرأة هواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه فنـزعه مرة عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جِنيّ في صورة سليمان فأخذه منها. ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ هو ذلك الجِنيّ وهو صخر أو غيره، جلس على كرسيّ سليمان عليه السلام، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيّه وقال للناس: أنا سليمان، فأنكروه ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيّه»[٢]اهـ.

ونعقّب على هذا فنقول: قصة ذهاب ملك سليمان عليه السلام موضوعة مردودة، وذلك لِما فيها من تجويز رفع الثقة عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولهذا كانت هذه القصة من أشدّ أنواع الدخيل ضررًا وأعظمها خطرًا، لأنه يُتَوصَّل بها إلى الطعن في ما جاء عن الأنبياء.

بيان أن هذه القصة مردودة من وجوه

إن مرجع هذه القصة إلى رواية مكذوبة ردّها المحققون وهي رواية ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت امرأته، وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان[٣] فقال لها: هاتي خاتمي فأعطته، فلمّا لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين، فلمّا خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، قالت: كذبتَ لست سليمان، فجعل لا يأتي أحدًا يقول: أنا سليمان إلا كذّبه حتى جعل الصبيان يرمونه

(١) ص/ ٣٤.

(٢) **تفسير الجلالين**، السيوطيّ والمحلّيّ، (٩/ ١٥).

(٣) الشياطين لا يتمثّلون بصور الأنبياء، هذا مستحيل فليحذرْ.

بالحجارة، فلمَّا رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عزّ وجلّ وقام الشيطان يحكم بين الناس[1]. فلمَّـا أراد الله تعالى أن يردّ على سليمان عليه السلام سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهن: أيكون من سليمان شيء؟ قلن: نعم إنه يأتينا ونحن حُيَّض (أي يجامعهنّ وهنّ في حال الحيض)، وما كان يأتينا قبل ذلك، فلمَّا رأى الشيطان أنه قد فُطِنَ له ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبًا فيها سحر ومكر فدفنوها تحت كرسيّ سليمان، ثم أثاروها وقرؤوها على الناس وقالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم، فأكفَرَ الناسُ سليمانَ فلم يزالوا يكفّرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فدعا سليمان عليه السلام فقال: تحمل لي هذه السمك؟ ثم انطلق إلى منزله فلمَّا انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، **(انتبه هذه القصة مكذوبة)** فأخذها سليمان عليه السلام فشقّ بطنها فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه فلبسه فلمَّا لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه، وكان شيطانًا مَريدًا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يومًا نائمًا، فجاؤوا فنقبوا عليه بنيانًا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص، فأخذوه وأوثقوه وجاؤوا به إلى سليمان عليه السلام، فأمر به فنقر له في رخام ثم أدخل في جوفه ثم سُدَّ بالنحاس ثم أُمِرَ به فطرح في البحر فذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[2] يعني: الشيطان الذي كان تسلط عليه»[3]. انتهى نقل ابن أبي حاتم.

وممن ردّ هذه القصة ابن كثير في تفسيره، فإنه قال بعد أن ذكر الكثير منها: «وهذه كلّها من الإسرائيليات، ومِنْ أَنْكَرِهَا ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن ابن

(١) لا يشكّ نبيّ من الأنبياء بنبوة نفسه أبدًا ولا في أن الله تعالى يخرجه من النبوة قطّ، فالله لا يخرج نبيًّا من أنبيائه من النبوة.

(٢) ص/ ٣٤.

(٣) **تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٢٤١).

عباس رضي الله عنهما في قول الله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾[1] قال: «أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء ...»اهـ. ثم ذكر الرواية التي ذكرناها أولًا. ثم قال: «إسناده إلى ابن عباس قويٌّ ولكن الظاهر أنه إنما تلقّاه -ابن عبّاس- رضي الله عنهما إن صحّ عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوّة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدّها ذكر النساء، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنيّ لم يسلّط على نساء سليمان، بل عصمهنّ الله عزَّ وجلَّ منه، تشريفًا وتكريمًا لنبيه عليه السلام»[2]اهـ.

الشيطان لا يتمثل بصورة نبيّ

قال الشهاب الألوسي[3] في تفسيره: «قال أبو حيان وغيره: إن هذه المقالة من أوضاع اليهود وزنادقة السوفسطائية[4]، ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها، وكيف يجوز تمثُّل الشيطان بصورة نبيّ حتى يلتبس أمره عند الناس ويعتقدوا أن ذلك المتصوّر هو النبيّ، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبيّ، نسأل الله تعالى سلامة ديننا وعقولنا، ومِن أقبح ما فيها زعم تسلُّط الشيطان على نساء نبيّه حتى وطئهنَّ وهنَّ حُيَّض، الله أكبر، هذا بهتان عظيم وخطب جسيم، ونسبة الخبر إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تسلم صحتها»[5]اهـ. ومما يدلّ على كذب هذه الرواية ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: ما بغَت (أي ما زنت)

(١) ص/ ٣٤.

(٢) **تفسير ابن كثير**، ابن كثير، (٧/ ٦٩).

(٣) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء، مفسّر محدّث أديب، من أهل بغداد مولده ووفاته فيها، من كتبه: (روح المعاني) في التفسير، و(غرائب الاغتراب)، و(كشف الطرة عن الغرة)، توفي سنة ١٢٧٠هـ. **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ١٧٦).

(٤) إلى هنا ينتهي كلام أبي حيان.

(٥) **روح المعاني**، الشهاب الألوسي، (١٢/ ١٩١).

امرأة نبيّ قطّ»[1]اهـ.

عود إلى الاستدلال على فساد هذه القصة

ولمزيد الفائدة نعيد باختصار ترتيب الأدلة الكاشفة لبطلان هذه الحادثة، فنقول:

أولًا: ليعلم أنَّه ما زنت امرأة نبي قطّ حتى زوجة سيدنا نوح وزوجة سيدنا لوط عليهما السلام لم تتلطَّخا بهذه السَّوءة والرّيبة أعني الزنا، وأما وصفهما بالخيانة في قول الله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا ۝١٠﴾[2] فمعناه كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن: «ما زنتا، أما امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما امرأة لوط فكانت تدلّ على الضيف، فذلك خيانتهما»[3]اهـ.

ثانيًا: نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، وهو يصادم العقل السليم والنقل الصحيح ولم يثبتها أحدٌ من الأئمة الأثبات المعتبرين.

ثالثًا: إذا جاز للشيطان أن يتمثّل بنبيّ الله سليمان عليه السلام فأيّ ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسلّط اللهُ تعالى الشيطانَ على نساء نبيّه سليمان وهو أكرم على الله من ذلك؟

رابعًا: أيّ مُلْكٍ أو نبوّة يتوقّف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه، ويزولان بزواله؟ حقًّا إن هذا لمن أشدّ العجب.

فبعد هذا يظهر لنا أن الفتنة المذكورة في الآية ليس المراد منها ما زعموه، بل ما نصّ عليه المحققون من العلماء كما أسلفنا في بداية الكلام.

---

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٧/ ٣٦١).

(٢) التحريم/ ١٠.

(٣) **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، (٦٢/ ٢٥١).

الرد على من زعم أن سليمان عليه السلام هو الذي علم الناس السحر

قال القرطبيّ في تفسيره ما نصّه: «قال محمد بن إسحاق: لـمَّا ذكر رسول الله ﷺ سليمان في المرسلين، قال بعض أحبارهم: يزعم محمد أن ابن داود كان نبيًّا، والله ما كان إلا ساحرًا، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ۝١٠٢﴾[1]. أي ألقت إلى بني آدم أنَّ ما فعله سليمان من ركوب البحر واستسخار الطير والشياطين كان سحرًا. وقال الكلبيّ[2]: كتبت الشياطين السحر والنيرنجيات -أي التلبيس والشعوذة- على لسان آصف[3] كاتب سليمان (كما زعموا)، ودفنوه تحت مصلاه» ثم قال: «فلمَّا مات سليمان استخرجوه وقالوا للناس: إنما مَلَكَكُم بهذا فتعلَّموه، فأما علماء بني إسرائيل -أي المؤمنون المسلمون- فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان، وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان، وأقبلوا على تعليمه ورفضوا كتب أنبيائهم حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيّه عذر سليمان وأظهر براءته مما رُمي به فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[4]»[5]اهـ.

وقال أيضًا في تفسير هاتين الآيتين: إن فيهما أربعًا وعشرين مسألة، منها:

(١) البقرة/ ١٠٢.

(٢) هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبيّ (ت ٢٠٤ هـ)، أبو المنذر، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه ، كثير التصانيف. من أهل الكوفة، ووفاته فيها. له نيف ومائة وخمسون كتابًا، منها: (جمهرة الأنساب)، و(الأصنام)، و(افتراق العرب)، و(الموءودات)، و(أسواق العرب). **الأعلام**، الزركلي، (٨/ ٨٧، ٨٨).

(٣) «قال الزبيدي: آصَف كهاجَر، قال الليث: هو كاتب سليمان صلوات الله عليه دعا بالاسم الأعظم فرأى سليمان العرش مستقرًّا عنده، قلت وهو ابن برخيا بن أشمويل كما أفاده بعض أصحابنا»اهـ. **تاج العروس**، الزبيدي، (٢٣/ ٢٠).

(٤) البقرة/ ١٠٢.

(٥) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٢/ ٤١، ٤٢).

«الثامنة: قال علماؤنا: لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد. قالوا: ولا يبعد في السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج في الكوّات والخوخات والانتصاب على رأس قصبة، والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء والمشي على الماء وركوب كلب وغير ذلك. ومع ذلك فلا يكون السحر موجبًا لذلك، ولا علة لوقوعه ولا سببًا مولّدًا، ولا يكون الساحر مستقلًّا به، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر، كما يخلق الشبع عند الأكل، والرّيَّ عند شرب الماء»[1]اهـ.

ثم قال: «العاشرة: في الفرق بين السحر والمعجزة، قال علماؤنا: السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد. والمعجزة لا يمكّن اللهُ أحدًا -أي من غير الأنبياء- أن يأتي بمثلها وبمعارضتها، ثم الساحر لم يدَّعِ النبوة فالذي يصدر منه متميز عن المعجزة، فإن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدّي بها»[2]اهـ.

السحر ليس من عمل الأنبياء عليهم السلام

كان الكفار يقولون عن سيدنا سليمان إنه كان مَلِكًا من الملوك وإنه كان يعمل بالسحر، وكَذَبوا فالسحر ليس مِن شأن الأنبياء فلا يتعاطى نبيٌّ من الأنبياء

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٢/ ٤٦، ٤٧).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٢/ ٤٧). وليس من شرط المعجزة أن تكون مقرونة بالتحدي وإنما من شرطها أن تكون صالحة للتحدي، فما كان من الأمور عجيبًا ولم يكن خارقًا للعادة فليس بمعجزة، وكذلك ما كان خارقًا لكنّه لم يقترن بدعوى النبوة كالخوارق التي تظهر على أيدي الأولياء أتباع الأنبياء فإنه ليس بمعجزة لهم بل يسمى كرامة، وقد تقدم.

السّحر ولا يتلبَّس به، إنما الله سبحانه وتعالى أعطاه سرًّا فسخَّر له الشياطين وهيَّأهم لخدمته فكانت الشياطين تُطيعُهُ مع كفرهم، كانوا يخدمونه من غير أن يؤمنوا، يعملون له أعمالًا شاقةً، ومَنْ خالفه يُنْـزِلُ الله تعالى به عذابًا في الدنيا، لذلك كانوا مقهورين له، فلمّا مات كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيِّهِ، ثم قالوا للناس بعد أن ظهر بعضُهُم أو عدد منهم: هل تدرون بِمَ كان يحكمكم سليمان؟ كان يحكمكم بالسحر، احفروا تحت كرسيّه، فحفروا فوجدوا هذا الكتاب فصدَّقوا أن هذا الكتاب لسليمان وأنه وَضَعَ فيه السحر فَكَفَروا، الذين صدَّقوا الشياطين كفروا، لأن السحر ليس مِن عمل الأنبياء.

القرآن الكريم لا يُعمَل به السحر بل القرآن ضِد السحر

ثم مما يحتال به بعض السحرة لترويج عمل السحر أنهم يخلِطون بعض الآيات القرآنية بالسحر حتى يوهموا الناس أن القرآن له دَخَلٌ في السحر، وبين القرآن والسحر تنافٍ، فلا يُتوصَّل بالقرآن إلى السّحر، بل القرآن يُفَكُّ به السحر. لكن أولئك من خبثهم وتضليلهم يخلِطون بعض الآيات القرآنية بالسحر، ويضعون كلامًا خبيثًا في الورقة ثم يكتبون قربه بعض الآيات فيظنّ الجاهلون أن القرآن له دَخَلٌ في السحر، الشياطين بذلك تُضِلُّ الناس، فمن رأى شيئًا مكتوبًا من السحر وإلى جانبه آيات قرآنية فليعلمْ أن القرآن ليس له دَخَلٌ، إنما الشياطين أَدْخَلَتْ هذا لِتُضِلَّ الناس بأن يظنوا أن القرآن فيه سحر وهذا كفر والعياذ بالله تعالى.

ومن المهم معرفته في هذا المقام أن نزول هاروت وماروت كان لتعليم الناس التمييز بين السحر الذي يُعارَضُ بمثله أو بأقوى منه وبين المعجزة التي هي أمر خارق للعادة، وتكون صالحة للتحدّي، ولا تُعارَض بالمثل، وتظهر على يد مدّعي النبوة، فعلّم الملكانِ الناس أن السحر إنما هو من فعل الشياطين وأن فيه إيذاء وإضرارًا كالتدليس على الناس والتفريق بين الزوجين وغيرِ ذلك، وهذا مختلف وبعيد كلَّ البعد عن المعجزات التي كانت تظهر على يد سيدنا سليمان

عليه السلام.

القصة الحقيقية للملكين هاروت وماروت عليهما السلام

قد جاء خبر هاروت وماروت مبيّنًا في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

فيُعلم من هذه الآية أنّ هاروت وماروت ملكان أمرهما الله تعالى أن ينـزلا إلى الأرض ويعلّما الناس السحرَ لا ليعملوا به بل ليعرفوا حقيقته وليميّزوا بين السحر والمعجزة، فكانا يعلّمان الناس ذلك مع التحذير، يقولان للناس: نحن فتنة أي محنة وابتلاء من الله واختبار نعلّمكم ولا تكفروا أي لا تعتبروا السحر حلالًا إنما تتعلّمون فقط، كانا يعلّمانهم ما يكون من السحر من نوع التفريق بين اثنين متحابّين، ثم الناس الذين تعلّموا منهما بعضُهُم ما عَمِلَ بهذا السحر الذي تعلّمه، وبعضهم عَمِلوا به وعَصَوْا ربَّهم.

ومن السحر ضروبٌ غيرُ هذا الذي علّمه هاروتُ وماروتُ للبشر، فالشياطينُ أي كفار الجنّ كانت تعمل السحر وتُعَلّمُهُ للناس، وكان يبلغ الأمر في بعض الأحيان إلى أن يلزموهم بعض الأفعال الكفرية، كعبادة الشمس، أو عبادة إبليس بالسجود له، إلى غير ذلك من أنواع الكفر، حتى إن منه ما تشترط

(١) البقرة/ ١٠٢.

الشياطينُ على مَن تعلّمُهُ لتساعِدَهُ أن يبولَ على ما فيه معظم كاسم الله والعياذ بالله تعالى، لأنّ مبتغاهم ومقصدهم من ابن آدم إيقاعه في الكفر فهذا عندهم أعظم شيء، يشتهون هذا اشتهاءً.

الملكان هاروت وماروت عليهما السلام ما عصيا ربّـهما

هاروت وماروت ملكان جليلان والملائكةُ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فليس بصحيح ما يروى عنهما أنهما شربا خمرًا فسكرا ثم قتلا طفلًا كانت تحمله امرأة ثم ركبت فيهما الشهوة فوقعا عليها، أي زنيا بها، وسجدا للصنم، بل هو كذب وخرافة والعياذ بالله تعالى، وما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت أنهما مستثنيان من عصمة الملائكة فهو غلط أيضًا غير مقبول. يقول القرطبيّ مفسّرًا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[١]: «قيل إن (ما) عطف على السحر وهي مفعولة، فعلى هذا يكون (ما) بمعنى الذي، ويكون السحر منزَّلًا على الملكين فتنة للناس وامتحانًا، ولله أن يمتحن عباده بما شاء، كما امتحن الجنود بنهر طالوت، ولهذا يقول الملكان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي محنة من الله، نخبرك أن عمل الساحر كفر -أي الذي فيه كفر[٢]- فإن أطعتنا نجوت، وإن عصيتنا هلكت»[٣]اهـ.

---

(١) البقرة/ ١٠٢.

(٢) قال شيخ الإسلام عبد الله الهرريّ رحمه الله في بيان أن السحر فيه ما هو كفر: «وكذا لو سجد للصنم أو للشمس أو لإبليس ليساعده على عمل السحر فإنه يكفر، ويكفر بعمل السحر الذي فيه عبادة الشمس أو القمر أو الشيطان ونحو ذلك كالبول على المصحف، ومن فعل فعلًا أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا عن كافر كفر»اهـ. **الدليل القويم على الصراط المستقيم**، الهرري، (ص ١٣٦).

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٢/ ٥١).

قصة مكذوبة على هاروت وماروت

وقد روي عن عليّ وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدّيّ والكلبيّ ما معناه (**وهو خبر مكذوب مدسوس، وسيأتي تحذير القرطبيّ منه**): أنه لـمَّا كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام وذلك في زمن إدريس عليه السلام عيَّرتهم الملائكة، فقال الله تعالى أما إنكم لو كنتم مكانهم، وركّبت فيكم ما ركّبت فيهم لعملتم مثل أعمالهم، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك، قال فاختاروا ملكين من خياركم، فاختاروا هاروت وماروت، فأنزلهما إلى الأرض فركّب فيهما الشهوة، فما مرَّ بهما شهر حتى فتنا بامرأة اسمها بالنبطية «بيدخت» وبالفارسية «ناهيل» وبالعربية «الزهرة» اختصمت إليهما، (**وهذه قصة مكذوبة**) وراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يدخلا في دينها ويشربا الخمر ويقتلا النفس التي حرّم الله، فأجاباها وشربا الخمر وألـمَّا بها، فرآهما رجل فقتلاه، وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السماء فعلّماها فتكلَّمت به فعَرِجَتْ فمُسِخت كوكبًا. وقال سالم عن أبيه عن عبد الله (**وهو خبر مدسوس**): فحدّثني كعب الحبر أنهما لم يستكملا يومهما حتى عملا بما حرّم الله عليهما. وفي غير هذا الحديث: فخيّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذَّبان ببابل في سرب من الأرض، قيل: بابل العراق وقيل: بابل نهاوند، وكان ابن عمر في ما يروي عن عطاء أنه كان إذا رأى الزهرة وسهيلًا سبَّهما وشتمهما، ويقول: إن سهيلًا كان عشَّارًا -أي الذي يقبض عشر الأموال- باليمن يظلم الناس، وإن الزهرة كانت صاحبة هاروت وماروت. قلنا -أي القرطبيّ-: هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح منه شيء، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[1]، وقال أيضًا:

---

(١) التحريم/ ٦.

﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾[١]. وقال: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾[٢]. وقال جلَّ جلاله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾[٣]. وأما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة ويوجد منهم خلاف ما كلفوه، ويخلق فيهم الشهوات» ثم قال: «ولكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسمع ولم يصحّ. ومما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء، ففي الخبر: «**أن السماء لـمَّا خلقت خلق فيها سبعة دوّارة زُحَل والـمُشْتَرِي وبَهْرَام**[٤] **وعُطَارِد والزُّهَرَة والشمس والقمر**». وهذا معنى قول الله تعالى ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[٥]، فثبت بهذا أن الزهرة وسهيلًا قد كانا قبل خلق آدم»[٦] انتهى كلام القرطبيّ.

ونقل القرطبيّ عن الزجّاج قوله: «وروي عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: أي والذي أنزل على الملكين، وأن الملكين يعلمان الناس تعليم إنذار من السحر لا تعليم دعاء إليه. قال الزجاج[٧]: وهذا القول الذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر، ومعناه أنهما يعلمان الناس على النهي فيقولان لهم: لا تفعلوا كذا، ولا تحتالوا بكذا لتفرقوا بين المرء وزوجه. والذي أنزل عليهما هو النهي، كأنه قولا للناس: لا تعملوا كذا»[٨]اهـ. واعتمده أيضًا ابن حجر، ونقله مُقِرًّا ثم قال بعده: «وقد استُدِلَّ بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتُها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأما النوع الآخر الذي هو من

(١) الأنبياء/ ٢٦.

(٢) الأنبياء/ ٢٧.

(٣) الأنبياء/ ٢٠.

(٤) بهرام: الـمِرّيخ. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، (١/ ٨١).

(٥) يس/ ٤٠.

(٦) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٢/ ٥٢).

(٧) **معاني القرآن وإعرابه**، الزجاج، (١/ ١٨٣).

(٨) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٢/ ٥٣، ٥٤).

باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلّمه أصلًا. قال النوويّ: «عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبيّ ﷺ من السبع الموبقات» ومنه ما يكون كفرًا ومنه ما لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة، فإنْ كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا، وأما تعلّمه وتعليمه فحرام فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل، فإن تاب قبلت توبته وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزّرَ»[1]اهـ.

رد افتراء الذين يقولون: إن سليمان نظر إلى ساقي بلقيس متعمدا

قال الله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

ذُكِرَ في كتاب «تفسير الجلالين» رواية مدسوسة مضمونها أن سليمان عليه السلام إنما بنى الصرح المذكور في الآية لأنّ الجنَّ أخبرته أنّ ساقَيْ مَلِكَةِ سبأ ورِجْلَيْها كساقَيْ ورِجلَيْ حمار.

ونصّ العبارة: «﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضًا ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جارٍ فيه سمك اصطنعه سليمان لـمَّا قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمَي الحمار»[3]اهـ.

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (١٠/ ٢٤٤).

(٢) النمل/ ٤٤.

(٣)**تفسير الجلالين**، السيوطيّ والمحلّي، (ص ٥٠٤).

عَملَ سليمان عليه السلام الصرح ليُري بلقيسَ مُلكا أعظمَ من ملكها

قال القرطبيّ: «وكان الصرح صحنًا من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان، عَمِلَهُ لَيُرِيَها مُلْكًا أعظمَ مِنْ مُلْكِهَا، قاله مجاهد[1]»اهـ.

والقول الصحيح الذي لا مِرْية فيه أن غرض سليمان عليه الصلاة والسلام من بنائه الصرح هو أن يريَها عظمة ملكه وسلطانه، وأن الله سبحانه وتعالى أعطاه من الملك ومن أسباب العُمْران والحضارة ما لم يُعْطِهِ لغيره، فضلًا عن النبوّة التي هي فوق الملك، والتي دونها أية نعمة، وحاشا لسليمان عليه السلام أن يتحايل مثل هذا التحايل حتى ينظر إلى ما حرّم الله عليه، وهما ساقاها، فهو نبيٌّ معصوم، ومقام الأنبياء أجلُّ من مثل هذه الرذائل والدنايا. ولولا أنها رأت من سليمان عليه السلام ما كان عليه من الدين المتين والخلق الرفيع، لَـمَا أذعنت إليه لـمَّا دعاها إلى الله الواحد الحقّ، ولَـمَا ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب والشمس، وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

ويظلّ الميزان الشرعيّ هو الفيصل بين القصص الحقيقية والسليمة لأنبياء الله تعالى والقصص المفتراة عليهم، إذ بالعلم يتبيّن ما دُسَّ وكُذِبَ وما يليق بهم عليهم السلام. فحَذَارِ حَذَارِ أيها القارئ فقد شاع كثير من الحكايات الموضوعة في بعض كتب التفسير أو على ألسنة المنتمين إلى الوعظ والإفتاء فتراهم يخوضون في أوصاف الأنبياء عليهم السلام بما لا يليق ويتفكّهون في أعراضهم بما لا يرتضيه الواحد لنفسه فكيف لأنبياء الله الذين هم صفوة الخلق.

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٣/ ٢٠٨).

(٢) النمل/ ٤٤.

الفصل الحادي عشر:
براءة سيدنا عيسى المسيح عليه السلام من افتراء أعدائه

عيسى عبد الله ورسوله

اختلف الكثير من الناس في أمر سيدنا عيسى ابن مريم عليهما السلام، فمنهم من افترى عليه ونسب إليه أنه ادَّعى الألوهية والعياذ بالله تعالى، ومنهم من نسب إليه أنه قال عن نفسه إنه ابن الله وإن الله هو أبوه والعياذ بالله سبحانه، ومنهم مَنْ قال إنه قُتِلَ وصُلِب، وكل هذه الأقوال مجانبة للحق، والصواب أنه عبدُ الله ورسولُهُ وأنه رُفِعَ إلى السماء وحسبنا في ذلك تبرئته في القرآن وبيان حاله، وليس فوق ذلك بيان.

يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] أي أن عيسى عليه السلام هو عبدٌ من عبادِ الله مخلوقٌ من امرأة وهـي أمُه مريم عليها السلام، وقوله ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾ معناه أن الله تعالى لا يعجزه شيء ولا يؤوده ولا يتعبه شيء، بل هو يُوْجِدُ ما أراد وجودَه بسرعة أي من غير تأخر عن الوقت الذي أراد وجودَه فيه من غير أن يلحقَه تعبٌ ولا مشقة، وقد توعَّد الله تبارك وتعالى الذين كفروا ونسبوا لعيسى ما لا يصح ولا يليق فقال عزَّ من قائل: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾[2] أي فاختلف أهلُ ذلك الزمان ومَنْ بعدَهم في أمر عيسى عليه السلام، فمِن قائلٍ مِن اليهود: إنه ابنُ امرأةٍ زانية والعياذ بالله تعالى، وقابلَهم آخرون في الكفر فقالوا: هو الله، وقال آخرون: هو ابنُ الله، وقال آخرون: الله ثالثُ ثلاثة، وقال المؤمنون

(١) مريم/ ٣٤، ٣٥.

(٢) مريم/ ٣٧.

الصادقون: هو عبد الله ورسوله وابنُ أمته، وهؤلاء همُ الناجون المنصورون. وأما الذين كفروا فقد توعّدهم الله تعالى بالعذاب وهَوْل الحساب يوم القيامة[1].

روح عيسى عليه السلام روح مشرف عند الله

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[2] رواه البخاريّ. ومعنى «**وروح منه**» أن روح المسيح روحٌ صادرةٌ من الله تعالى خلقًا وتكوينًا، فالله أضاف روح عيسى إلى نفسه إضافة تشريف، وليس المعنى أن المسيحَ جزءٌ من الله عزَّ وجلَّ، فالله سبحانه وتعالى ليس أصلًا لغيره ولا هو فرعٌ عن غيره، وليس روحًا ولا جسدًا ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[3].

دعا عيسى عليه السلام إلى الإسلام وتوحيد الله

لـمَّا بلغ عيسى عليه السلام الثلاثين من العمر أوحى الله تعالى إليه أن يبرُز للناس ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى، فصار عليه السلام يدعو الناس إلى ذلك

(١) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، (٢/ ٥٧).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء]. (٤/ ٢٠٠، ٢٩١)، رقم ٣٤٣٥.

(٣) الإخلاص/ ٣، ٤.

ويقول لهم: «أيها الناس اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، وآمنوا بأني رسول الله إليكم»، وكان مرسلًا لبني إسرائيل فآمن به اثنا عشَر شخصًا يُسمَّون «الحواريّين[1]»، فأخذ عيسى عليه السلام يُوزّعهم في نواحي الأرض يدعون إلى عبادة الله تعالى وحده ونشرِ دينِ الإسلام الذي هو دينُ جميع الأنبياء والملائكة، وكان سيدنا عيسى عليه السلام مؤيدًا من الله تعالى بالمعجزات الباهرات، فكان عليه السلام يشفي المرضى والزَّمْنَى والأكمهَ والأبرص وغيرَهم من المرضى بإذن الله تعالى، حتى أحبَّه الناس وكثُر أتباعُه وعلا ذكرُه وشأنُه بين الناس، وكان عليـه السلام يقضي أيامه في التَّجوالِ والسياحة في الأرض لدعوة الناس إلى دين الإسلام.

وقد علّمه الله التوراة وأنزل عليه كتابًا سماويًّا وهو الإنجيل الصحيح الذي فيه دعوةٌ إلى الإيمان بالله الواحد الأحد خالقِ كلِ شيء وإلى الإيمان بأنَّ عيسى عبد الله ورسولُه، وفيه بيانُ أحكام شريعته، وفيه البِشارة بنبيّ آخر الزمان وهو سيدُنا محمد ﷺ، وفيه أيضًا تحريمُ الربا وكـلِ ضارّ للعقل أو البدن وأكلِ لحم الخنزير، وفيه الأمرُ بالصلاة والصيام وغيـر ذلك من أمور الدين، وكان أَصلُ دعوتِه شيئين: إفرادُ الله بالعبادة والإيمانُ به أنه نبيُّه، ولم يسمِ نفسَه ابنًا لله ولا سمَّى الله أبًا له، وكانت أول كلمة أنطقه الله بها وهو في المهد ما ذكر في القرآن عنه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[2] حيث اعترف بالعبودية لله تعالى وحده ربّ كلّ شيء وخالق كلّ شيء.

ولقد حذّر عيسى المسيحُ عليه السلام قومَه بني إسرائيل من الكفر والإشراك، وبيَّنَ لهم أنه مَنْ يشرك بالله تعالى فقد حرَّم الله تعالى عليـه الجنة، ومأواه نارُ

---

(١) اختلف في تسميتهم بذلك، فقال ابن عباس: سمّوا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا صيّادين، وقال ابن أبي نجيح وابن أرطاة: كانوا قصّارين فسُمُّوا بذلك لتبييضهم الثياب، وقال قتادة والضحّاك: سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا خاصّة الأنبياء، يريدان لنقاء قلوبهم، وقيل غير ذلك. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (٤/ ٩٨).

(٢) مريم/ ٣٠.

جهنم خالدًا فيها أبدًا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[1] أي ليس للكافرين أنصار يحمونهم من عذاب الله في الآخرة.

كان أتباعُ عيسى المسيح عليه السلام الذين صدّقوه واتبعوه وآمنوا به مسلمين مؤمنين، ومنهم «الحواريون» الذين كانوا أعوانًا له ينشرون دعوتَه وشرعه ويعلمون الناسَ الخير وتعاليمَ الشرع الحنيف الذي أُوْحِيَ به إليه، أولئك أمّةُ عيسى عليه السلام الصادقون الذين كانوا على هَدْيِ نبيهم عيسى عليه السلام وعلى طريقتِه وتعاليمه حتى بعدَ رفعِه إلى السماء إلى نحو مائتي سنة، ثم بعد المائتي سنة صار عدد المؤمنين منهم ينقص شيئًا فشيئًا، وصار يكثر الذين يعبدون عيسى عليه السلام ويحرّفون ما جاء به من تعاليم سماوية.

عيسى عليه السلام لم يدَّع الألوهية

وهنا بيت القصيد في موضوع الردّ على من افترى على سيدنا عيسى عليه السلام بأنه علّم الناس أنه الله أو ابن الله والعياذ بالله سبحانه وتعالى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[2]، قال القرطبيّ في تفسيره ما نصه: «اختُلف في وقت هذه المقالة، فقال قتادة وابن جريج وأكثر المفسرين: إنما يقال له هذا يوم القيامة. واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال، وليس

(١))المائدة/ ٧٢.

(٢) المائدة/ ١١٦، ١١٧.

هو باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام على قولين، أحدهما: أنه سأله عن ذلك توبيخًا لمن ادَّعى ذلك عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشدّ في التوبيخ والتقريع. الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيَّروا بعده وادَّعوا عليه ما لم يقله. فإن قيل: النصارى لم يتخذوا مريم إلهًا، فكيف قال ذلك فيهم؟ قيل: لـمَّا كان من قولهم: إنها لم تلد بشرًا وإنما ولدت إلهًا لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضية بمثابة مَنْ ولدته، فصاروا حين لزمهم ذلك بمثاب القائلين له».

ثم قال: «خرّج الترمذيّ عن أبي هريرة قال: تلقَّى عيسى حجته ولقَّاه الله في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «فلقَّاه الله ﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[2]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[3]. وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين، أحدهما: تنـزيهًا له عما أُضيف إليه. الثاني: خضوعًا لعزته وخوفًا من سطوته. ويقال: إن الله تعالى لـمَّا قال لعيسى عليه السلام: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أخذته الرِّعدة -بكسر الراء- من ذلك القول حتى سَمِعَ صوت عظامه في نفسه فقال: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ أي أن أدَّعي لنفسي ما ليس من حقها، يعني أنني مربوبٌ ولست بربٍ، وعابدٌ ولست بمعبودٍ. ثم قال: ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ فردَّ ذلك إلى علمه، وقد كان الله عالِـمًا به أنه لم يقله، ولكنه سأله عنه تقريعًا لمن اتخذ عيسى إلهًا. ثم قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم، وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه. وقيل:

(١) المائدة/ ١١٦.

(٢) المائدة/ ١١٦.

(٣) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، تفسير سورة المائدة، (٥/ ٢٦٠)، رقم ٣٠٦٢.

تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد. وقيل: تعلم سرّي ولا أعلم سرّك، لأن السرّ موضعه النفس، وقيل: تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة، قلت -أي القرطبيّ-: والمعنى في هذه الأقوال متقارب أي تعلم سرّي وما انطوى عليه ضميري الذي خلقتَهُ ولا أعلم شيئًا مما استأثرتَ به من غيبك وعلمك. ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن»[1]اهـ.

ويتابع القرطبيّ قائلًا: «قول الله سبحانه وتعالى إخبارًا عن عيسى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ يعني في الدنيا بالتوحيد. ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ﴿أَنِ﴾ لا موضع لها من الإعراب وهي مفسّرة» ثم قال:« ويجوز أن تكون في موضع نصب، أي ما ذكرتُ لهم إلا عبادة الله. قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي حفيظًا بما أمرتهم ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ﴿مَّا﴾ في موضع نصب أي وقت دوامي فيهم. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تظاهرت الأخبار برفع عيسى عليه السلام، وأنه في السماء حيٌّ، وأنه ينزل ويقتل الدجال، وإنما المعنى فلمَّا رفعتني إلى السماء. قال الحسن: الوفاة في كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه: وفاة الموت وذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2] يعني وقت انقضاء أجلها، ووفاة النوم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[3]يعني الذي ينيمكم، ووفاة الرفع قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾[4]»[5] انتهى كلام القرطبيّ.

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٦/ ٣٧٤- ٣٧٧).

(٢) الزمر/ ٤٢.

(٣) الأنعام/ ٦٠.

(٤) آل عمران/ ٥٥.

(٥) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٦/ ٣٧٦، ٣٧٧).

فائدة

المسيح كغيره من الأنبياء كلٌّ منهم دعا قومه إلى عبادة الله وحده وتصديق الأنبياء كلهم، وكذلك موسى جاء بني إسرائيل بعبادة الله وحده وتصديق الرسُل جميعًا، فافترت اليهود عليه أنه أوصاهم بأن لا يقبلوا شريعة غير شريعته وأن شريعته باقية إلى يوم القيامة. وكلاهما نبيَّان جاءا بالدعوة إلى الإسلام التي اشترك فيها جميع الأنبياء الذين أولهم آدم وآخرهم وخاتمهم محمد صلى الله عليهم وسلَّم. وكلهم متفقون على العقائد ولا يختلفون فيها، لأن الحكمة لا تقتضي تغييرها باختلاف العصور والأجيال، لأن أصول العقيدة من الإيمان بالله وملائكته والجنة والنار ونحو ذلك لا تقتضي مصلحة العباد -مهما تطاولت العصور- تغييرها. وأما الشرائع وهي الأحكام العملية فتختلف لأن الحكمة تقتضي اختلافها لأهل العصور المختلفة.

عيسى عليه السلام لم يشرب الخمر قط ولم يشجع أحدا على شربها

لِيُعلم أن الخمر كانت محرَّمة في كل شرائع الأنبياء الذين بعثوا قبل سيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم، وحرمت في شريعة سيدنا محمد ﷺ بعد البعثة بمدة فهي محرّمة إلى يوم القيامة. وليعلم كذلك أنّه ما من أحد من الأنبياء شرب الخمر أو شجّع على شربها، وذلك لأنها تذهب العقول وتُحسّن ارتكاب الفواحش، وهذا ينافي المروءة، وأما ما يفتريه البعض على سيّدنا عيسى عليه السّلام من قولهم: إنّه شرب الخمر أو شجّع على شربها فهو باطل.

ولبيان هذا الأمر أكثر هاكم قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ

﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[1]. وروى الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله عزَّ وجلَّ لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها**»[2]. وروى البخاريّ ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَهَا في الآخرة**[3]» أي إن لم يتب يُحرَم شرب خمرِ الجنة الذي لا يسكر ولا يصدع الرأس وليس نجسًا. فقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ مع قوله ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ دليلٌ على حرمة شرب الخمر، وقبل نزول هاتين الآيتين لم ينـزل حكم تحريم الخمرة على أمة محمد ﷺ أي إذا كانت إلى القدر الذي لا يضرّ الجسم. ثم بعد ذلك حرمت كما جاء في القرآن والحديث والإجماع، على أن الأنبياء عليهم السلام لا يشربونها ولا يحثّون أممهم على شربها لأن ذلك ينافي حكمة البعثة التي هي تهذيب النفوس، وقليل الخمر يؤدي إلى كثيره.

عيسى عليه السلام لم يشجع على شرب الخمر ولو القليل منه

وما يزعم بعضهم من أن سيدنا عيسى عليه السلام قال: قليل من الخمر يفرح قلب الإنسان فهو كذب عليه. وإن كان قد ثبت أنه قال كلامًا في الخمر فيُحتمل أن يكون قال «يقرّح» بالقاف أي يفسد قلب الإنسان.

---

(١) المائدة/ ٩٠، ٩١.

(٢) **مسند أحمد**، أحمد، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. (١/ ٣١٦)، رقم ٢٨٩٩.

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الأشربة وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (٧/ ١٣٥)، رقم ٥٥٧٥. **صحيح مسلم**، مسلم، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها بمنعه إيّاها في الآخرة، (٦/ ١٠١)، رقم ٥٣٤٠.

عيسى عليه السلام لم يسلم على الخنزير

ومن الضلال أيضًا ما يَنسبُه بعض الجَهَلة إلى عيسى عليه السلام من أنّهُ رأى خنـزيرًا فقال له: السلام عليك يا أخي. فإنّ هذا كذبٌ واستخفافٌ بمنصب النّبوّة والعياذ بالله.

ومما يفترى على سيدنا عيسى عليه السلام أنه صُلِبَ وقُتلَ والعياذ بالله

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]، استمر أكثرُ بني إسرائيل على كفرهم وضلالهم ولم يؤمن بعيسى عليه السلام إلا القليل، وكان منهم طائفة صالحة كانوا له ظَهيرًا ونَصيرًا، يؤيدونه ويُعاضدونه ويُعينونه في نشر دين الإسلام الحق الذي أرسله الله تبارك وتعالى ليدعوَ إليه، ولـمَّا أخذت دعوتُه تنتشر ويكثرُ أتباعُه ومُؤَازِرُوه حسدَه اليهود وتآمروا على الفَتْك به، وأخذوا يُدبرون مكيدةً لقتله والتخلصِ منه، فوشوْا به إلى بعض ملوك الزمان وعزموا على قتله وصلبه، فأنقذه الله تبارك وتعالى من مكيدتهم ومكرهم ورفَعه إلى السماء من بين أظهرِهم، وألقى اللهُ شبهَ عيسى عليه السلام على واحد من أصحابه، فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونَه عيسى عليه السلام وهُم في ذلك غالِطون، وسلَّم لهم كثيرٌ من النصارى في ما ادعَوْه، وكِلا الفريقين في ذلك مخطئون، قال الله تبارك وتعالى في الرد على اليهود الذين زعموا أنهم قتلوا نبيَّ الله عيسى عليه السلام: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ

(١) آل عمران/ ٥٢، ٥٣.

﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾[(١)].

ومعنى ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ أي رفعه إلى محلّ كرامته، وليس المعنى أنه رفعه إلى مكان يستقر فيه الله بذاته لأن الله تعالى موجود بلا مكان، وإنما السموات مسكن الملائكة الكرام. قال القرطبيّ: «أي إلى السماء، والله تعالى متعال عن المكان»[(٢)]اهـ.

قصة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

ذكر القرطبيّ في قصة رفع نبيّ الله عيسى عليه السلام إلى السماء بعض الروايات السليمة التي لا غبار على إسنادها فقال: «قال الضحاك: كانت القصة لـمَّا أرادوا قتل عيسى، اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلًا، فدخل عليهم المسيح من مشكاة[(٣)] الغرفة، فأخبر إبليس جمعَ اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة. فقال المسيح للحواريين: أيّكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة؟ فقال رجل: أنا يا نبيّ الله، فألقى إليه مِدْرَعَةً -أي ثوبًا- من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه وأُلقي عليه شبه عيسى، فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه. وأما المسيح فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة. وذكر أبو بكر بن أبي شيبة حدّثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لـمَّا أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وهم اثنا عشر رجلًا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال لهم: أما إنَّ منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يُلْقَى عليه شبهي فيقتل مكاني

---

(١) النساء/ ١٥٧، ١٥٨.

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٦/ ١٠).

(٣) «المِشْكاة بالكسر: كلُّ كَوَّةٍ غير نافذة»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ش ك و، (ص ١٤٠٣).

ويكون معي في درجتي؟ -أي معي في الجنة- فقام شابٌّ من أحدثهم فقال: أنا، فقال عيسى: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا، فقال عيسى: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشابّ فقال: أنا، فقال: نعم أنت ذاك، فألقى اللهُ عليه شبه عيسى عليه السلام، قال: ورفع الله تعالى عيسى من روزنة[1] كانت في البيت إلى السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبيه فقتلوه ثم صلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، فتفرقوا ثلاث فرق، قالت فرقة: كان فينا اللهُ ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابنُ الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبدُ الله ورسولُه ما شاء الله ثم رفعه إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ فَقُتِلوا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[2] أي آمن آباؤهم في زمن عيسى ﴿ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ ﴾ بإظهار دينهم على دين الكفار ﴿ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾»[3] اهـ. وقد سمّى الله فعل أولئك الكفار من بني إسرائيل مكرًا وذلك حين همُّوا بقتله وتواطؤوا على الفتك به، وأما المكر من الله فهو مجازاة الكفار على مكرهم، سُمّي الجزاء مكرًا على سبيل المشاكلة[4]، أي لوقوعه في صحبة المكر الواقع ابتداء وهذا معروف شائع في كلام العرب قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٥٥﴾ ﴾[5].

(١) «الرَّوْزَنَة: الكوة»اهـ. القاموس المحيط، الفيروزأبادي، مادة: ر ز ن، (ص١٢٩٢). والكوة هي الخرق في الحائط.

(٢) الصف/ ١٤.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٤/ ١٠٠، ١٠١).

(٤) المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا. **الإيضاح في علوم البلاغة**، القزويني، (ص ١٩٨).

(٥) آل عمران/ ٥٤، ٥٥.

قال شيخ الإسلام شيخنا عبد الله الهرريّ رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: «المكر من الخلق خبث وخداع لإيصال الضرر إلى الغير باستعمال حيلة، وأمّا من الله تعالى فهو مجازاة الماكرين بالعقوبة من حيث لا يدرون، وبعبارة أخرى إنّ الله أقوى في إيصال الضرر إلى الماكرين من كلّ ماكر جزاءً لهم على مكرهم، فالمكر بمعنى الاحتيال مستحيل على الله تعالى، ولا يسمّى الله ماكرًا كما قاله بعض الجهال. وفي هذه الآية أسند الله إلى نفسه المكر، ومكر الله ليس كمكر العباد، مكر الإنسان أن يحاول إيصال الضرر إلى إنسان بطريقة خفيَّة يحتاج فيها إلى استعمال بعض الحيل، أما مكر الله فليس كذلك، مكر الله هو إيصال الضرر إلى من يشاء من عباده من حيث لا يعلم ذلك العبد ولا يظنّ ولا يحتسب أن الضرر يأتيه من هنا. فمكر العبد مذموم، أما مكر الله لا يُذمُّ لأنّ الله لا يجوز عليه الظلم، لا يكون ظالـمًا إن انتقم من عباده الظالمين بما شاء. وكذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] أَيْ يجازيهم على استهزائهم»[2]اهـ.

وأما معنى قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي قابضُك إلى السماء وأنت حيٌّ يقظان، ويجوز أن يُفسَّرَ على أنه من بابِ المقدَّمِ والمؤخَّر، فكأنَّ السياق: إني رافعك ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك أيْ مميتك، فعلى هذا التفسير وهو تفسيرُ ابنِ عباس يكون ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ معناه مُميتك. وقولُه تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي جاعلُ من اتبعك على الإسلام والتوحيد، وهم من بقي بعد رفعه إلى السماء على الإسلام، ثم بعد انقراضهم هم أمةُ محمد، لأن هؤلاء هم متَّبعو عيسى على ما جاء به من توحيد الله وسائر أصول العقيدة والأحكام التي اتفقت عليها شرائع الأنبياء، فإنهم فوق الكافرين من حيث المعنى والحُكم، فإن من معه الحق فهو فوق غيره، وفي هذه الآية دِلالة على أن أمةَ محمد ﷺ آخرُ

(١) البقرة/ ١٥.

(٢) **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرريّ، (ص ٢١٨، ٢١٩).

الأممِ المسلمة أتباعِ الأنبياء في الإسلام والتوحيد وأنهم يبقون إلى نهاية الدنيا.

ومما ذكروه من خبر عيسى عليه السلام وأمر رفعه وذكر اختلاف الناس من بعده ما رواه الطبريّ في تاريخه ما نصّه: «حتى كان -أي عيسى عليه السلام- ابن ثلاثين سنة، فجاءه الوحي على ثلاثين سنة -أي في عمر الثلاثين- وكانت نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله إليه -أي إلى محلّ كرامته- فلمَّا رآه إبليس يوم لقيه على العقبة[1] لم يطق منه شيئًا، فتمثَّل له برجل ذي سن وهيئة، وخرج معه شيطانان ماردان متمثليْن كما تمثَّل إبليس، حتى خالطوا جماعة الناس. وزعم وَهْبٌ أنه ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفًا، فمن أطاق منهم أن يبلغَه بلغه، ومن لم يطق ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشي إليه، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ، فجاءه إبليس في هيئة يبهر الناس حسنها وجمالها، فلمَّا رآه الناس فرغوا له ومالوا نحوه، فجعل يخبرهم بالأعاجيب، فكان في قوله: إن شأن هذا الرجل لعجب: تكلَّم في المهد، وأحيا الموتى، وأنبأ عن الغيب، وشفى المريض فهذا الله، قال أحدُ صاحبيه: جهلت أيها الشيخ، وبئس ما قلت، لا ينبغي لله أن يتجلَّى للعباد، ولا يسكن الأرحام، ولا تسعه أجواف النساء، ولكنه ابن الله، وقال الثالث: بئس ما قلتما كلاكما قد أخطأ وجهل، ليس ينبغي لله أن يتخذ ولدًا، ولكنه إله معه، ثم غابوا حين فرغوا من قولهم، فكان ذلك آخر العهد منهم»[2]اهـ.

---

(١) «العَقَبَة بالتحريك: مرقًى صعب من الجبال، أو الجبل الطويل يعرِض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب شديد وإن كانت خُرمت بعد أن تسند وتطول في السماء في صعود وهبوط أطول من النقْب وأصعب مرتقًى، وقد يكون طولهما واحدًا»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ع ق ب، (٣/ ٤٠٣).

(٢) **تاريخ الأمم والملوك**، الطبريّ (١/ ٣٥٢).

متى حرف دين عيسى عليه السلام

بعد رفع عيسى عليه السلام بمائتي سنة حُرِّف دينه القويم، وحُرِّفَت معاني الإنجيل الصحيح الذي أُنْزِلَ عليه، ثم عمد هؤلاء المحرّفون إلى تحريف ألفاظه، فحذفوا منه أغلب الألفاظ، وصار أحدهم يكتب إنجيلًا ويقول: هذا هو الإنجيل الأصليّ، حتى كثرت النُّسَخُ وبلغت نحو سبعين كتابًا، كلّها باسم الإنجيل المنـزل، فجمعهم الملك «قسطنطين» الذي كان في الأصل وثنيًّا ثم دخل في دين المحرّفين وطلب منهم أن يجمعوا أمرهم، فاتفقوا على أربعة كتب كلّها فيها تحريف للإنجيل الأصليّ الذي أُنْزِل على نبيّ الله عيسى عليه السلام، ثم أحرقوا بقية الكتب وانقسموا نحو سبعين فرقة[1]. قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾[2]، ثم بعد ذلك صار المسلمون من أتباع عيسى عليه السلام يفرون بدينهم إلى الجبال يعبدون الله تعالى وحده، ومع مرور الأيام قلُّوا حتى لم يبقَ منهم أحد بعد ذلك لا في الجبال ولا في المدن، وهذا قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ، وقد مدح الله تعالى في القرآن الأوّلين مِـمَّنْ ترهّبوا[3] مع التوحيد والإيمان على شريعة عيسى عليه السلام، وذمّ الآخرين الذين قلّدوهم على غير ما كانوا عليه في الحقيقة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾** ﴾[4].

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (٦/ ٢٤). **اللباب في علوم الكتاب**، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (١٢/ ٢١٤).

(٢) المائدة/ ٦٨.

(٣) «الترهّب: التعبّد»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: ر هـ ب، (١/ ١١٨).

(٤) الحديد/ ٢٧.

فائدة مهمة: قال شيخ الإسلام شيخنا الهرريّ رحمه الله: «الدليل القرآنيّ على أن البدعة منها ما هو حسن قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1]، ففي هذه الآية مدح المؤمنين من أمّة عيسى لأنّهم كانوا أهل رحمة ورأفة، ولأنهم ابتدعوا الرهبانيّة وهي الانقطاع عن الشهوات المباحة زيادة على تجنّب المحرمات حتى إنّهم انقطعوا عن الزواج وتركوا اللذائذ من المطعومات والثياب الفاخرة وأقبلوا على الآخرة إقبالًا تامًّا. فقوله تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فيه مدح لهم على ما ابتدعوا أي ممَّا لم ينصّ لهم عليه في الإنجيل الصحيح ولا قال لهم المسيح بنصّ منه افعلوا كذا، إنّما هم أرادوا المبالغة في طاعة الله تعالى والتجرد لطاعته بترك الانشغال بما يتعلّق بالزواج ونفقة الزوجة والأهل. ثم هؤلاءِ الذين مدحهم الله كانوا من أتباع عيسى على الإسلام مع التمسك بشريعة عيسى، كانوا يبنون الصوامع أي بيوتًا خفيفة من طين أو من غير ذلك على المواضع المنعزلة عن البلد ليتجرّدوا للعبادة، ثم جاء بعدهم أناس قلدوا أولئك مع الشرك أي مع عبادة عيسى وأمهِ وتشبّهوا بأولئك بالانقطاع عن الشهوات والعكوف في الصوامع لقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ لأن هؤلاء ما التزموا بالرهبانية الموافقة لشرع عيسى كما التزم أولئك السابقون، فيؤخذ من هذه الآية أن من عمل عملًا لا يخالف الشرع بل يوافقه ليس بدعة مذمومة بل يُثاب فاعله ويسمّى سنة حسنة وسنةَ خيرٍ، ويسمّى بدعةً حسنةً أو بدعةً مستحبَّةً»[2]اهـ.

---

(١) الحديد/ ٢٧.

(٢) **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرريّ، (ص ٥٣٥، ٥٣٦).

الباب الثالث: في كشف الافتراءات على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ

إن سنة الله عزَّ وجلَّ في خلقه أن الرسل يبتلون ثم تكون لهم العاقبة المحمودة لأنهم اتقوا ربّهم وخافوه باجتناب معاصيه وأداء فرائضه، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

ولقد شغف المغرضون من المستشرقين وغيرهم كعادتهم في التفتيش على ما يظنّونه أو يتوهّمونه بابًا للطعن والافتراء على الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، فتمسكوا بعدة أمور للطعن بنبينا والافتراء عليه.

وفي هذا الباب المخصّص ردٌّ على بعض الافتراءات التي افتريت على النبيّ الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، الذي عصمه الله في كل ما يبلّغ به عنه قولًا وعملًا وتقريرًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[2].

---

(١) الأنعام/ ٣٣، ٣٤.

(٢) النجم/ ١-٥ .

الفصل الأول:
رد ما يـفترى عليه ﷺ بأنه أول المخلوقات وأنه نور بمعنى الضوء والعياذ بالله

قال شيخ الإسلام شيخنا الشيخ المحدث عبد الله الهرريّ رضي الله عنه: «من المفاسد التي انتشرت بين بعض العوام ما درج عليه بعض قُرَّاء المولد النبويّ الشريف وبعض المؤذنين وغيرهم من قولهم: «إن محمدًا أوّل المخلوقات»، وما ذاك إلا لانتشار حديث جابر الموضوع بينهم وهو: «أوَّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر» وفي ما يلي نورد ردًّنا بالأدلة العقلية والنقلية الشافية، فنقول: هذا الحديث موضوع لا أصل له ومعناه مخالف للقرآن الكريم وللحديث الصحيح الثابت.

أمَّا مخالفته للقرآن ففي قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1].

وأما مخالفته للحديث فقد روى البخاريّ والبيهقيّ من حديث عمران بن الحُصين أن أناسًا من أهل اليمن أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: جئناك يا رسول الله لنتفقه في الدين فأنبئنا عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «**كان الله ولم يكن شىء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شىء ثم خلق السموات والأرض**»[2]، فهذا نص صريح في أنّ أول خلق الله الماء والعرش، فإن أهل اليمن

---

(١) الأنبياء/ ٣٠.

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم]. (٤/ ١٢٨، ١٢٩)، رقم ٣١٩١. ونصّ الحديث: «عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبيّ ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: «قد بشرتنا فأعطنا» مرتين. ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: «**كان الله ولم يكن شىء غيره، وكان عرشه**=

كانوا قد سألوه عن بدء العالم، فأجابهم وأفادهم رسول الله ﷺ بأهمّ مما سألوا عنه، فقوله: «**كان الله**» أي في الأزل، وقوله: «**ولم يكن شيء غيره**» أي أنه لا أزليّ سواه، لأنه في الأزل لم يكن ماء ولا هواء ولا نور ولا مكان ولا ظلام، وقوله: «**وكان عرشه على الماء**» أي وجد عرشه على الماء، وبوجود الماء وجد الزمان والمكان، أما قبل ذلك لم يكن زمان ولا مكان. فيعلم من هذا أن الماء والعرش هما أول المخلوقات، والعرش سرير كبير له أربعة قوائم، يحمله أربعة من الملائكة، خلقه الله إظهارًا لقدرته ولم يتخذه مكانًا لذاته.

الماء أول المخلوقات

فالماء أصل لغيره وهو خُلِقَ من غير أصل، فبداية العالم من غير مادة، ولا يحيل العقل وجود أصل العالم من العدم من غير مادة، فـ «**كان**» الأُوْلى في الحديث للأزلية، أما «**كان**» الثانية في قوله: «**وكان عرشه على الماء**» فهي للحدوث.

فمن هنا يُعلم فساد قول من يقول: إن نور محمد خلق قبل كل شيء، فالذي يعتقد أن الله خلق نور محمد قبل كل الأشياء لا يكفر لكنه يُغلَّط، لمخالفته ثلاثة أحاديث ثابتة، هذا إن كان لا يعلم مخالفته للأحاديث الثلاثة، أما إن علم ومع ذلك خالفها فإنه يكفر لأنه بذلك يرد نصوص الشريعة وردّ النصوص كفر. والذي يعتقد أن روح محمد خلق من نور لا يكفر، لكن من يعتقد أن جسد محمد خلق من نور فهو كافر لتكذيبه القرآن قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1].

=**على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**» فنادى منادٍ: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقتُ، فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها»اهـ. **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، (١/ ٣٦٤).

(١) الكهف/ ١١٠.

حديث جابر بأولية النور المحمدي مصنوع مكذوب

والقول إنّ حديث جابر المفتعل الذي فيه: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، خلقه الله من نوره قبل الأشياء» صحَّ كشفًا، هذا لا معنى له، لأن كشف الوليّ الذي يخالف حديث رسول الله ﷺ لا عبرة به، فقد قال علماء الأصول: «إلهام الوليّ ليس بحجة»اهـ. لأن كشف الوليّ قد يخطئ. ثم هذا الحديث ركيك، والركاكة كما قال علماء الحديث: هي دليل الوَضْع لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتكلم بكلام ركيك المعنى. وممن استدل على ردّ هذا الحديث بركاكة لفظه المحدّث أحمد بن الصّدّيق الغُماريّ فإنه حكم عليه بالوضع محتجًّا بأن هذا الحديث ركيك ومعانيه منكرة[1].

وذلك لأن الجملة الأولى التي هي: «أول ما خلق الله تعالى نور نبيك» فيها جَعْلُ نور النبيّ أول العالم والمخلوقات على الإطلاق. ثم بالنظر إلى هذه الجملة: «خلقه الله من نوره قبل الأشياء» يترتب أحد أمرين:

فإما أن يكون معنى «مِنْ نوره» أي مِنْ نورٍ مخلوقٍ لله على أن الإضافة إضافة الملك إلى المالك وليست إضافة صفة إلى موصوف فيكون المعنى أن أول المخلوقات نور خلقه الله، ثم خلق منه نورَ محمدٍ، فهذا يناقض الجملة الأولى لأن الجملة الأولى تدلّ على أن نور محمد هو أول المخلوقات على الإطلاق، وهذه الجملة «خلقه الله من نوره قبل الأشياء» تدل على أن أول المخلوقات نور خُلِقَ منه نور محمد، فيكون نورُ محمد متأخّرًا عن ذلك النور في الوجود فلا يصح على هذا قول: «نور محمد أول المخلوقات على الإطلاق».

وإما أن تُعتبَرَ الإضافة التي في «نوره» إضافة الصفة إلى الموصوف، فتكون البلية أشدّ وأكبر لأنه يكون المعنى أن سيدنا محمدًا جزء من صفة الله وهذا إثبات البعضية لله، والله تعالى منـزَّه عن البعضية والتركيب والتجزؤ وذلك كفر.

---

(١) المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، أحمد الغماريّ، (ص ٤).

فيكون على التقدير الثاني إثبات التبعض لله وذلك ينافي التوحيد، لأنَّ الله واحد ذاتًا وصفاتٍ لم ينحلَّ منه شىء ولا ينحل هو من شىء غيره، فلا تكون صفاته صفة لغيره، ولا تكون أصلًا لغيرها، كما قرَّر علماء التوحيد في مؤلفاتهم.

الله منـزه عن البعضية والجزئية

إنَّ اعتقاد أن الرسول ﷺ جزء من نور هو من ذات الله هو كفر وخروج من الإسلام، ومن المعلوم أن كلام الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتناقض بل يعضد بعضه بعضًا، وفي هذا الحديث الجملة الثانية منه تنقض الأولى، فالرسول منـزَّه عن أن ينطق بمثله، ولهذا سقط الاحتجاج بهذا الحديث على دعوى أن أول المخلوقات على الإطلاق نور محمد ﷺ.

حديث جابر لم يصحّحه أحد من الحفاظ

ثم إن هذا الحديث، أعني حديث جابر، لم يصحّحه أحد من الحفّاظ، بل قال الحافظ السيوطيّ: «إنه لا يثبت»[1]اهـ. وأمّا إيراد الزرقانيّ[2] وابن حجر الهيتميّ وغيرهما كمحمد بن أبي بكر الأشخر[3] في «شرح بهجة المحافل»

(١) **الحاوي للفتاوى**، السيوطيّ، (١/ ٣٢٥) في تفسير سورة المدثر، وقد ذكر السيوطيّ كذلك في **قوت المغتذي على جامع الترمذي** بعد أن ذكر الحديث: أوّل ما خلق الله تعالى القلم فقال: «أما حديث أولية العقل فليس له أصل، وأمّا حديث أولية النور المحمديّ فلا يثبت»اهـ. **قوت المغتذي على جامع الترمذي**، السيوطي.

(٢) محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله، مولده ووفاته بالقاهرة، ونسبته إلى زرقان (من قرى منوف بمصر) من كتبه: (تلخيص المقاصد الحسنة) في الحديث، و(شرح البيقونية). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ١٨٤).

(٣) محمد بن أبي بكر الأشخر، جمال الدين، فقيه شافعي يمني. مولده ووفاته في قرية (بيت الشيخ) بقرب الضحى (في اليمن) تفقه في زبيد. له: (شرح بهجة المحافل وبغية الأماثل)، وألفية في النحو. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٥٩).

والقسطلاني[1]صاحب المواهب اللدنية[2] ونسبتهم هذا الحديث إلى عبد الرزّاق[3] فلا يفيد ذلك أن هذا الحديث صحيح أو حسن، على أنه لم يقل أحد من هؤلاء إن الحديث صحيح أو حسن، إنما أوردوه ناسبين له إلى «مصنف عبد الرزّاق» فليس في ذلك حجة، ثم عبد الرزّاق قال في تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[4] هما بدء الخلق قبل خلق السموات والأرض[5]اهـ. وهذا يبعد أن يكون عبد الرزّاق ذكر في «المصنف» هذا الحديث الركيك، وهؤلاء: صاحب «المواهب اللدنية» ومن ذكر معه ليس فيهم من هو في رتبة الحافظ، فلا يبنى الحكم بصحته أو قبوله بمجرد أن يذكره من له مشاركة في علم الحديث لأن العبرة في التصحيح والتضعيف أن يكون من حافظٍ، أي أن ينصَّ حافظ على أن هذا الحديث صحيح، أو أن يذكر حافظ في كتابه أنه يقتصر فيه على الصحيح، كالحافظ سعيد بن السكن[6] الذي أَلَّف كتابًا اشترط فيه الاقتصار على الصحيح[7] .

---

(١) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني أبو العباس شهاب الدين من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة، له: (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، و(لطائف الإشارات في علم القراءات)، توفي سنة ٩٢٣هـ. **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٢٣٢).

(٢) **المواهب اللدنية في المنح المحمدية**، القسطلاني، (١/ ٧١).

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانيّ الحميريّ (ت ٢١١ هـ)، أبو بكر، من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. له: (الجامع الكبير) في الحديث، وكتاب في (تفسير القرآن)، و(المصنف في الحديث) ويقال له الجامع الكبير. **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٣٥٣).

(٤) هود/ ٧.

(٥) **تفسير عبد الرزاق الصنعانيّ**، عبد الرزاق، (٢/ ٣٠١).

(٦) سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغداديّ (ت ٣٥٣ هـ)، أبو علي، من حفاظ الحديث. نزل بمصر وتوفي بها. قال ابن ناصر الدين: «كان أحد الأئمة الحفاظ، والمصنفين الأيقاظ، رحل وطوّف، وجمع وصنّف»اهـ. **الأعلام**، الزركلي،(٣/ ٩٨).

(٧) **الصحيح المنتقى**، سعيد بن السكن، المقدمة.

قاعدة مهمة في تصحيح الحديث

هذه القاعدة ذكرها الحافظ السيوطيّ في ألفيته في مصطلح الحديث فقال ما نصه: [الرجز]

وخُــذْهُ حيثُ حافظٌ عليه نصّ أو مِنْ مُصَنَّفٍ بِجَمْعِهِ يُخَـصّ[1]

يعني أن الحديث الصحيح يعرف أنه صحيح بنص حافظ على صحته، أو بأن تجده في كتاب ألّفه حافظ واشترط أنه لا يذكر في كتابه هذا إلا الصحيح. وأمّا غير الحفّاظ فلا عبرة بتصحيحهم ولا بتضعيفهم، فحديث أولية النور المحمديّ لم يصحّحه حافظ من الحفاظ لا من المتقدمين ولا من المتأخرين، ولم يذكر في كتاب اشترط مؤلّفه الحافظ أن لا يذكر في مؤلفه إلا الصحيح.

حديث جابر المكذوب يعارض حديثين صحيحين

ثم إن هذا الحديث يعارض حديثين صحيحين، أحدهما حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرّت عيني فأنبئني عن كل شىء، قال: «**إن الله تعالى خلق كل شىء من الماء**»[2]. فكان سؤال أبي هريرة عن أصل العالم الذي خلقت منه المخلوقات، فأجاب الرسول ﷺ بأنه الماء، وهذا الحديث أخرجه ابن حبان وصحّحه. والحديث الآخر حديث جماعة من أبناء الصحابة عن آبائهم عن رسول الله ﷺ: «**إن الله لم يخلق شيئًا مما خلق قبل الماء**»[3]. أورده الحافظ ابن حجر على أنه صحيح أو حسن عنده، وذلك في شرح البخاريّ في كتاب بدء الخلق عند ذكر حديث: «**كان الله ولم يكن شىء غيره،**

(١) **ألفية السيوطيّ في علم الحديث**، السيوطي، (١/ ٤)، رقم البيت ٥٩.

(٢) **صحيح ابن حبّان**، ابن حبان، كتاب الصلاة، فصل في قيام الليل، (٤/ ١١٥).

(٣) **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٢٨٩).

وكان عرشه على الماء».

الفضل بتفضيل الله تعالى

ثم إن الحكم بالأفضلية ليس منوطًا بالتقدم في الوجود أي وجود الخلق بعضه على بعض، بل الفضل بتفضيل الله تعالى، فالماء مع ثبوت أوليته لا يقال إنه أفضل المخلوقات، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام فهو أفضل المخلوقات من غير أن يكون أول المخلوقات لا جسمه ولا نوره، فالأمر كما قال البوصيريّ[1] في قصيدة (البردة): [البسيط]

فمبلغُ العِلْمِ فيهِ أنَّه بشرٌ وأنَّه خيرُ خَلْقِ الله كلِّهِمِ

ويلتحق بهذا الحديث الموضوع ما يقوله بعض المؤذنين في بلاد الشام عقب الأذان بصوت عال: «الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله وخاتم رسل الله»، فلو قالوا: «الصلاة والسلام عليك يا خاتم رسل الله» لكان صوابًا. مع بيان أن الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان جهرًا شىء حسنٌ وفعل طيب.

بطلان قول «ربي خلق طه من نور»

ومن الباطل المخالف للنصّ القرآنيّ والحديثيّ قول بعض المنشدين المصريين وغيرهم: «ربي خلق طه من نور» لأن هذا ظاهر المخالفة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ

(١) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجيّ البوصيريّ المصريّ (ت ٦٩٦ هـ)، شرف الدين، أبو عبد الله، شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني. نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف بمصر) أمه منها. وأصله من المغرب ووفاته بالإسكندرية. له: (ديوان شعر) وأشهر شعره البردة، ومطلعها (أمن تذكر جيران بذي سلم) شرحها وعارضها كثيرون، والهمزية ومطلعها (كيف ترقى رقيك الأنبياء) وعارض (بانت سعاد) بقصيدة مطلعها (إلى متى أنت باللذات مشغول). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ١٣٩).

أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا ﴾[2].

بيان الحكم في بعض ما يروى

فإن قيل: أليس قال الرسولُ ﷺ: «**كنتُ أوّل النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، وقال أيضًا: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين»، وأيضًا: «كنت نبيًّا ولا ماء ولا طين».

فالجواب: أن الحديث الأوّل ضعيف كما نقل ذلك العلماء[3]، ففي إسناده بقيّة ابن الوليد وهو مدلّس، وسعيد بن بشير وهو ضعيف، ثمّ لو صحّ لم يكن فيه أنّه أوّل خلقِ الله وإنما فيه أنه أوّل الأنبياء، ومعلومٌ أن البشر أولهم آدم عليه السلام الذي هو آخر الخلقِ باعتبار أجناس المخلوقات.

وأمّا الثاني والثالث فلا أصل لهما[4]، ولا حاجة لتأويل قولِهِ تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾[5] والحديثِ الصحيحِ المتقدم مِنْ أجلِ خبرٍ واهٍ ضعيف أو موضوع لا أصل له، كما فعل ذلك بعضُ أدعياء التصوف حيث أَوَّل الآية بحديث جابر السابق الذكر وقال: إنّ للآية معنًى مجازيًّا.

أما حديث ميسرة الفجر[6] أنه قال: يا رسولَ الله متى كنت نبيًّا، فقال:

---

(١) الكهف/ ١١٠.

(٢) الفرقان/ ٥٤.

(٣) **المقاصد الحسنة**، السخاويّ، (ص ٥٢٠). **كشف الخفاء**، العجلونيّ (٢/ ١٦٩، ١٧٠). **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**، محمد الحوت، (ص ٢٤٢).

(٤) **التذكرة في الأحاديث المشتهرة**، الزركشيّ (ص١٧٢)، **المقاصد الحسنة**، السخاويّ (ص ٥٢٢)، **تمييز الطيب من الخبيث**، ابن الديبع، (ص ١٢٦)، **كشف الخفاء**، العجلونيّ (٢/ ١٧٣). **تنزيه الشريعة**، ابن عراق، (١/ ٣٤١).

(٥) الأنبياء/ ٣٠.

(٦) عبد الله بن أبي الجدعاء التميميّ، ميسرة الفجر، له صحبة، يعدّ من أعراب البصرة، قال ابن الفرضيّ: «ميسرة لقب له»اهـ. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، (٣/ ٥٢).=

«**كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد**» فهو حديث صحيح رواهُ أحمد في مسنده[١]، وقال الحافظ الهيثميّ[٢] بعد عزوه لأحمد وللطبرانيّ[٣] أيضًا: «ورجاله رجال الصحيح»[٤]اهـ. وأمّا معناه فلا يدلّ على أوّليّته ﷺ بالنسبة لجميع الخلق، وإنما يدلّ على أنّ الرسول ﷺ كان مشهورًا بوصف الرسالة بين الملائكةِ في الوقتِ الذي لم يتم تكوُّنُ جسدِ آدم بدخولِ الروح فيه.

وقد أخرج أحمد والحاكم والبيهقيّ في الدلائل عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إني عند الله في أمّ الكتاب لخاتمُ النبيّين، وإن آدم لمنجدل في طينته**»[٥]. قال البيهقيّ: «قوله ﷺ: «**إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**»، يريد به أنّه كان كذلك في قضاء الله وتقديره قبل أن يكون أبو البشر وأوّل الأنبياء صلوات الله عليهم»[٦]اهـ.

ثم إن التشبث بقول: «إن نور محمد أول المخلوقات على الإطلاق» نوع من الغلوّ، وقد نهى الله ورسوله عن الغلوّ[٧]. والأفضلية ليست بالأسبقية في الوجود

= وأورده ابن حجر في الإصابة فقال: «ميسرة الفجر صحابيّ ذكره البخاريّ والبغويّ وابن السكن وغيرهم في الصحابة»اهـ. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، (٦/ ٢٣٩).

(١) **مسند أحمد**، أحمد، (٥/ ٥٩).

(٢) ابن الهيثميّ هو عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ (ت ٨٠٧ هـ)، أبو الحسن، نور الدين المصريّ القاهريّ، حافظ له كتب وتخاريج في الحديث، منها: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، و(ترتيب الثقات لابن حبان)، و(تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٢٦٦).

(٣) **المعجم الكبير**، الطبرانيّ، (٢٠/ ٣٥٣).

(٤) **مجمع الزوائد**، ابن الهيثميّ، (٨/ ٢٢٣).

(٥) **مسند أحمد**، أحمد، (٤/ ١٢٧، ١٢٨). **المستدرك**، الحاكم، (٢/ ٦٠٠). **دلائل النبوة**، البيهقيّ، (١/ ٨٠- ٨٣).

(٦) **دلائل النبوة**، البيهقيّ، (١/ ٨١).

(٧) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، (٤/ ٢٢٧)، **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٩/ ١٨٣)، ونص الحديث: «**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين**،=

بل الأفضلية بتفضيل الله تعالى، فالله سبحانه يفضّل ما شاء من خلقه على ما شاء، ومحمد عليه الصلاة والسلام أفضل خلقه على الإطلاق وأكثرهم بركة[1].

= فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

(١) رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمديّ، الهرريّ، بتصرف.

الفصل الثاني
رد ما يُفترى عليه ﷺ بأنه التقى بالله في المعراج والعياذ بالله

ما المقصود بالمعراج

ليعلم أنه ليس المقصود بالمعراج وصول الرسول ﷺ إلى مكان ينتهي وجود الله تعالى إليه، ويكفر من اعتقد ذلك، إنّما القصد من المعراج هو تشريف الرسول صلوات الله وسلامه عليه بإطلاعه على عجائب في العالم العلويّ، وتعظيم مكانته ورؤيته للذات المقدّس بفؤاده من غير أن يكون الذات في مكان، وإنما المكان للرسول ﷺ، لأن الله تعالى لا يجوز عليه عقلًا التحيّز في مكان والاستقرار فيه، سواء كان المكان علويًّا أم سفليًّا.

تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾

وأمّا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾[1] فالمقصود بهذه الآية جبريل عليه السلام حيث رآه الرسول ﷺ بمكة بمكان يقال له أجياد[2] وله ستّمائة جناح سادًّا عُظْمُ خلقه ما بين الأفق. قال القرطبيّ في تفسيرها: «أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ فنزل على النبيّ ﷺ بالوحي. والمعنى أنه لـمّا رأى النبي ﷺ من عظمته ما رأى، وهاله ذلك ردّه الله إلى صورة آدميّ حين قرب من النبي ﷺ بالوحي»[3]اهـ. فسيدنا جبريل عليه

---

(١) النجم/ ٨، ٩.

(٢) **معجم البلدان**، ياقوت، (١/ ١٣٠).

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٧/ ٨٨).

السلام هو الذي اقترب من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فتدلى إليه فكان ما بينهما من المسافة بمقدار ذراعين بل أقرب، وقد تدلّى جبريل عليه السلام إلى محمد ودنا منه فرحًا به. وليس الأمر كما يفتري بعض الناس أن الله تعالى دنا بذاته من سيدنا محمد ﷺ، فكان بين سيدنا محمد وبين الله كما بين الحاجب والحاجب أو قدر ذراعين، لأن إثبات المسافة لله تعالى إثبات للمكان وهو من صفات الخلق، أما الخالق فهو موجود بلا كيف ولا مكان، لا يكون بينه وبين خلقه مسافة. فالعرش الذي هو أعلى المخلوقات، والفَرْش الذي هو منتهى المخلوقات في الجهة السفلى، على حد سواء بالنسبة إلى ذات الله. فلا يجوز اعتقاد القرب المكانيّ الذي هو قرب المسافة في حقّ الله تعالى، فبالنسبة إلى ذات الله ليس العرش قريبًا من الله بالمسافة قربًا يجعله بعيدًا من الفرش.

فقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤)** ﴾[(١)] أي اجتمع النبيّ ﷺ مرة ثانية بجبريل هناك، لأن جبريل عليه السلام لا يتجاوز سدرة المنتهى، وهو سفير بين الله وبين أنبيائه وملائكة السماوات السبع، فهو الذي يبلّغ الوحي للملائكة وللأنبياء. قال القرطبيّ: «قوله: ﴿ **نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ يعود إلى محمد ﷺ، فإن كان له صعود ونزول مرارًا بحسب أعداد الصلوات المفروضة، فلكل عرجة نزلة، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ **عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ** ﴾ أي ومحمد ﷺ عند سدرة المنتهى وفي بعض تلك النزلات. وقال ابن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ إنه جبريل. ثبت هذا أيضًا في صحيح مسلم[(٢)]. وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «**رأيت جبريل بالأفق الأعلى له ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت**» ذكره المهدويّ»[(٣)]اهـ.

---

(١) النجم/ ١٣، ١٤.

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربَّه ليلة الإسراء، (١/ ١٥٨).

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٧/ ٩٤).

وأما الحديث الذي رواه البخاريّ في صحيحه: «**ودنا الجبار ربّ العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى**»[1] فهذه الرواية طعن فيها بعض الحفاظ، كعبد الحق[2] وغيره، وأوَّله بعضهم فقال: ليس دنوًّا حسيًّا وإنما هو مزيد إكرام وتقريب في الدرجات، وأما حمله على الظاهر فكل أهل السنة يردُّونه، بل يجعلون ذلك تشبيهًا لله بخلقه كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في شرح البخاريّ، ومما قاله: «ثم قال الخطابيّ: وفي هذا الحديث لفظة أخرى تفرّد بها شريك أيضًا لم يذكرها غيره، وهي قوله: «**فَعَلا به** -يعني جبريل- **إلى الجبار تعالى فقال وهو مكانه، يا رب خفف عنا**» قال: والمكان لا يُضاف إلى الله تعالى إنما هو مكان النبيّ ﷺ في مقامه الأول الذي قام فيه قبل هبوطه». وهذا الأخير متعين وليس في السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى، وأما ما جزم به من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلي ففيه نظر، فقد ذكرت من وافقه وقد نقل القرطبيّ عن ابن عباس أنه قال: «**دنا الله سبحانه وتعالى**» قال: والمعنى دنا أمره وحكمه» ثم قال: «وقد تقدم في تفسير سورة النجم ما ورد من الأحاديث في أن المراد بقوله: ﴿رَءَاهُ﴾ أنّ النبيّ ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ومضى بسط القول في ذلك هناك. ونقل البيهقيّ نحو ذلك عن أبي هريرة قال: فاتفقت روايات هؤلاء على ذلك، ويعكّر -أي يحتاج إلى توضيح- عليه قوله بعد ذلك: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[3] ثم نقل عن الحسن أن الضمير في عبده لجبريل والتقدير: فأوحى الله إلى جبريل. وعن الفراء التقدير: فأوحى جبريل إلى عبد الله

---

(١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء]. (٩/ ١٨٢، ١٨٣). رقم ٧٥٧١.

(٢) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد (ت ٥٨١ هـ)، الحافظ العلامة الحجة أبو محمد الأزديّ الإشبيليّ. ويُعرف أيضًا بابن الخراط. كان عالـمًا بالحديث وعلله، وعارفًا بالرجال موصوفًا بالخير والصلاح والزهد والورع، ولزوم السنة والتقلّل من الدنيا مشاركًا في الأدب. له: (الجمع بين الصحيحين)، و(المعتل من الحديث). **طبقات الحفاظ**، السيوطيّ، (١/ ٩٩).

(٣) النجم/ ١٠.

محمد ما أوحى.

وقد أزال العلماء إشكاله فقال القاضي عياض في (الشفا): إضافة الدنوّ والقرب إلى الله تعالى أو من الله ليس دنوَّ مكان ولا قرب زمان، وإنما هو بالنسبة إلى النبيّ ﷺ إبانةٌ لعظيم منـزلته وشريف رتبته، وبالنسبة إلى الله عزَّ وجلَّ تأنيسٌ لنبيه وإكرامٌ له، ويتأول فيه ما قالوه في حديث: «**ينـزل ربنا إلى السماء**» وكذا في حديث: «**مَنْ تقرَّب مني شبرًا تقرَّبت منه ذراعًا**» وقال غيره: الدنو مجاز عن القرب المعنويّ لإظهار عظيم منـزلته عند ربه تعالى، والتدلّي طلب زيادة القرب، وقاب قوسين بالنسبة إلى النبيّ ﷺ عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة، وبالنسبة إلى الله إجابة سؤاله ورفع درجته[1]. انتهى النقل عن الحافظ ابن حجر.

تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾

سيدنا محمد ﷺ وباقي الأنبياء عليهم السلام يلهمهم الله منذ صغرهم التوحيد فيكونون عارفين بالله، فالآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[2] لا يجوز أن تُفسّرَ بأنَّ سيّدنا محمّدًا ﷺ كان جاهلًا بربه حاشا، بل الآية معناها كما فسرها العلماء أن سيّدنا محمّدًا ما كان يعرف الشرائع أي الأحكام قبل أن ينزل عليه الوحي.

قال الثعلبي في تفسيره: «﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي ﴾ قبل الوحي ﴿ مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ يعني شرائع الإيمان ومعالمه»[3] اهـ.

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (١٣/ ٤٨٤).

(٢) الشورى/ ٥٢.

(٣) تفسير **الثعلبي**، الثعلبي، (١/ ٢٠٢٣).

وقال البغوي في تفسيره: «وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه -أي تفاصيله-»[1]اهـ.

وقال ابن الجوزي في تفسيره: «﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ يعني شرائع الإيمان-أي تفاصيله-»[2]اهـ.

وقال الرازي في تفسيره: «وأما الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الإجمال فقد كان حاصلًا منذ خلقه الله من أول الأمر»[3]اهـ.

وقال أبو حيان في تفسير البحر المحيط: «وقال القاضي: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ الفرائض والأحكام، قال: وكان قبل مؤمنًا بتوحيد الله ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانًا. وقال القشيري: يجوز إطلاق الإيمان على تفاصيل الشرع»[4]اهـ.

(١) **تفسير البغوي**، البغوي، (٧/ ٢٠١).

(٢) **زاد المسير**، ابن الجوزي، (٧/ ٢٩٩).

(٣) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٤/ ٦٩).

(٤) **البحر المحيط**، أبو حيّان، (٩/ ٥٠٠).

الفصل الثالث:
رد ما يفترى عليه ﷺ بأنه يعلم كل الغيب والعياذ بالله

ليعلَمْ أن علم الله قديم أزليٌّ كما أن ذاته أزليٌّ، فلم يزل سبحانه عالِـمًا بذاته وصفاته وما يُحْدِثهُ من مخلوقاته، فلا يتصف بعلم حادثٍ، لأنه لو جاز اتصافه بالحوادث لانتفى عنه القِدَمُ، لأن ما كان محلًّا للحوادث لا بُدَّ أن يكون حادثًا.

وأما علم النبيّ ﷺ فهو حادث ضرورةَ أن النبيّ نفسه حادث، فوصف النبي ﷺ بأنه يعلم كل الغيب فيه جعل صفة أزلية للنبيّ الذي هو بشر مخلوق، وهذا مستحيل لأن الحادث لا يتصف بصفة أزلية، فالله سبحانه وتعالى وحده يعلم بعلمه الأزليّ كلَّ شيءٍ، يعلمُ ما كان وما يكون وما لا يكون، ولا يقبلُ علمُهُ الزيادةَ ولا النقصانَ، فهو سبحانه وتعالى محيطٌ علمًا بالكائناتِ التي تَحدُثُ إلى ما لا نهاية له، حتى ما يَحدُثُ في الدارِ الآخرةِ التي لا انقطاعَ لها يعلَمُ ذلك جُملةً وتفصيلًا، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[1].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾[2] فمعناه أن أهل السموات وهم الملائكة، وأهلَ الأرض من أنبياء وأولياء فضلًا عن غيرهم، لا يحيطون بشيء من علمه أي معلومه، إلا بما شاء أي إلا بالقدر الذي علَّمهم، هذا الذي يحيطون به.

أما قول الله سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾[3]

---

(١) النساء/ ١٢٦.

(٢) البقرة/ ٢٥٥.

(٣) النمل/ ٦٥.

فالمنفيّ عن الخلق إنما هو عِلْمُ جميع الغيب، أما بعض الغيب فإن الله يُطلِعُ عليه بعضَ الخلق كالأنبياء.

ثم إن الله سبحانه وتعالى تمدّح بكونه عالـمًا بكل شىء بقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] فلو كان يصحّ لغيره تعالى العلم بكلّ شىء لفات معنى التمدّح، ولكان حصرُ علم كل شىء بالله عبثًا لا معنى له، وحاشا أن يكون هذا في القرآن، فإن تقديم الجار والمجرور أعني (بكل شىء) على متعلقه (عليم) يفيد الاختصاص، فَمَنْ يقولُ إن الرسول ﷺ يعلم بكل شىءٍ يعلمه الله، جعل الرسول مساويًا لله في صفة العلم، فيكون كمن قال: الرسول قادر على كل شىء، سواءٌ قال هذا القائل إن الرسول عليه الصلاة والسلام عالم بكل شىء بإعلام الله له أم لا، فلا مَخْلَصَ له من الكفر والعياذ بالله تعالى.

ومما يُرَدُّ به على هؤلاء قول الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[3] قال القرطبيّ: «هذه الآية تمدَّح الله سبحانه وتعالى بها بأنه ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي هو عالم بما غاب عن الخلق، وبما شهدوه. فالغيب مصدر بمعنى الغائب، والشهادة مصدر بمعنى الشاهد، فنبّه سبحانه على انفراده بعلم الغيب والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد»[4]اهـ.

وقال القرطبيّ أيضًا: «فهو العالم بخفيات الصدور وما اشتملت عليه، وبما في

(١) الأنعام/ ١٠١.

(٢) الأنعام/ ٥٩.

(٣) الرعد/ ٨، ٩.

(٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٩/ ٢٨٩).

السموات والأرض وما احتوت عليه، علام الغيوب لا يَعْزُبُ[1] عنه مثقال ذرة ولا يغيب عنه شيء، سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة»[2]اهـ.

ومما يُردُّ به على هؤلاءِ أيضًا قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ** ﴾[3] فإذا كان الرسول ﷺ بنصّ هذه الآية لا يعلم جميع تفاصيل ما يفعله الله به وبأمته، وليس المراد من الآية أن النبي لا يعلم هل سيدخل الجنة أم لا، فكيف يتجرأ مُتَجرّئ على قول: إن الرسول يعلم كل شيء، فقائل هذه المقالة قد غلا الغلوّ الذي نهى الله ورسوله عنه. قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ** ﴾[4]، وقال رسول الله ﷺ: «**إياكُم والغُلوَّ في الدين، فإنما أهلَكَ من كان قبلَكُم الغُلوُّ في الدين**»[5] رواه ابن حبان، وقد صحّ أن الرسول ﷺ قال: «**يا أيها الناس عليكم بتقواكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشيطان، أنا محمدُ بنُ عبدِ الله عبدُ الله ورسولُه، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منـزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجلَّ**»[6].

وروى البخاريّ في الجامع من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم محشورونَ حفاةً عُراةً غُرلًا**، ثم قرأ: ﴿ **كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ** ﴾[7] **وأولُ من يُكْسى**[8] **يوم القيامة إبراهيم، وإن أُناسًا**

---

(١) عَزَبَ: بعُد وغاب، وبابه دخل وجلس. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة: ع ز ب، (ص ٤٣٢).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (٤/ ٥٨).

(٣) الأحقاف/ ٩.

(٤) المائدة/ ٧٧.

(٥) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، باب رمي جمرة العقبة، (٩/ ١٨٣).

(٦) **مسند أحمد**، أحمد، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، (٣/ ١٥٣)، رقم ١٢٥٧٣.

(٧) الأنبياء/ ١٠٤.

(٨) «قوله: «**وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام**» وروى البيهقيّ في الأسماء من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعًا: «**وأول من يكسى من الجنة إبراهيم يكسى حلة** =

من أصحابي يُؤخذُ بهم ذات الشمالِ، فأقولُ: أصحابي، فيُقالُ: إنهم لم يزالوا مرتدّينَ على أعقابِهم منذ فارقتهم، فأقولُ كما قال العبدُ الصَّالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1] »[2].

ومن أعجب ما ظهر من هؤلاء الغُلاةِ لـمَّا قيل لأحدهم: كيف تقول الرسول يعلم كلّ شيء يعلمه الله، وقد أرسل سبعين من أصحابه إلى قبيلة ليُعلّموهم الدين فاعترضتهم بعض القبائل فحصدوهم، فلو كان يعلم أنه يحصل لهم هذا هل كان يرسلهم إلى الهلاك؟ فقال: نعم، يرسلهم مع علمه بذلك. ومثلُ هذا الغالي في شدة الغُلوّ رجل كان يدَّعي أنه شيخ أربع طرق فقال: الرسول ﷺ هو المراد بهذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] وهذا من أكفر الكفر، لأنه جعل الرسول الذي هو بَشَرٌ من خَلْقِ الله أزليًّا أبديًا، لأن الأول في هذه الآية هو الذي ليس لوجوده بداية وهذا وصفٌ خاص بالله تعالى فقط.

=**من الجنة**»اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٣٨٩، ٣٩٠). وليس المعنى أنه يكون عاريًا، وكذا كل الأنبياء لا يبعثون عراة.

(١) المائدة/ ١١٧، ١١٨.

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ الله تَعَالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء]، (٤/ ١٦٩)، رقم ٣٣٤٩.

(٣) الحديد/ ٣.

الفصل الرابع:
رد ما يفترى عليه ﷺ أنه يخطئ في التشريع والعياذ بالله

لقد ابتليت الأمة المحمدية على مرّ العصور بالكثير من الخارجين عن جادّة الصواب الذين حرّفوا دين الله، وفسَّروا النصوص الشرعية على هواهم، فأوقعوا بعض ضعفاء الأفهام في المهالك والضلال، زاعمين أنَّ لهم المقدرة على الاجتهاد واستنباط الأحكام، مدّعين أن تغيُّر زماننا هذا عن زمان الرسول ﷺ يقتضي اجتهادًا جديدًا مخالفًا لِـما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح، موافقًا لعصرنا الحاليّ الذي هو عصر التطور والحضارة، فلا بد على زعمهم من أن يكون الاجتهاد اليوم بما يوافق «التكنولوجيا» الحديثة، وهل تطور الحياة العصرية يتطلّب أن نغيّر ديننا أو أن نحوّر الأحكام ونحرّفها لتتلاءم مع هوى البعض؟!.

مخالفة القرضاويّ لإجماع الأمة

ومن أخطر مموّهي هذا العصر الدكتور يوسف القرضاويّ الذي أصدر الكثيرمن الفتاوى المخالفة للشريعة الإسلامية، وفي هذا الموضع سنبيّن بعض ما خرج به عن دائرة أهل الحق وخالف فيه القرآن والسنّة وإجماع الأمة.

ففي حلقة تلفزيونية على قناة الجزيرة ١٢/ ٩/ ١٩٩٩ قال القرضاوي:«إن النبيّ ﷺ كان يجتهد أحيانًا ويخطئ في اجتهاده، وقد استدلّ بزعمه بحديث أن شخصًا سأل النبيّ عليه الصلاة والسلام عن الشهادة فقال ﷺ: «**يُغفر للشهيد كلّ ذنب**»، ثم بعد أن تولّى الرجل ناداه فقال له: «**إلا الدَّيْن**»[1] فاعتبر القرضاوي

(١) **شرح السنة**، البغويّ (٨/ ٢٠٠)، وتمام الرواية: «عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاريّ،=

أنه أخطأ بالأولى، ونبّهه جبريل إلى ذلك فاستثنى.

وهذا جهل فاضح في فهم النصوص الشرعية، وتكذيب لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾[1]. وبيان ذلك أن الكلام الأول كان بوحي وكذا الثاني كان بوحي، وليس عن اجتهاد أخطأ فيه كما ادّعى القرضاوي، وكذلك أخذ النبيّ ﷺ للفداء من أسارى بدر كان بتخيير من جبريل بين قتل الكفار وبين الفداء، كما رواه ابن حبان[2]، إذًا فلا حجة لمن ادّعى أنه يجوز الخطأ عليه ﷺ في اجتهاده.

وأما الاستدلال في إثبات جواز الخطأ عليه ﷺ بقوله ﷺ: «**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذ فإنما أقطع له قطعة من النار**»[3] رواه البخاريّ.

فيجاب عنه بأنه ﷺ يقضي في مثل ذلك بناءً على ما يظهر له عند القضاء بحسب حكم الشرع، والله لم يكلّفه أن يطّلع على الغيب ويحكم بمقتضاه، فتبيّن أنه لا يجوز الخطأ عليه ﷺ في الحكم الشرعيّ، كذلك لا يجوز عليه الخطأ في

=عن أبيه أنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله صابرًا محتسبًا مقبلًا غيرَ مدبر يكفّر الله عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فلمّا أدبر، ناداه رسول الله ﷺ، أو أمر به فنودي فقال رسول الله ﷺ: «**كيف قلت؟**» فأعاد عليه قوله، فقال النبي ﷺ: «**نعم إلا الدَّيْن، كذلك قال: جبريل**». هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم عن قتيبة عن ليث عن سعيد المقبريّ. وروي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن**»اهـ.

(١) النجم/ ٣، ٤.

(٢) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٧/ ١٤٣).

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب المظالم، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت، (٩/ ٣٢)، رقم ٦٩٦٧.

إخباره بأنّ كذا فيه شفاء، كقوله عليه الصلاة والسلام لرجل استطلق بطن[1] أخيه «**اسقه عسلًا**»[2]، فإن تجويز الخطأ عليه في مثل ذلك فيه نسبة ما يضر الأمة إليه ﷺ، وذلك لا يجوز في حقّه، وللعلماء في أمر المسهول بسقي العسل تأويلات ومعانٍ حسنة تطلب من مظانّها[3] وأما الخطأ في غير التشريع فجائز عليه إن كان من غير وحي، وذلك في الأمور الدنيوية التي ليست بوحي فقد يخطئ في مثل هذا كما ورد في تأبير[4] النخل[5].

النبيّ لا يخطئ في التشريع

والحاصل أن كلَّ قول يؤدي إلى تجويز الخطأ على النبي في الأحكام الشرعية مردود لا دليل عليه، إنما هي شُبَهٌ يتعلّق بحبالها الواهية من أراد أن ينقض عرى الدين، ويهدم أحكامه، ففي القول بذلك إيهام للجهّال وتشكيك في ما يقوله رسول الله عليه الصلاة والسلام هل هو موافق للحقّ أم لا، وهذا مؤدّاه سَوْق الناس إلى الإلحاد. قال بدر الدين الزركشيّ في كتاب تشنيف المسامع بعد حكاية كلام السبكي - الصواب أن اجتهاده عليه الصلاة والسلام لا يخطئ-: «إذا

(١) «استِطْلاقُ البَطْنِ: مشْيُهُ وخُروجُ ما فيهِ، وهو الإسهال، ومنه الحديث: «**إنّ رجُلًا استَطْلَقَ بطنُه**»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ط ل ق، (٢٦/ ١٠١).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الطبّ، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل]، (٧/ ١٥٩)، رقم ٥٦٨٤.

(٣) **كشف المشكل**، ابن الجوزي، (٧/ ١٧٣). **فتح الباري**، ابن حجر، (١٠/ ١٦٩).

(٤) «أَبَرَ النَّخْلَ والزَّرْعَ يَأْبُره بالضَّمّ، ويَأبِره بالكسر أَبْرًا، بفَتْح فسكُون، وإِبَارًا وإِبارةً بكسرِهما: أَصْلَحه، كأبره تَأْبِيرًا. والآبِرُ: العامِل. والمأبور: الزرعُ والنَّخْلُ المَصْلَحُ»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: أ ب ر، (١٠/ ٥).

(٥) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، (٧/ ٩٥).

جوَّزنا الاجتهاد على النبي ﷺ فالصواب أنه لا يخطئ اجتهاده، وهذا هو الحق وعليه جرى البيضاوي»[1]اهـ.

هذا وقد قال العلامة ابن أمير الحاج[2] في كتابه «التقرير والتحبير» ما نصّه: «وقيل بامتناعه أي جواز الخطأ على اجتهاده نقله في الكشف وغيره عن أكثر العلماء وقال الإمام الرازي والصفي الهندي[3] إنه الحق، وجزم به الحليمي والبيضاوي وذكر السبكي أنه الصواب وأن الشافعي نص عليه في مواضع من الأم لأنه أولى بالعصمة عن الخطأ من الإجماع، لأن عصمته أي الإجماع عن الخطأ لنسبته إليه أي إلى النبيّ ﷺ، وللزوم جواز الأمر باتباع الخطأ لأننا مأمورون باتباعه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[4] إلى غير ذلك»[5]اهـ.

وقال أيضًا ما نصّه: «وقيل: كان له الاجتهاد في الأمور الدنيوية والحروب دون الأحكام الشرعية، حكاه في «شرح البديع»، وقيل: كان له الاجتهاد في الحروب فقط، وهو محكيّ عن القاضي والجبائيّ[6] لقوله تعالى: ﴿ **عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ**

(١) **تشنيف المسامع**، الزركشيّ، (٤/ ٩٧٥).

(٢) موسى بن محمد التبريزيّ (ت ٧٣٣ هـ)، أبو الفتح، مصلح الدين المعروف بابن أمير الحاج، فقيه حنفيّ. زار دمشق سنة ٧١٠ هـ وسنة ٧٢٦ هـ ومرّ بالقاهرة. وتوفي بوادي بني سالم في طريق الحجاز وهو قاصد زيارة قبر الرسول ﷺ بعد أداء الحج. له: (الرفيع في شرح البديع لابن الساعاتي) في الأصول، و(التقرير والتحبير) كذلك في الأصول. **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ٣٢٨).

(٣) محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأُرمَوِيّ، أبو عبد الله، صفي الدين الهندي، فقيه أصولي، ولد بالهند وطوَّف بالبلاد إلى أن استوطن دمشق وتوفي فيها، له مصنفات منها: (نهاية السول إلى علم الأصول)، و(الفائق في أصول الدين)، و(الزبدة في علم الكلام)، توفي سنة ٧١٥هـ. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٢٠٠).

(٤) آل عمران/ ٣١.

(٥) **التقرير والتحبير**، ابن أمير الحاج، (٣/ ٣٠٠).

(٦) محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ، أبو عليّ (ت ٣٠٣هـ)، من أئمة المعتزلة في عصره=

أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾[1]، فعوتب على الإذن لِـمَـا ظهر مِن نفاقهم في التخلُّف عن غزوة تبوك، ولا يكون العتاب في ما صدر عن وحي فيكون عن اجتهاد لامتناع الإذن فيه تشهّيًا، ودفعه السبكيّ بأنّ غير واحد قال إنه ﷺ كان مخيّرًا في الإذن وعدمه، فما ارتكب إلا صوابًا، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ** ﴾[2] فلـمّا أذن لهم أعلمه الله بما لم يطّلع عليه مِن شرّهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا، وأنه لا حرج عليه في ما فعل ولا خطأ. قال القشيريّ: ومن قال العفو لا يكون إلا عن ذنب فهو غير عارف بكلام العرب، وإنما معنى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾[3] لم يلزمك ذنبًا كما عفا عن صدقة الخيل ولم يجب عليهم ذلك قط»[4]اهـ.

حديثان في الرد على القرضاوي

ومن أقوى الردود على القرضاويّ قول النبيّ عليه الصلاة والسلام: «**ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع غيرَ النبي**»[5] أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير

=وإليه نسبة الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، وقد ردّ عليه الإمام الأشعريّ رضي الله عنه. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٢٥٦).

(١) التوبة/ ٤٣.

(٢) النور/ ٦٢.

(٣) التوبة/ ٤٣.

(٤) **التقرير والتحبير**، ابن أمير الحاج، (٣/ ٣٩٥).

(٥) **المعجم الكبير**، الطبراني، (١١/ ٣٣٩).

وحسّنه زين الدين العراقيّ[١] في تخريجه أحاديث إحياء علوم الدين[٢]، وهذا صريح في أن الرسول ﷺ لا يخطئ في اجتهاده كما قد يخطئ أفراد الأمة، ويستثنى من ذلك إجماع الأمة فإنه لا يكون خطأً لدليلٍ حديثيّ آخر: «**إن الله لا يجمع أمتي** -أو قال **أمة محمد** ﷺ- **على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار**»[٣] رواه الترمذيّ وغيره.

فكيف يتجرأ بعض الناس ممن يدعون العلم ويتصدرون المجالس وكراسي أهل الفكر، على قول إن الرسول محمدًا ﷺ يخطئ في التشريع، والله ما سبّبَ ذلك لهم إلا هوى النفس والقراءة في الكتب من غير معلّم وتلقّ معتبر، وما جرَّأهم على ذلك سوى سكوت كثير من العلماء عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من أمثال هؤلاء المتعالمين المتفيقهين.

ومن يقول هذه المقالة فقد فتح باب الشك على الناس في دينهم، وفي مصداقية أحاديث نبيّهم الثابتة عنه، ونسب قلة الأمانة في تبليغ الدين من قِبَل نبيّنا محمد ﷺ، نعوذ بالله من سواد القلب وعمى الفكر وسوء الحال وشؤم المنقلب.

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل (ت ٨٠٦ هـ)، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقيّ، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان (من أعمال إربل) تحوّل صغيرًا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة. من كتبه: (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار) في تخريج أحاديث الإحياء، و(نكت منهاج البيضاويّ) في الأصول، و(ذيل على الميزان)، و(الألفية) في مصطلح الحديث وشرحها، و(نظم الدرر السنية) منظومة في السيرة النبوية، و(التقييد والإيضاح) في مصطلح الحديث. **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ٣٤٤، ٣٤٥).

(٢) **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، الحافظ العراقيّ، (١/ ١٥٢).

(٣) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، (٤/ ٤٦٦)، رقم ٢١٦٧.

الفصل الخامس:
رد ما يفترى عليه ﷺ بأنه كان متعلق القلب بالنساء والعياذ بالله

إذا نظرنا إلى دعوة النبيّ عليه الصلاة والسلام، وإلى ما صنعه هذا النبيُّ العظيم في حياته، وإلى هذه الدولة الإسلامية التي امتدت بعد قرن واحد من وفاته إلى بلاد الصين شرقًا، وإلى بلاد الأندلس غربًا، بعد هذا من ذا الذي يقول إن هذا نتيجة عمل رجل معلَّق القلب بالنساء.

لم تظهر من نبينا رذيلة قط

لو كان كما يفتري عليه الملحدون وَلوعًا بالنساء، لظهرت منه رذيلة بل رذائل كثيرة، ولكان أهل بلده طعنوا فيه بذلك حين أعلن دعوته ودعاهم إلى عبادة الله وحده وترْكِ ما كانوا يعبدونه من الأوثان التي كان عليها آباؤهم وأجدادهم وشقّ عليهم دعواه لهم، وكانوا اكتفوا بالتشنيع عليه بذلك عن غيره من أساليب الإيذاء له ولمن آمن به. ولم يُسمع عنه أنه كان يلهو كما يلهو الفتيان، بل عُرِفَ بالطهر والأمانة، واشتُهر بالجِدّ والرصانة، ولم يقل أحد: تعالَوا يا قوم فانظروا هذا الرجل يدعوكم اليوم إلى الطهارة والعفة ونبذ الشهوات وهو منغمس فيها يتقلّبُ بين أشكالها وصنوفها.

ولم يتزوج عليه الصلاة والسلام إلا بعد أن صار عمره خمسة وعشرين عامًا، فبنى بأولى زوجاته السيدة خديجة رضي الله عنها وكانت تبلغ من العمر نحو الأربعين، ثم ماتت زوجته حين بلغ من العمر خمسين سنة ولم يكن تحته غيرها.

فلو كان النبيّ ﷺ معلَّق القلب بالنساء، لكان أعرض عن السيدة خديجة إلى الفتيات الأبكار، أو جَمَعَ بعد وفاة خديجة الشابّات اللاتي اشتهرن بالجمال في مكة

والمدينة والجزيرة العربية، فَيُسْرِعْنَ إليه راضيات فخورات، وأولياء أمورهن أرضى منهن وأفخر بهذه المصاهرة التي لا تعلوها مصاهرة.

النبيّ عليه الصلاة والسلام ما عدد الزوجات إلا بعد الخمسين

ليعلم أن النبي لم يعدّد الزواج إلا بعد أن بلغ عمره خمسين سنة، ولو كان الأمر كما يقولون، لكان عدَّد الزواج قبل أن يبلغ هذا العمر، ولو كان وَلوعًا شغوفًا بحبّ النساء لاختار الفتيات الأبكار فقط، ولكنه لم يتزوج بكرًا قطّ غير السيدة عائشة رضي الله عنها، ثم تعديده لم يكن لإشباع الشهوة بل لحِكَم تعود إلى مصالح دعوته الإسلامية، فخصّصه الله تعالى دون أمته بأن أباح له أنَّ يجمع بين أكثر من أربع من الزوجات.

ومن الدليل على أنه لم يكن معلَّق القلب بالنساء، ما رواه مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة أنها قالت: «ما كانت تمرّ ليلتي على رسول الله عليه السلام إلا خرج إلى البقيع -أي جبانة المدينة- يدعو لأهل الجبانة»[1]. مع ما اجتمع في السيدة عائشة من حداثة السن والجمال.

فإن سأل سائل: لماذا تزوج النبي ﷺ بأكثر من واحدة؟ فالجواب أن هذا كان بأمر الله، لا لدوافع شهوانية أو علائق دنيوية، فقد كان عليه الصلاة والسلام منشغلًا بتبليغ الدعوة، والجهاد فى سبيل الله، واستقبال الوفود، والتصدّي لمؤامرات اليهود والمنافقين والقبائل المجاورة، وغير ذلك. هذا فضلًا عن حياة الزهد التى كان يحياها، فقد ورد في سيرة النبي ﷺ أنه كان يقوم الليل حتى

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، (٣/ ٦٣)، رقم ٢٢٩٩.

تتفطر[1] قدماه[2]، كما أنه ﷺ كان يربط على بطنه حجرين من الجوع أحيانًا، وتمرّ ثلاثة أَهِلَّة من غير أن يُوقَد في بيته نار، مع ما ينضاف إلى ذلك من كثرة صيامه ﷺ، ثم إنَّ نساء رسول الله ﷺ رضي الله عنهنَّ كنَّ كلّهنَّ كبيرات السن مطلقات أو أرامل، ما عدا السيدة عائشة، حتى إن بعضهنَّ كنَّ أَسَنّ منه، وهنَّ: السيدة خديجة، والسيدة سودة[3]، والسيدة زينب[4] بنت خُزَيمة، مع كونهنّ ثيّبات -أي كنّ متزوّجات من قبل-.

الحِكم في تعدد زوجات النبي ﷺ

من الحكم في ذلك انتشار شريعة الإسلام بطريق النساء إلى النساء، فإن الأحكام الفقهية الخاصة بالنساء يسهل انتشارها بينهن من بعضهن لبعض أكثر مما لو كان بطريق الرجال إليهن، وذلك كمسائل الحيض والنفاس والجماع ونحو ذلك. ومنها جمعُ شتات القبائل بالمصاهرة. إلى غير ذلك مما يؤيد مشروعيةَ تعدد أزواج النبي عليه السلام.

---

(١) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، (٣/ ٣٣٨). وفيه: «أنه قام رسول الله ﷺ حتى تَفَطَّرتْ قدماه» أي تشقَّقَت. يقال: تَفَطَّرت وانْفَطرت بمعنى»اهـ. ولكن بحيث لا يضرُّ نفسه ﷺ.

(٢) أي بدون أذى.

(٣) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية هي زوج النبي ﷺ، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة، وأسنت عند رسول الله ﷺ ولم تصب منه ولدًا إلى أن مات اهـ. **أسد الغابة**، ابن الأثير، (٧/ ١٧٥).

(٤) زينب بِنْت خزيمة بن الحَارِث بن عَبْد الله بن عَمْرو بن عَبْد مناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة الهلالية، زوج النَّبِيّ ﷺ، يقال لها: أم المساكين، لكثرة إطعامها للمساكين وصدقتها عليهم. وكانت تحت عَبْد الله بن جحش، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها رسول الله ﷺ. تزوجها رسول الله ﷺ بعد حفصة. **أسد الغابة**، ابن الأثير، (٣/ ٣٥٩).

رد ما يـفترى عليه ﷺ بأنه احتال على زيد بن حارثة ليأخذ منه زوجته زينب بنت جحش والعياذ بالله

طعن بعض الكفّار فيه ﷺ بقولهم: إن محمدًا احتال على زيد بن حارثة لـمَّا علقت نفسه بزوجته زينب بنت جحش حتى توصّل لزواجها.

وأول ما يُقال في الجواب عن ذلك: أن معرفة النبي ﷺ بالسيدة زينب لم تكن جديدة لأنها بنت عمته، وأمها أُميمة[1] بنت عبد المطلب، وقد كان رسول الله ﷺ أراد أن يزوّجها زيد بن حارثة مولاه رضي الله عنه، فكرهت ذلك ثم رضيت بما صنع رسول الله عليه الصلاة والسلام فزوّجها إياه، ثم أعلم الله عزَّ وجلَّ نبيّه صلوات الله وسلامه عليه أنها ستكون من أزواجه في المستقبل، فكان ﷺ يستحي أن يأمره بطلاقها، وتواصل الصدود بين زيد وزينب على ما يجري مع الناس عادة، فأمره رسول الله ﷺ أن يُمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناسَ أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوّج امرأة ابنه، وكان قد تبنّى زيدًا قبل أن ينـزل حكم تحريم التبنّي، فكان مما قاله زيد: يا رسول الله، إن زينب اشتدّ عليَّ لسانها، وأنا أريد أن أطلّقها، فقال له: «**اتق الله، وأمسك عليك زوجك**»[2]، ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾[3] كما قال ابن حجر: «أن الذي

---

(١) أميمة بنت عبد المطلب كانت عند جحش بن رئاب ، وولدت له عبدَ الله بن جحش قتل يوم أحد ومثَّل به المشركون، وأبا أحمد الأعمى الشاعر واسمه عبد، وزينبَ زوج النبي ﷺ، وأمَّ حبيبة وحمنة، كلهم له صحبة، وعبيد الله بن جحش، أسلم ثم ارتدّ ومات بالحبشة كافرًا. **نسب قريش**، المصعب الزبيري، (١/ ٩١). **نهاية الأرب في فنون العرب**، النويريّ، (١٨/ ١٤٨).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ۝٧﴾ [هود]، (٩/ ١٥٢).

(٣) الأحزاب/ ٣٧.

كان يخفيه النبيّ ﷺ هو إخبار الله إياه (إعلام الله له) أنها ستصير زوجته»[١]اهـ. أي بوحي غير قرآن[٢]، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوّج امرأة ابنه، وأراد الله إبطالَ ما كان عليه الناس قبل البعثة من أحكام التبنّي بأمر لا أبلغَ في الإبطال منه، وهو تزوّج امرأة الذي يُدعى ابنًا له، ثم لَـمَّا أنزل الله في ذلك قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[٣] أظهر ذلك فتلاه على الناس قرآنـا.

وقد أجاد الإمام أبو حيان الأندلسي في بيان هذه الحادثة في تفسيره مفصّلًا فقال: «قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[٤] ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، ﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام، وهو أجلّ النعم وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي كان الرسول عليه الصلاة والسلام تبناه، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ وهو عتقُه، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهي زينب بنت جحش، وتقدم أنَّ الرسول ﷺ قد خطبها له. وقيل: أنعم الله عليه بصحبتك ومودتك، وأنعمتَ عليه بتبنّيه. فجاء زيد فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: «**أرابك منها شيء؟**» قال: لا والله، ولكنها تعظم عليَّ لشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**» أي لا تطلقها، وهو أمر ندب، «**وَاتَّقِ الله في معاشرتها**» فطلَّقها، وتزوجها رسول الله ﷺ بعد انقضاء عدّتها. وعلَّل تزويجه إياها بقوله: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ في أن يتزوّجوا زوجات من كانوا يتبنّونهم إذا فارقوهن، وأن هؤلاء الزوجات لسن داخلات

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (٨/ ٥٢٤).

(٢) وذلك أنه كان يبلّغ ما أُنزِلَ من القرآن فورًا، أما هذا فلم يؤمر ﷺ بتبليغه.

(٣) الأحزاب/ ٣٧.

(٤) الأحزاب/ ٣٧.

في ما حرّم في قوله سبحانه: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾[1]. وقال عليّ بن الحسين رضي الله عنه: كان قد أوحى الله إليه أن زيدًا سيطلّقها، وأنه يتزوّجها بتزويج الله إياها، فلمّا شكا زيدٌ خُلقَها وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ الله**» على طريق الأدب والوصية، وهو يعلم أنه سيطلقها، وهذا هو الذي أَخْفَى في نفسه ولم يرد أنه يأمره بالطلاق. ولـمَّا علم منه أنه سيطلقها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد أباحه الله بأن قال: ﴿أَمْسِكْ﴾ مع علمه أنه يطلق، فأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال. وهذا المرويّ عن عليّ بن الحسين هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزُّهريّ وبكر بن العلاء والقشيريّ والقاضي أبي بكر بن العربيّ وغيرهم. والمراد بقوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين في تزويج نساء الأبناء، والنبيُّ ﷺ معصوم في حركاته وسكناته. ولبعض المفسرين كلام في الآية يقتضي النقص من منصب النبوة ضربنا عنه صفحًا. وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[2] يقول أبو حيان في تفسيره: «ولـمَّا نفى الحرج عن المؤمنين في ما ذكر، واندرج الرسول ﷺ فيهم إذ هو سيد المؤمنين، نفى عنه الحرج بخصوصه، وذلك على سبيل التكريم والتشريف، ونفى الحرج عنه مرتين، إحداهما بالاندراج في العموم والأخرى بالخصوص. ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ قال الحسن: في ما خص به من صحة النكاح بلا صداق. وقال قتادة: في ما أحل له. وقال الضحاك: في الزيادة على الأربع، وكانت اليهود عابوه بكثرة النكاح وكثرة الأزواج، فردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾[3]: أي في الأنبياء بكثرة النساء، حتى كان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية، وكان لداود

(١) النساء/ ٢٣.

(٢) الأحزاب/ ٣٨.

(٣) الأحزاب/ ٦٢.

مائة امرأة وثلاثمائة سرية[1]». انتهى كلام أبي حيان الأندلسيّ.

والخلاصة أن زينب بنت جحش رضي الله عنها ابنة عمة رسول الله ﷺ، وكان يعرفها منذ صغرها، فما كان رسول الله ﷺ ليحتال حيلة يفرق بها بينها وبين زيد بن حارثة حتى يتزوجها هو، فلو كان يريدها لنفسه لتزوجها ابتداء ولم يأمر زيدًا بالزواج بها. وفي أمر زواج النبي ﷺ لها حكمة تأكيد تحريم التبني في الإسلام بأوضح طريق وأدلّ صورة.

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٧/ ٢٢٦).

الفصل السادس:
رد ما يُفترى عليه ﷺ بأنه أراد الانتحار بعد فتور الوحي عنه والعياذ بالله

إرادة الانتحار تنافي النبوة

من الكفر الشنيع قولُ بعض الناس في حديث فتور الوحي: إنَّ النبيَّ أراد الانتحار أكثر من مرةٍ، معتمدين على حديث فهموه على غير وجهه، فمن زعم أنه كان أراد أن ينتحر فهو كافر. فليس معنى الحديث أنه أراد أن ينتحر لأن إرادة الانتحار تتنافى مع العصمة، فالأنبياء معصومون عن الكبائر وعن الهمّ بها.

فليَحذرْ مَنْ رأى هذا التأويل الفاسد لهذا الحديث، فقد نقله الحافظ ابن حجر عن بعض المحدّثين من غير إقرار منه، واعتقاد هذا المعنى الفاسد كفرٌ وإلحاد، لأن الانتحار أكبر المعاصي بعد الكفر، فلا يُتصوَّر حصوله من الرسول عليه الصلاة والسلام، لا سيما وجبريل يقول له: «يا محمد أنتَ رسولُ الله حقًّا».

فلا يجوز اعتقاد أن الرسول ﷺ كان يريد أن يقتل نفسه بإلقاء نفسه من ذِروة الجبل، إنما كان يقصد أن يخفّ عنه الوجْدُ الذي لحقه بفتور الوحي عنه تلك المدة، وهو يعلم أنه لا ينضرّ بذلك الإلقاء.

والحديث رواه البخاريّ رحمه الله من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، فقال: عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت بعد سرد حديث طويل: **«ثم لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أن تُوُفِّيَ وَفَتَرَ[1] الوحيُ فترةً حتى حزن النبيُّ ﷺ في ما بلغنا**

(١) «فَتَرَ الشيءُ والحرُّ، وفُلانٌ يَفْتُر ويَفْتِر، من حَدّ نَصَرَ وضَرَبَ فُتُورًا كقُعُودٍ، وفُتَارًا كغُرَاب: سَكَنَ بَعْدَ حِدَّةٍ ولاَنَ بَعْدَ شِدَّةٍ»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ف ت ر، (١٣/ ٢٩٢، ٢٩٣).

حزنًا غدا منه مرارًا كي يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه، تبدّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًّا. فيسكن لذلك جأشه، وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فقال له مثل ذلك»[1]اهـ.

ثم إن هذا اللفظ المرويّ أي من قوله: «فترة» إلى قوله: «حتى حزن» هو من مرسلات[2] الزهري، وقد أشار إلى ذلك ابن حجر العسقلاني في الفتح فقال: «إن القائل -في ما بلغنا- هو الزهريّ، ومعنى الكلام: أن في جملة ما وَصَلَ إلينا من خبر رسول الله في هذه القصة وهو من بلاغات الزهريّ وليس موصولًا»[3]اهـ.

وقال يحيى القطان[4]: «مرسل الزهريّ شر من مرسل غيره، لأنه حافظ، وكلما يقدر أن يسمي سمى، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه»[5]اهـ.

وقد روى ابن سعد[6] في الطبقات: «أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني إبراهيم

---

(١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، (٩/ ٣٨).

(٢) «اتفق علماء الطوائف أن قول التابعيّ الكبير قال رسول الله ﷺ كذا أو فعله يسمى مرسلًا، فإن انقطع قبل التابعي واحد أو أكثر قال الحاكم وغيره من المحدثين: لا يسمى مرسلًا، بل يختص المرسل بالتابعيّ عن النبي ﷺ، فإن سقط قبله فهومنقطع وإن كان أكثر فهومعضل ومنقطع»اهـ. **تدريب الراوي**، السيوطي، (١/ ٥٩١).

(٣) **فتح الباري**، ابن حجر، (١٦/ ٢٩٠).

(٤) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميميّ البصريّ (ت ١٩٨ هـ)، أبو سعيد، من حفاظ الحديث ثقة حجة. ولد في أول سنة مائة وعشرين، سمع سليمان التيمي وهشام بن عروة وعطاء بن السائب وخلقًا كثيرًا، وروى عنه سفيان وشعبة ومعتمر بن سليمان وخلق كثير، ولم يعرف له تأليف إلا ما في كشف الظنون من أن له كتاب «المغازي». وقال أحمد بن حنبل: «ما رأيت بعيني مثل يحيى القطان»اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، (٩/ ١٧٥). **الأعلام**، الزركلي، (٨/ ١٤٧).

(٥) **شرح علل الترمذيّ**، ابن رجب، (١/ ٢٨٤).

(٦) محمد بن سعد بن منيع الزهريّ (ت ٢٣٠هـ)، أبو عبد الله، مؤرخ ثقة، من حفاظ=

ابن محمد بن أبي موسى عن داود بن الحصين عن أبي غطفان بن طريف عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لـمّا نزل عليه الوحي بحراء، مكث أيامًا لا يرى جبريل عليه السلام، فحزن حزنًا شديدًا، حتى كان يغدو إلى ثَبِير مرة، وإلى حراء مرةً، يريد أن يلقي نفسه منه، فبينا رسول الله ﷺ كذلك عامدًا لبعض تلك الجبال، إلى أن سمع صوتًا من السماء، فوقف رسول الله ﷺ صعقًا للصوت، ثم رفع رأسه: فإذا جبريل على كرسيّ بين السماء والأرض متربعًا عليه، يقول: «**يا محمد، أنت رسول الله حقًّا، وأنا جبريل**». وهذه الرواية عن طريق محمد بن عمر الواقديّ[1] وهو متروك الحديث، قال عنه البخاريّ: «ما عندي للواقدي حرف، وما عرفت من حديثه فلا أقنع به»[2]اهـ.

قال عنه الذهبي في ترجمته: «لم أَسُقْ ترجمته هنا لاتفاقهم على ترك حديثه، وهو من أوعية العلم لكنه لا يتقن الحديث، وهو رأس في المغازي والسير، ويروي عن كل ضرب. مات سنة سبع ومائتين، حمل عن ابن عجلان وابن جريج ومعمر وهذه الطبقة، ولي قضاء بغداد، وكان له رئاسة وجلالة، وصورة عظيمة. عاش ثمانيَ وسبعين سنة»[3]اهـ.

=الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. وصحب الواقديّ المؤرخ زمانًا فكتب له وروى عنه وعرف بكاتب الواقديّ. قال الخطيب في تاريخ بغداد: «محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته»اهـ. أشهر كتبه: (طبقات الصحابة) يعرف بطبقات ابن سعد والطبقات الكبرى. **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ١٣٦، ١٣٧).

(١) محمد بن عمر بن واقد السهميّ الأسلميّ بالولاء، المدنيّ، أبو عبد الله الواقديّ (ت ٢٠٧ هـ)، ولد بالمدينة وكان حناطًا -تاجر حنطة- بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ، من كتبه: (المغازي النبوية)، و(أخبار مكة)، و(فتوح العراق). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ٣١١).

(٢) **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، ذكر أول ما نزل عليه من القرآن وما قيل له ﷺ. (١/ ١٩٦)، رقم ٤٦٩.

(٣) **تذكرة الحفّاظ**، الذهبيّ، (١/ ٢٥٤).

فتبيّن بذلك أن هذا القول فِرِيَة بلا مِرية، والعجب كيف يُظنّ بسيدنا محمد ﷺ الذي هو إمام الأنبياء وأفضل العالمين الذي يُعلّم الناس الهدى والخير ومصالح دينهم ومعيشتهم كيف يُظن أن يُقدم على الانتحار، فهذا هو الجهل بعينه على دين الله وعلى رسول الله ﷺ.

فنصوص الأحاديث والسيرة النبوية تحتاج إلى تأنّ في فهمها وحملها على الوجه الصحيح كما قرّره أهل التحقيق والنظر، أما قراءتها هكذا من دون تبصُّر وتبيُّن فهو طريق الهاوية، وليس الشأن في مجرد الرواية، بل لا بد من اعتبار الدراية، والله الموفق للصواب.

الفصل السابع:
رد ما يُفترى عليه ﷺ بأنه هرب من مكة إلى المدينة والعياذ بالله

الجبن مستحيل على الأنبياء

لم تكن الهجرة النبويّة هروبًا من قتال، ولا جبنًا عن مواجهة، ولا تخاذلًا عن إحقاق حقّ أو إبطال باطل، ولكنْ هجرة بأمر الله تعالى. فأنبياء الله تعالى يستحيل عليهم الجبن، فهم أشجع خلق الله. وقد أعطى الله نبيّنا محمدًا ﷺ قوّة أربعين رجلًا من الأشدّاء. فالجبن والهرب لا يليقان بأنبياء الله تعالى. قال شيخ الإسلام الحافظ الهرريّ رحمه الله: «فلا يقال عن النبيّ ﷺ «هرب»، لأنّ «هرب» يشعر بالجبن، أمّا إذا قيل هاجر فرارًا من الكفار أي من أذى الكفّار فلا يشعر بالجبن بل ذلك جائز ما فيه نقص»[1]اهـ. وعلى هذا المعنى قول سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾[2].

أما الخوف الطبيعيّ فلا يستحيل عليهم، بل الخوف الطبيعيّ موجود فيهم، وذلك مثل النفور من الحية، فإن طبيعة الإنسان تقتضي النفور من الحية وما أشبه ذلك، مثل التخوف من تكالب الكفار عليهم حتى يقتلوهم.

وقفة مع شجاعة الرسول ﷺ

لقد كان رسول الله ﷺ أشجع الناس على الإطلاق، فقد فرَّت منه جيوش

(١) **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، الهرريّ، (ص ٣٤١).
(٢) الشعراء/ ٢١.

الأعداء وقادة الكفر في كثير من المواجهات الحاسمة، فكان ﷺ يتصدَّر المواقف والمصاعب بقلب ثابت وإيمان راسخ، ويؤكد أنس بن مالك رضي الله عنه ذلك حيث إنه عاين بنفسه كثيرًا من أحوال النبي ﷺ إذ كان خادمه فقال في وصفه ﷺ: «كان أحسنَ الناس وكان أجودَ الناس وكان أشجعَ الناس. ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلقوا قِبَلَ الصوت، فتلقّاهم رسول الله ﷺ وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ، ما عليه سَرج في عنقه سيف، وهو يقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا**» يردّهم، ثمّ قال للفرس «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا**[1]» أو «**إِنَّهُ لَبَحْرٌ**». قال حمّاد: وحدّثني ثابت أو غيره قال: كان فرسًا لأبي طلحة يبطأ فما سُبِقَ بعد ذلك اليوم»[2] رواه البخاريّ ومسلم وابن ماجه[3]. فهذا الموقف يبيّن شجاعته صلوات الله وسلامه عليه، حيث خرج قبل الناس لمعرفة الأمر، وليطمئنهم ويهدّئ من روعهم.

ثم إن الله تبارك وتعالى قد أيده وثبّت قلبه في غير موقف، روى الإمام أحمد وغيره قال: «عن جابر بن عبد الله قال: قاتل رسول الله ﷺ مُحَارِبَ[4] ابن خَصَفَةَ فجاء رجل منهم يقال له: غَوْرَثُ بن الحارث حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله عزَّ وجلَّ**» فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**من يمنعك مني؟**» قال: كن كخير آخذ. قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**» قال: لا، ولكن أعاهدك على ألّا

(١) أي -الفرس- واسع الجري. **فتح الباري**، ابن حجر، (٦/ ٥٣).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا فزعوا بالليل، (٤/ ٨٠)، رقم ٣٠٤٠.

(٣) محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه (ت٢٧٣هـ)، أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والرّيّ في طلب الحديث. وصنف كتابه: (سنن ابن ماجه)، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله (تفسير القرآن) وكتاب في (تاريخ قزوين). **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ١٤٤).

(٤) مُحَارِبُ بنُ خَصَفَةَ بن قَيْس عَيْلانَ من عدنان، جد جاهلي، بنوه بطون من قيس عيلان. والمراد هنا القبيلة. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٢٨١).

أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلَّى سبيله، فأتى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس»[1]اهـ.

من شجاعة النبيّ ﷺ في الحروب والغزوات

من أوصاف النبي محمد ﷺ الشجاعة والنجدة، وكان عليه الصلاة والسلام شجاعًا بالمكان الذي لا يُجهل، وقد حضر المواقف الصعبة، وفرّ الكُماةُ[2] والأشداءُ عنه غير مرة وهو ﷺ ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح.

وأما عن شجاعته وإقدامه في الغزوات والحروب، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم، إذا حمي الوطيس[3] واشتد البأس يحتمون برسول الله ﷺ، يقول سيدنا الإمام عليّ رضي الله عنه: «كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه»[4] رواه أحمد.

ويؤيد ما سبق أيضًا موقفه ﷺ حين تآمر كفار قريش على قتله، وأعدّوا السلاح والرجال للفَتْك به، حتى أحاط بمنـزله قرابة الخمسين رجلًا، فثبت عندها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولم يجبن ولم يفزع، بل نام ولم يضطرب

(١) **مسند أحمد**، أحمد، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه (٣/ ٣٩٠)، رقم ١٥٢٢٧. **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الجهاد: باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، (٤/ ٤٧)، رقم ٢٩١٠. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل: باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس، (٧/ ٦٢)، رقم ٦٠٩٠. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الخروج في النفير، (٤/ ٦٥)، رقم ٢٧٧٢.

(٢) «الكَمِيُّ كغنيّ: الشجاع الجريء، كان عليه سلاح أم لا أو لابس السلاح، وفي الروض: الفارس الذي تستر بالسلاح»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ك م ي، (٣٩/ ٤١٨).

(٣) «الوطيس: التَّنُّورُ. والآن حميَ الوَطيسُ أي: اشْتَدَّتِ الحربُ»اهـ. **البحر المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: و ط س، (١/ ٧٤٨). وقد تقدم.

(٤) **مسند أحمد**، أحمد، مسند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، (١/ ١٥٦)، رقم ١٣٤٦.

هَوْلًا من عديدهم وعُدّتهم، ثم خرج عليهم في منتصف الليل بحزم ورباطة جأش، حاثيًا التراب على وجوههم، ماضيًا في طريقه متوكّلًا على الله تعالى، مخلّفًا ابن عمّه عليًّا عليه رضوان الله مكانه لردّ الأمانات إلى أهلها.

ثم يجلس ﷺ في الغار مع سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، والمشركون حول الغار، وهو يقول لأبي بكر بيقين الواثق بحفظ الله: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] أي أن الله ينصرهما ويحفظهما ويكلؤهما.

وقد صارع رسول الله ﷺ ذات مرة «رُكَانَةَ»[2] المعروف بقوته وشدته في القتال، فصرعه رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه وغلبه[3]، فأي شجاعة وقوة كان يمتلكهما عليه الصلاة والسلام.

ولـمَّا أصاب الصحابة يومَ حنين من الأذى والهزيمة ما أصابهم، فرّ بعضهم من أرض المعركة، أما رسول الله ﷺ فلم يفرَّ، فلقد كان على بغلته البيضاء وأبو سفيان[4] بن الحارث آخذ بلجامها[5] والنبيُّ ﷺ يقول بصوت عالٍ: «**أنا النبيّ**

(١) التوبة/ ٤٠.

(٢) ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبيّ، قال البلاذريّ: «حدثني عباس بن هشام حدثنا أبي عن ابن خربوذ وغيره قالوا: قدم ركانة من سفر فأُخْبِرَ خبر النبيّ ﷺ فلقيه في بعض جبال مكة فقال: يا ابن أخي، بلغني عنك شيء، فإن صرعتني علمت أنك صادق فصارعه فصرعه رسول الله ﷺ. وأسلم ركانة في الفتح»اهـ. وقيل: «إنه أسلم عقب مصارعته»اهـ. قال الزبير: «مات ركانة بالمدينة في خلافة معاوية»اهـ. وقال أبو نعيم: «مات في خلافة عثمان. وقيل عاش إلى سنة إحدى وأربعين»اهـ. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، (٢/ ٤٩٧).

(٣) **سنن أبي داود**، أبو داود، باب في العمائم، (٤/ ٩٥)، رقم ٤٠٨٠.

(٤) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما حليمة السعدية، قال ابن المبارك وإبراهيم بن المنذر وغيرهما: «اسمه المغيرة، وقيل اسمه كنيته والمغيرة أخوه»اهـ. **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ١٧٩).

(٥) «اللّجامُ هي الحدِيدَةُ في فَمِ الفَرَس»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ل ج م، (٣٣/ ٣٩٩).

لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»[١] رواه البخاريّ ومسلم.

وأمّا ما ورد من أن النبي ﷺ كان يقول في دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**»[٢] رواه البخاري في صحيحه، فكان هذا تعليمًا لأمته وحرصًا على الخير لها، وليس معناه أن النبي ﷺ كان جبانًا، فالجبن صفة نقصٍ وذمّ وذلك مستحيل في وصف الأنبياء.

وقد روى الدارميّ[٣] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «ما رأيتُ أحدًا أنجدَ ولا أجودَ ولا أشجعَ ولا أضوأَ[٤] وأَوضأَ[٥] من رسولِ الله ﷺ»[٦]اهـ. والخلاصة أن رسول الله محمد ﷺ هو بطل المعارك الذي تنضوي أسد الغابات تحت لوائه، وهو المعروف بالشجاعة قبل النبوة وبعدها، وهو القدوة والأسوة في الشجاعة والإقدام والتوكل على الله حال السلم والحرب. وكل من يقول غير

---

(١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب بدء الوحي، باب من قاد دابة غيره في الحرب، (٤/ ٣٧)، رقم ٢٨٦٤. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، (٥/ ١٦٧).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الوصايا، باب ما يتعوذ من الجبن، (٩/ ٤٠٤).

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي، أبو محمد، من حفاظ الحديث. سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان من خلق كثير. واستقضي على سمرقند، فقضى قضية واحدة، واستعفى فأعفي.وكان مفسرًا فقيهًا أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند. له: (المسند) في الحديث، و(الجامع الصحيح). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٩٥).

(٤) «ضَاءَ الشيءُ يَضُوءُ ضَوْءًا بالفتح وضُوءًا بالضَّم، وضَاءَت النارُ، وأَضاءَ يُضيءُ، يقال: ضاءَت وأَضاءَت بمعنى، أي استنارَتْ وصارَتْ مُضِيئَةً»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: ض و أ، (١/ ٣١٩).

(٥) «الوَضَاءَةُ: الحسْنُ والنَّظَافَةُ والبَهجَةُ، وقد وَضُؤَ كَكَرُمَ، يَوْضُؤُ وَضَاءَةً»اهـ. **تاج العروس**، الزبيديّ، مادة: و ض أ، (١/ ٤٨٩).

(٦) **سنن الدارمي**، الدارمي، (١/ ٣٠).

ذلك فهو طاعن في رسول الله ﷺ، مكذب لدين الله، وجاهل بالحقيقة التاريخية.

الفصل الثامن
رد ما يُفترى عليه ﷺ بأنه كسر قلب الأعمى والعياذ بالله

ليعلم كما تقدَّم أن الأنبياء الكرام أهل رحمة وشفقة وفضل عظيم، وهم موصوفون بالصِّدْق فيستحيلُ عليهم الكَذبُ، وموصوفون بالفَطَانَة فيستحيلُ عليهمُ البَلادَةُ والغَباوةُ، وتجبُ لهم الأمَانَةُ فيستحيل عليهم الخيانة. والأنبياءُ عليهم السلام سالمون من الكفر والكبائر وصغائر الخِسَّةِ، وهذه هي العِصْمَةُ الواجبةُ لهم، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

ومن الافتراءات الشنيعة على سيدنا محمد ﷺ وصفه بأنه كسر قلب الأعمى الذي جاءه وأنه جرح له شعوره وآلمه، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم لم نجد في حكاية قصة الأعمى ما يُعطي ذلك الوصف، أو تلك التفاصيل المكذوبة.

قصة عبد الله[2] ابن أم مكتوم الأعمى

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾[3].

---

(١) الأنعام/ ٨٦.

(٢) ابن أم مكتوم، عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم (ت ٢٣ هـ)، صحابيٌّ شجاع. كان ضرير البصر. أسلم بمكة وهاجر إلى المدينة بعد وقعة بدر. وكان يؤذن لرسول الله ﷺ في المدينة مع بلال. وكان النبيّ ﷺ يستخلفه على المدينة، يصلي بالناس في عامة غزواته. وحضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع سابغة، فقاتل وهو أعمى ورجع بعدها إلى المدينة فتوفي فيها، قبيل وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٨٣).

(٣) عبس/ ١- ١١.

أخرج الترمذيّ والحاكم وابن حبان عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى»[1] واسمُه عمرو بن قيس، وقيل: عبد الله بن قيس وهو ابن خال السيدة خديجة رضي الله عنها.

ومعنى﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أي قطّب ما بين عينيه[2]، قاله الزبيديّ[3]. ﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾: أي أعرض بوجهه الكريم ﷺ، قاله البخاريّ[4].

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾: «روى أهل التفسير أجمع أن قومًا من أشراف قريش كانوا عند النبيّ ﷺ وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله ابن أم مكتوم، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عبدُ الله عليه كلامه، فأعرض عنه، ففيه نزلت هذه الآية»[5]اهـ. فالنبيّ ﷺ لم يقع بسبب هذا الفعل في معصية، ولم يكسر قلب هذا الصحابيّ ولا آذاه، لكنّ الله عاتبه عتابًا لطيفًا لأنّ المطلوب منه أن يجمع بين المصلحتين مصلحة دعوة هؤلاء للإسلام ومصلحة الاهتمام بعبد الله ابن أم مكتوم. والذين كان رسول الله يناجيهم في أمر الإسلام

---

(١) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٢/ ٢٩٤)، رقم الحديث ٥٣٥. **سنن الترمذي**، الترمذي، (٥/ ٤٣٢)، رقم الحديث ٣٣٣١. **المستدرك**، الحاكم، (٣/ ٧٣٥)، رقم الحديث ٦٦٧١.

(٢) **تاج العروس**، الزبيديّ، (١٦/ ٢٢١).

(٣) الزبيديّ هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينيّ (ت ١٢٠٥ هـ)، أبو الفيض الملقب بمرتضى، علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط في العراق ومولده بالهند ومنشؤه في زبيد باليمن. رحل إلى الحجاز وأقام بمصر، فاشتهر علمه وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر. وزاد اعتقاد الناس فيه، وتوفي بالطاعون في مصر. من كتبه: (تاج العروس في شرح القاموس)، و(إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين)، و(أسانيد الكتب الستة)، و(عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة)، و(كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام)، و(عقد الجمان في بيان شعب الإيمان). **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ٧٠).

(٤) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة عبس، (٦/ ٢٠٦).

(٥) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (١٩/ ٢١١).

هم: عتبة[1] وشيبة[2] ابنا ربيعة، وأبو جهل عمرو بن هشام[3]، وأُبي[4] وأمية[5] ابنا خلف على خلافٍ في بعضهم. وجاء لفظ الأعمى إشعارًا بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله ﷺ للقوم، وللدلالة على ما يناسب من الرفق به والصَّغْوِ لِـمَا يقصده رضي الله عنه. قال القرطبي: «قال الثوريّ: فكان النبيّ بعد ذلك إذا

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (ت ٢هـ)، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفِجار بين هَوَازِنْ وكِنَانَةَ وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده. أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدرًا مع المشركين. وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم «بدر» فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالًا شديدًا، فأحاط به عليّ بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم فقتلوه. **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٢٠٠).

(٢) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس (ت ٢هـ)، من زعماء قريش في الجاهلية. أدرك الإسلام، وقُتِل على الوثنية. وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: ﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ﴾ (الحجر) وهم سبعة عشر رجلًا من قريش، اقتسموا عقبات مكة في بدء ظهور الإسلام، وجعلوا دأبهم في أيام موسم الحج أن يصدّوا الناس عن النبيّ ﷺ ولـمَّا كانت وقعة بدر، حضرها شيبة مع مشركيهم، ونحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم، وقُتِل فيها. **الأعلام**، الزركلي، (٣/ ١٨١).

(٣) أبو جهل، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزوميّ القرشيّ (ت ٢هـ)، أشدّ الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد وجهاء قريش ودهاتها في الجاهلية. أدرك الإسلام، وكان يقال له أبو الحكم فسمّاه المسلمون أبا جهل. واستمر على عناده يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى فشهدها مع المشركين فكان من قتلاها. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٨٧).

(٤) أُبيُّ بن خلف بن وهب بن حذافة (ت ٣هـ)، أحد المشركين المجاهرين بالعداء لرسول الله ﷺ، قتل أخوه أمية يوم بدرٍ وأسر هو. وبعد أسره قال: «إنَّ عندي لفرسًا أعلفها كل يوم أقتل عليها محمَّدًا»اهـ. فبلغت النبيَّ فقال: «**بل أنا أقتله إن شاء الله**»اهـ. فقتله ﷺ يوم أُحُدٍ». **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ابن الجوزي، (٣/ ١٦٧).

(٥) أمية بن خلف بن وهب (ت ٢هـ)، من بني لؤيّ أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن وجهائهم. أدرك الإسلام ولم يسلم. وهو الذي عذّب بلالًا الحبشيَّ في بدء البعثة المحمدية. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحرّضهم على قتله فقتلوه. **الأعلام**، الزركلي، (٢/ ٢٢).

رأى ابنَ أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: «**مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي**» ويقول له: «**هل من حاجة؟**»، واستخلفه مرتين على صلاة الناس في المدينة المنورة في غزوتين من غزواته ﷺ »[1]اهـ.

ثم قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: «أي وما يعلمك لَعَلَّهُ يعني ابن أم مكتوم يَزَّكَّى بما استدعى منك تعليمه إياه من القرآن والدين، بأن يزداد طهارة في دينه، وزوال ظلمة الجهل عنه. وقيل: الضمير في ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ للكافر يعني إنك إذا طمعت في أن يتزكى بالإسلام أو يذكر، فتقربه الذكرى إلى قبول الحق ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن»[2]اهـ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي استغنى عن الإيمان والقرآن بماله كما ذكر ذلك الرازي. وأما تفسير ﴿مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ بمن كان ذا ثروة وغنى، فقد ردّه الرازي في تفسيره فقال: «وهو فاسد ههنا لأن إقبال النبيّ ﷺ لم يكن لثروتهم وماهم حتى يقال له أما من أثرى فأنت تقبل عليه»اهـ. ثم قال: «المعنى من استغنى عن الإيمان والقرآن بما له من المال»، وروي عن عطاء قريبٌ منه، والمراد الذين كان رسول الله ﷺ يناجيهم في شأن الإسلام ثم قُتِلُوا والعياذ بالله على الكفر، قُتِل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل عمرو بن هشام وأمية بن خلف يوم بدر، أما أُبيٌّ بن خلف فقد رماه رسول الله ﷺ بحَرْبة والحربة دون الرمح، يوم أُحُد فقتله»[3]اهـ.

وقوله: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ قال القرطبيّ: «أي وما عليك أن لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، إنما أنت رسول، ما عليك إلا البلاغ»[4]اهـ. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ قال القرطبي: «يطلب العلم لله ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٩/ ٢١٣).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٩/ ٢١٣).

(٣) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (٣١/ ٥٤).

(٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٩/ ٢١٥).

يخاف الله ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي تعرض عنه بوجهك وتشغل بغيره»[1]اهـ.

والذي جرى من النبيّ ﷺ كان ترك الأولى[2]. ولم يقع بذلك في معصية ولم يكسر قلب الأعمى كما بيّنّا ذلك آنفًا.

والحاصل أن نبينا محمدًا ﷺ أعظم الناس خُلُقًا، ولن يستطيع أحد أن يجد في سيرة رسول الله ﷺ ما يكذّب ذلك، فرسول الله ﷺ هو المعلّم الكامل، والمربي الفاضل، وهو سيد المتواضعين وسيد الأولين والآخرين.

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٩/ ٢١٤).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٩/ ٢١٥).

الفصل التاسع:
رد ما يُفترى عليه ﷺ بأن ربه سيجلسه على العرش معه والعياذ بالله

الله تعالى منزه عن الجلوس والتحيز والاستقرار والمحاذاة

لقد ورد قرآنًا وصفُ الله بأنه مستوٍ على العرش فيجب الإيمان بذلك بِلا كيف، أي يجب إثبات الاستواء له سبحانه، لكن على ما يليق بجلاله، فلا يُحمل على معنى الجلوس أو الاستقرار أو المحاذاة للعرش، لأن ذلك كيْفٌ والله مُنَـزَّهٌ عن الاستواء بالكيف لأنه من صفات الأجسام، بل نقول: استوى على العرش استواءً يليق به ليس جلوسًا ولا استقرارًا.

وقد ثبت عن مالك ما رواه البيهقيّ بإسناد جيد من طريق عبد الله بن وهب قال: «كُنّا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[3] كيف استواؤه؟ فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضاء[4]، ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه»[5]اهـ. فقول مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على عرشه كيفًا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه.

وقال الفقيه اللغوي المحدث مرتضى الزبيديّ نقلًا عن الحافظ تقيّ الدين

---

(٣) طه/ ٥.

(٤) «الرُّحَضاء: العَرَقُ إثْرَ الحُمَّى أو عَرَقٌ يَغسِلُ الجِلْدَ كثْرَةً، وقد رُحِضَ المَحْمُومُ كعُنِيَ»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: رح ض، (١/ ٨٢٩).

(٥) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، (ص ٤٠٨).

السبكيّ: «المقدم على تفسير الاستواء بالاستيلاء لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله بما لا يجوز عليه»اهـ. ثم قال في من يفسر الاستواء بالقعود: «ومن أطلق القعود، وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد له به اللغة فيكون باطلًا، وهو كالمقرّ بالتجسيم المنكر له، فيؤاخذ بإقراره ولا يفيده إنكاره. واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلًا وأبدًا، والعرش وما تحته حادث، فأتى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[1] لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء»[2]اهـ، فهذا ذهاب من السبكيّ إلى أن الاستواء وإن كان صفةَ فِعْلٍ قديمٌ غيرُ حادث كما هو مذهب السلف أبي حنيفة والبخاريّ وغيرهما فإنهما قالا: «إن فعل الله صفته في الأزل، والمفعول مخلوق»[3]اهـ.

فما أقبح ما تتوهّمه الجهلة من أن معنى الآية أن الله خلق السموات والأرض وهو أسفل العرش ثم ارتفع وصعد إلى العرش واستقرّ عليه، أو في الفضاء بإزائه بلا مماسة عند بعضهم وبمماسة عند بعض، وكلام ابن تيمية[4] في بعض المواضع يدل على المماسة وفي بعضها على المحاذاة بِلا مماسة، والله منزّه عن الأمرين كما

---

(١) الأعراف/ ٥٤.

(٢) **إتحاف السادة المتقين**، الزبيديّ، (٢/ ١٠٧).

(٣) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، (ص٤٣، ١٣٦).

(٤) أحمد بن عبد الحليم الدمشقيّ، ابن تيمية المجسّم، ولد بحرّان سنة ٦٦١ هـ، ظهرت منه بدع كثيرة حتى قال الحافظ أبو زرعة العراقيّ: «إنه خرق الإجماع في أكثر من ستين مسألة، بعضها في الأصول وبعضها في الفروع»اهـ. وقال فيه: «علمه أكبر من عقله»اهـ. ردّ عليه علماء عصره وبدّعوه وألّفوا في ذلك كالسبكيّ، فإنه صنّف: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) و(الاعتبار ببقاء الجنة والنار) في الردّ عليه. استتيب عدّة مرات وكان في كل مرّة ينقض عهوده ومواثيقه حتى حُبِس بفتوى من قضاة المذاهب الأربعة سنة ٧٢٦ هـ بالقلعة ومات فيها سنة ٧٢٨ هـ، انظر: (**الأجوبة المرضية على الأسئلة المكية**) للحافظ وليّ الدين العراقيّ، و(**نجم المهتدي ورجم المعتدي**) لابن المعلم القرشيّ، و(**الفتاوى الحديثية**) لابن حجر الهيتميّ، و(**الدرر الكامنة**) للحافظ ابن حجر، و(**المقالات السنية**) للحافظ الهرري وغيرها.

يدل حديث عمران بن الحصين الذي رواه البخاري: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**[(١)]». حيث دلّ على أنه كان قبل العالم بأسره، قبل المكان بلا مكان ولا خلاء[(٢)] ولا ملاء[(٣)]، إذ كلٌّ من المكان والخلاء والملاء مُحدَث، فهو تعالى كما قال الإمام الناسك الزاهد ذو النون المصريّ[(٤)]: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك»[(٥)]اهـ. وهذا مُسْتَمَدٌّ ومفهوم من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٦)].

ونورد هنا -توثيقًا- عبارات صريحة لابن تيمية المجسم في ذلك حتى يراها الناظر بعينيه، ويحذر بلايا مُؤلفاته التي اغترّ وافتتن بها كثير من الجهّال.

قال ابن تيمية في تفسير سورة العلق ما نصّه: «ومن ذلك حديث عبد الله بن خليفة المشهور الذي يروى عن عمر عن النبيّ ﷺ، وقد رواه أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسيّ في مختاره، وطائفة من أهل الحديث تردّه لاضطرابه كما فعل ذلك أبو بكر الإسماعيليّ وابن الجوزيّ وغيرهما، لكن أكثر أهل السنّة قبلوه،

---

(١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم]. (٤/ ١٢٨- ١٢٩)، رقم ٣١٩١.

(٢) «خَلا: المَكانُ خُلُوًّا وخَلاءً وأَخْلى واسْتَخْلى: فَرَغَ. ومكانٌ خَلاءٌ: ما فيه أَحَدٌ. وأَخْلاهُ: جَعَلَهُ أو وَجَدَهُ خاليًا»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: خ ل و، (١/ ١٦٥٢).

(٣) «ملأتُ الإناءَ مَلْئًا مِنْ بَابِ نَفَعَ فَامْتَلأَ وَمِلْؤُهُ بالْكَسْرِ مَا يَمْلَؤُهُ وَجمعُهُ أَمْلاءٌ مِثْلُ حِمْلٍ وَأَحْمَالٍ»اهـ. **المصباح المنير**، الفيوميّ، مادة: م ل أ، (ص ٢٢٢).

(٤) ذو النون المصريّ ثوبان بن إبراهيم، أبو الفياض، أو أبو الفيض (ت ٢٤٥هـ)، شيخ الديار المصرية وأحد كبار الزهّاد العبّاد المشهورين. روى عن مالك والليث وابن لهيعة والفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وطائفة. وروى عنه أحمد بن صبيح الفيوميّ وربيعة بن محمد الطائيّ وحسن بن مصعب والجنيد بن محمد الزاهد ومقدام بن داود الرعينيّ وآخرون. قال ابن يونس: «كان عالـمًا فصيحًا حكيمًا»اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (١١/ ٥٣٢، ٥٣٦). **الأعلام**، الزركلي، (٢/ ١٠٢).

(٥) **الرسالة القشيرية**، القشيريّ، (ص ٦).

(٦) الشورى/ ١١.

وفيه قال: «إنّ عرشه أو كرسيّه وسع السموات والأرض، وإنه يجلس عليه فما يفضل منه قدر أربعة أصابع -أو ما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع- وإنه ليئطّ به أطيط[1] الرَّحْل الجديد براكبه»[2]اهـ.

ثم قال ما نصّه: «وهذا وغيره يدلّ على أن الصواب في روايته النفي، وأنه ذكر عظمة العرش، وأنه مع هذه العظمة فالربّ مستوٍ عليه كلّه لا يفضل منه قدر أربعة أصابع، وهذا غاية ما يقدَّر به في المساحة من أعضاء الإنسان»[3]اهـ.

ثم قال: «قلت: فليُنْظَرْ إلى قوله: «يدلّ على أن الصواب في روايته النفي» أي على زعمه أن رواية النفي وهي: «لا يفضل من العرش شيء» أصحّ من رواية «أنه ما يفضل منه إلا أربعة أصابع»[4]اهـ، فقوله هذا فيه إثبات المساحة والمقدار والمقياس لله، تعالى الله عن ذلك.

ويقول في الفتوى الحموية بعد كلام ما نصّه: «وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة»[5]اهـ.

وقال في فتاويه ما نصه: «فقد حدّث العلماء المرضيّون وأولياؤه المقرّبون أن محمّدًا رسول الله ﷺ يُجْلِسُهُ ربه على العرش معه»[6]اهـ. نعوذ بالله من الضلال والكفر.

---

(١) «أَطَّ الرَّحْلُ ونحوُه يَئِطُّ أطِيطًا صَوَّتَ، والإبِلُ أَنَّتْ تَعَبًا أو حَنينًا أو رَزَمَةً، والأطيطُ: الجُوعُ وصوتُ الرَّحْلِ والإبِلِ من ثِقَلِها وصوتُ الظَّهْرِ والجَوْفِ من الجُوعِ»اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: أ ط ط، (١/ ٨٤٩).

(٢) **مجموعة تفسير**، ابن تيمية، (ص ٣٤٥، ٣٥٥)، **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، (١٦/ ٤٣٤) وما بعدها.

(٣) **مجموعة تفسير**، ابن تيمية، (ص ٣٥٨).

(٤) **مجموعة تفسير**، ابن تيمية، (ص ٣٥٦، ٣٥٧).

(٥) **رسالة الفتوى الحموية الكبرى**، ابن تيمية، (ص ٧٩).

(٦) انظر فتاويه (٤/ ٣٧٤).

وقد أثبت عنه هذه العقيدة أبو حيان الأندلسيّ النحويّ المفسّر المقرئ في تفسيره المسمّى بالنهر المادّ قال: «وقرأت في كتاب أحمد ابن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سمّاه كتاب العرش: إن الله يَجْلِسُ على الكرسيّ وقد أخلى منه مكانًا يُقْعِد معه فيه رسولَ الله ﷺ، تحيَّل عليه التاج محمد بن عليّ بن عبد الحقّ البارنباريّ[1]، وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه»[2]اهـ. ونَقْلُ أبي حيان هذا كان قد حُذِف من النسخة المطبوعة القديمة ولكنّ النسخة الخطية تثبته، وسبب حذفه من النسخة المطبوعة ما قاله الكوثريّ[3] في تعليقه على السيف قال: «وقد أخبرني مصحّح طبعة بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدًّا فحذفها عند الطبع لئلا يستغلّها أعداء الدين، ورجاني أن أسجّل ذلك هنا استدراكًا لِـمَا كان منه ونصيحة للمسلمين»[4]اهـ.

---

(١) محمد بن علي البارنباريّ الملقب طوير الليل (ت٧١٧ هـ)، الشيخ تاج الدين، أحد أذكياء الزمان برع فقهًا وعلمًا وأصولًا، وقرأ المعقولات على شارح (المحصول) الشيخ شمس الدين الأصبهانيّ، مولده سنة أربع وخمسين وستمائة، قال السبكيّ: «سمعت الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يقول: قال لي ابن الرفعة: مَنْ عندكم من الفضلاء في درس الظاهرية؟ فقلت له: قطب الدين السنباطيّ وفلان وفلان حتى انتهيت إلى ذكر البارنباريّ فقال: ما في مَن ذكرت مثله»اهـ. توفي بالقاهرة. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، (٩/ ٢٥٠، ٢٥١).

(٢) **النهر الماد**، أبو حيان الأندلسي (٢/ ٢٥٤).

(٣) محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثريّ (ت١٣٧١ هـ)، فقيه حنفيّ، له اشتغال بالأدب والسير. ولد ونشأ في قرية من أعمال دوزجة بشرقي الآستانة، وتفقّه في جامع الفاتح بالآستانة، ودرس فيه. واضطهده الاتحاديون في خلال الحرب العامة الأولى، وتوفي بالقاهرة. وكان يجيد العربية والتركية والفارسية والجركسية. له تعليقات كثيرة على بعض المطبوعات في أيامه في الفقه والحديث والرجال. وله تآليف، منها: (الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار)، ورسائل في تراجم (أبي يوسف القاضي) و(محمد ابن الحسن الشيبانيّ) و(البدر العينيّ) و(الإمامين الحسن بن زياد ومحمد بن شجاع) و(الطحاويّ) كلها مطبوعة. وله نحو مائة مقالة جمعها أحمد خيري في كتاب (مقالات الكوثريّ). **الأعلام**، الزركلي، (٦/ ١٢٩).

(٤) **السيف الصقيل**، السبكي، (ص٨٥).

فلينظر العقلاء إلى تخبُّط ابن تيمية حيث يقول مرة إنه جالس على العرش، ومرّة إنه جالس على الكرسيّ، وقد ثبت في الحديث أن الكرسيّ بالنسبة للعرش كحلْقةٍ في أرض فلاة[1]، فأي عقلٍ سليم يسوّغ مثل هذا الهذيان؟!

والأعجب من ذلك نقله قول عثمان الدارميّ[2] المجسّم عن الله سبحانه وتعالى مقرًّا له من غير إنكار: «ولو قد شاء -أي الله- لاستقرّ على ظهر بعوضة فاستقلّت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض»[3]اهـ. نعوذ بالله من مسخ القلوب.

ويبطل قولَهُ هذا ما يروى عن رسولِ الله ﷺ من قوله: «**لا فكرة في الربّ**»[4] أي أن الله تعالى لا يُدركه الوهم، لأن الوهم يدرك الأشياء التي لها وجود في هذه الدنيا كالإنسان والغمام والمطر والضوء وما أشبه ذلك. فيفهم من هذا أن الله لا يجوز تصوّره بكيفية وشكل ومقدار ومساحة ولون وكل ما هو من صفات الخلق. والله تبارك وتعالى لا يجوز أن يُقاس بالمخلوقات، لذلك التصوُّر يؤدّي بك إلى الحكم غلطًا على الأشياء. فإذا أراد تصوُّرُنا أن ينصرف إلى تصوُّر الله تعالى، فهذا سيؤدي إلى الغلط، لأنه لا يستند في ذلك إلا إلى الوهم، ونحن لسنا مكلّفين باتّباع الوهم، بل مكلّفون باتّباع الشرع. والقرآن أثبت أنّ الله تبارك وتعالى لا تدركه الأوهام. قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[5] أَي لا تحيط به الأوهام.

وحكى القرطبيّ: «عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ في قول

(١) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (١/ ٢٨٢).

(٢) عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، أبو سعيد، له تصانيف في الرد على الجهمية، منها: (النقض على بشر المريسي). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٢٠٥).

(٣) **نقض عثمان الدارمي على المريسي**، الدارمي، (١/ ٤٥٨).

(٤) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، (١٤/ ٤٩).

(٥) الأنعام/ ١٠٣.

الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[1] قال: «**لا فكرة في الرب**»[2]، قلت -أي القرطبيّ-: ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ**»[3]، ولقد أحسن من قال: [الطويل]

ولا تَفْكُرَنْ في ذِي العُلا عَزَّ وجهُهُ ... فإنَّك تردَى إنْ فعلتَ وتُخذَلُ
ودونَك مصنوعاتُه فاعتَبِرْ بِهَا ... وقُلْ مثلَ ماقالَ الخَلِيلُ المُبَجَّلُ[4]»[5] اهـ.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: [البسيط]

العَجْزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكُ ... والبَحْثُ عن ذاتِه كُفْرٌ وإشراكُ

وقال التابعيّ الوليّ المشهور ابن أبي نُعم في تفسير الآية ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ

---

(١) النجم/ ٤٢.

(٢) رواه أبو القاسم الأنصاريّ، رفعه الدارقطنيّ في **الأفراد** (١/ ٣٩٧). **تفسير ابن كثير**، ابن كثير، (٤/ ٢٥٩). وأخرجه ابن الشيخ في **العظمة** (ص٣١) عن سفيان الثوريّ من قوله. **معالم التنزيل**، البغوي، (٧/ ٤١٧). **الدر المنثور**، السيوطيّ، (٧/ ٦٦٢). **كنز العمال**، المتقي الهندي، (٣/ ٣٦٩). **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٧/ ١١٥).

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (١/ ٨٣)، رقم ٣٦٢.

(٤) إشارة إلى ما رواه أنس رضي الله عنه من أن النبيَّ صلوات الله وسلامه عليه قال: «**تفكّروا في الخلق، ولا تتفكّروا في الخالق**»اهـ. عزاه الزبيديّ في **شرح الإحياء** (٦/ ٥٣٦) لأبي الشيخ من حديث أبي ذرّ. وله شاهد موقوف على ابن عباس رواه البيهقيّ في **الأسماء والصفات** (ص٤٢٠) بلفظ: «**تفكروا في كل شيء ولا تفكّروا في ذات الله عزّ وجلّ**». ذكره الحافظ ابن حجر في **فتح الباري** (١٣/ ٣٨٣)، وعزاه للبيهقيّ وقال: «موقوف وسنده جيد»اهـ.

(٥) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، (١٧/ ١١٥).

﴿٤٢﴾[1] «إليه ينتهي فكر مَنْ تفكّر[2]»اهـ. أي إليه ينتهي فكر مَنْ تفكَّر فلا تصل إليه أفكار العباد.

ويُرَدُّ أيضًا على المشبّهة بقول الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين[3]: «سبحانك لا تُحَسُّ ولا تُمَسُّ ولا تُجَسُّ»[4]اهـ.

إذا عرفْتَ هذا تبيّن فُحشُ جهالةِ من افترى على رسول الله محمد ﷺ بقوله إنَّ الله سيجلسه على العرش معه يوم القيامة لأنه كذب على الله ورسوله ﷺ. وفيه تضليل للناس وإهلاك لهم باسم الإسلام صورة وبالتستر والتدرع باسم الحديث زورًا وبهتانًا.

ومن كان يظن أنه بهذا الكلام يرفع قدر رسول الله ﷺ ويعلي مكانته، فهو واهم، لأن مكانة رسول الله ﷺ محفوظة بحفظ الله تعالى لها، وبعدم الغلو والإطراء المؤدّي إلى الإفراط المخرج من الدين كما فعلت النصارى بنسبة الأبوة لله والبنوة لعيسى وعبادتها للمسيح عليه السلام، فقدر النبي ﷺ منزه عن نسبة ما لا يليق إلى الله عز وجل، مما يخالف ما أتانا به، ويخالف الأثر، ويخالف العقل السليم.

(١) النجم/ ٤٢.

(٢) **تشنيف المسامع**، الزركشي، (ص٨١، ٨٢).

(٣) عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الهاشميّ القرشيّ (ت ٩٤هـ)، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين. أحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. يقال له: «عليّ الأصغر» للتمييز بينه وبين أخيه «عليّ الأكبر» الذي توفي مع والده في كربلاء. مولده ووفاته بالمدينة. وليس للحسين «السبط» رضي الله عنه عقب إلا منه. **طبقات ابن سعد**، ابن سعد، (٥/ ١٥٦). **صفة الصفوة**، ابن الجوزيّ، (٢/ ٥٢). **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (١/ ٣٢٠). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ٢٧٧).

(٤) **إتحاف السادة المتقين**، الزبيديّ، (٤/ ٣٨٠).

الباب الرابع: في التحذير من مطالعة بعض الكتب غير المعتمدة لما فيها من دسائس وافتراءات وإسرائيليات

الفصل الأول:
في التحذير من الكتاب المسمى «قصص الأنبياء» لعبد الوهاب النجار[1]

ومن ذلك التحذير من الكتاب المسمى «**قصص الأنبياء**» لعبد الوهاب النجار، ففيه ما يخالف عقيدة أهل الحق.

ومما فيه قوله: «أراد الله أن يحقّق للملائكة بالفعل، ويكشف لهم بالعمل ما غاب عنهم، ويبيّن لهم أن آدم الذي استحقره أولئك الملائكة محلٌّ لعناية الله، وإيثاره بما لم يعط لهم، فعلّم آدم الأسماء كلّها»[2]اهـ.

الردّ: إن في هذا الكلام طعنًا بالملائكة الكرام، لأن الملائكة لا يعترضون على الله ولا يحقّرون أنبياءه فهم منـزّهون عن ذلك، وأما قولهم في ما حكاه القرآن عنهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[3] فليس المراد به آدم عليه السلام، إنما المراد به أن صنف البشر الذين كتب الله أنهم سيكونون

(١) عبد الوهاب ابن الشيخ سيد أحمد النجار (ت ١٣٦٠هـ)، كاتب مصريّ. اشتغل بالمحاماة ثم عيّن مدرّسًا للأدب والشريعة في كلية الخرطوم، فأستاذًا للتاريخ الإسلاميّ في الجامعة المصرية القديمة، فناظرًا لمدرسة عثمان ماهر باشا، إلى آخر حياته. ألّف كتبًا منها: الكتاب المسمى (قصص الأنبياء). **الأعلام**، الزركلي، (٤/ ١٨٣).

(٢) الكتاب المسمى **قصص الأنبياء**، النجار، (ص ٢٥).

(٣) البقرة/ ٣٠.

خلفاء في الأرض فيهم مَن هذه صفتُهم، وهي الإفساد في الأرض وسفك الدماء بغير حق، لأنهم علموا أن البشر الذين هم من ذرية آدم عليه السلام يحصل من بعضهم هذا. فقوله: «إن الملائكة استحقروا آدم» معناه أنهم اعترضوا على الله كما اعترض إبليس لـمَّا أُمرت الملائكة بالسجود، وهوكان فيهم قبل أن يكفر، فقال: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[1] مع قوله: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[2]، فتحقير آدم عليه السلام من صفة إبليس، وليس من صفة الملائكة الكرام الذين يعلمون أن سيدنا آدم من أنبياء الله تعالى الذين اصطفاهم واختارهم وفضّلهم على الملائكة، حيث أمرهم كلّهم بالسجود لآدم عليه السلام، ولولا أنه أفضل من الملائكة ما أمرهم بالسجود له، وإن الله تعالى يفضّل ما شاء من خلقه على ما شاء. ولو لم يكن في كتاب النجار إلا هذا لكفى موجبًا للتحذير منه.

وأشدُّ من هذا قوله في هذا الكتاب عن نظرية داروين ما نصه: «عندنا القرآن الكريم، يدلّ بنصوصه الظاهرة على أن أصل الإنسان آدم، ولم يكن قردًا تحوَّل، ولا شيئًا آخر ترقى وهو الثقة، فإذا وصل أصحاب النظرية إلى الأدلة القاطعة التي تجعل هذه القصة بديهية تساوي في بداهتها أنَّ «كل عدد زوجي ينقسم إلى قسمين متساويين» وأنَّ «السماء فوقنا والأرض تحتنا» كان لزامًا علينا أن نؤول القرآن ليوافق الواقع، كما هي القاعدة القائلة إن القرآن يؤخذ على ظاهره بدون تأويل إلا إذا منع من ذلك مانع فيُعمد إلى تأويله»[3]اهـ.

فما أشنعَ هذا التجرّؤ والتطاول على القرآن الكريم، فإنَّ قوله هذا يتضمّن جواز تأويل نصوص القرآن لغير دليل شرعيّ ثابت أو دليل عقليّ قاطع وهذا عبث بالقرآن، والقرآن منـزَّه عن العبث، فكيف احتمل في ظنه دليل عقليّ يلزم

(١) الإسراء/ ٦١.

(٢) ص/ ٧٦.

(٣) الكتاب المسمى **قصص الأنبياء**، النجار، (ص ٣٣).

تأويل القرآن ولا يوجد شبهة دليل، فقوله هذا فيه فتح باب للتلاعب بالقرآن، ثم إنه قد نقض هذه النظريةَ الفاسدةَ كثيرٌ من قائليها بعدما قبلوها. وقد بيّنّا زيف هذه النظرية في صدر الكتاب.

ومما في هذا الكتاب أيضًا إنكاره أحاديث نزول عيسى عليه السلام، وأنه سيقتل الدجال، فيقول ما نصه: «بقي أن يقال: إنّ الأخبار المأثورة وردت ناطقة بأن المسيح رُفِعَ إلى السماء بجسده وروحه، وأنه حيٌّ فيها، وأنه ينـزل في آخر الزمان ويقتل المسيح الدجّال. ثم قال النجار: والجواب على ذلك: أن هذه الأخبار وردت، وبعضها مرفوع إلى رسول الله ﷺ، وبعضها آراء للمفسرين، وبعضها عمن أسلموا من اليهود ككعب ووهب، ومهما كان من شأنها وصراحة عبارتها فهي أحاديث أو آراء آحاد، ولا تبلغ أن تكون لها قوة صريح القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنـزيل من حكيم حميد، ولا يمكن أن تكون في النفس اعتقادًا يقينيًّا جازمًا تطوع به النفس لصاحبها أن يشهد على الله أنه نقل المسيح حيًّا إلى السموات، ويشهد على الله مطمئنًا بتلك الشهادة أنه سوف يُنْـزِلُ عيسى من السماء إلى الأرض، وأنه سوف يتولّى قتل رجل يُنْـبَـزُ[1] بالمسيح الدجّال، سيخلقه الله تعالى، ولا يدري متى يكون زمانه، إذ كلّ تلك الأخبار لا يمكن أن تنهض بإنشاء عقيدة إذا خالفها الإنسان، وحاد عن الاعتقاد بها برئ من الإسلام، وبرئ الإسلام منه»[2]اهـ.

ولا يخفى عليك أيها القارئ أن هذا طعنٌ خفيٌ في اعتقاد المسلمين، فإن نزول عيسى عليه السلام أمر مجمع عليه إجماعًا معتبرًا عند الأصوليين، وما فتئ أصحاب العقائد والمتون يذكرون في مصنفاتهم نزول المسيح عليه السلام وأنه يقتل الدجال ويُقرّرون ذلك بالدلائل، فلا معنى لإنكار عبد الوهاب النجار ذلك إلا المعاندة وهوى النفس، وقد قال فيه الشيخ عبد الله الغماري:

(١) أي يُلقَّب، من النَّبَز وهو اللقب. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة: ن ب ز، (ص ٢٦٨).

(٢) الكتاب المسمَّى **قصص الأنبياء**، النجار، (ص ٥٤٦).

إنه من المبتدعة[١]، ومن الأحاديث الواردة في إثبات نزول عيسى عليه السلام حديث البخاري وغيره: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا**»[٢]، وعند البيهقيّ: «**ينزل عيسى ابن مريم من السماء**»[٣]، وعند ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾[٤] قال: «**نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة**»[٥]، فأحاديث نزوله عليه السلام مشهورة قريبة من التواتر. وأما حديث خروج الدجال فهو حديث صحيح أخرجه مسلم[٦] وغيره.

وأما زعم النجار أنه لا حجة للجمهور في القول بأنه رفع إلى السماء، فهذا يردّه رواية البيهقيّ السابقة وفيها: «**ينـزل من السماء**»، وقد ألّف في ذلك العديد من العلماء ومنهم:

١- جلال الدين السيوطيّ الذي ألّف كتاب (نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان).

٢- محمد أنور شاه الكشميريّ الهنديّ[٧] الذي صاغ كتاب (التصريح بما تواتر في

---

(١) **الأحاديث المنتقاة**، الغماريّ، (ص ١٣٨).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، **سنن الترمذيّ**، الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، **مسند أحمد**، أحمد، (٢/ ٥٣٨)، **سنن البيهقيّ**، البيهقي، (١/ ٢٤٤).

(٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، (٢/ ١٦٦).

(٤) الزخرف/ ٦١.

(٥) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٨/ ٢٨٨).

(٦) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وباب صفة الدجال، وباب خروج الدجال ومكثه في الأرض، وباب قصة الجساسة، وباب قصة الدجال. (٨/ ١٩٤)، رقم ٧٥٤٦.

(٧) محمد أنور شاه الكشميريّ الهنديّ، (ت١٣٥٢هـ)، صدر المدرسين بدار العلوم=

نزول المسيح).

٣- أبو الفضل عبد الله محمد صديق الغماريّ وله كتاب (عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام).

بالإضافة إلى ما تناوله علماء الحديث في كتبهم من ذكر أشراط الساعة، فالإمام البخاريّ رحمه الله ضمّن كتاب الصحيح كتاب الفتن وذكر فيه بعض أشراط الساعة. وأدرج الإمام أبو داود في سننه بعضهما في كلّ من كتاب الفتن وكتاب المهديّ، وكتاب الملاحم. وكذلك الإمام الترمذيّ في سننه في كتاب الفتن، ذكر فيه باب ما جاء في أشراط الساعة.

=الديوبندية الهندية، له عدة مؤلفات منها: (فيض الباري على صحيح البخاري)، و(العرف الشذي على جامع الترمذي) وغيرهما. توفي في ديوبند. من مقدمة كتابه **التصريح بما تواتر في نزول المسيح** الذي تلقاه عنه تلميذه محمد شفيع. (ص ٣٧).

الفصل الثاني:
التحذير من الكتاب المسمى «في ظلال القرآن» والآخر المسمى «التصوير الفني في القرآن» وغيرهما لسيد قطب

ومما يجب التحذير منه تحذيرًا بالغًا مؤلفات سيد قطب الذي كان في أول أمره صحفيًّا ماركسيًّا ثم انخرط في حزب الإخوان واشتغل بالتأليف فزلَّ وضلَّ.

فبالإضافة إلى الانحراف الكبير في كلامه حول تكفير البشرية[١]، وتشبيه الله تعالى بخلقه وتسميته لله بالريشة المبدعة والخالقة[٢] وبالعقل المدبر[٣] ونحوها من الألفاظ التي عدّها علماء الأمة من المكفّرات، قد ذَمَّ سيد قطب سيدَنا موسى ويوسف وإبراهيم عليهم السلام، نعوذ بالله من الكفر، فلتُحذر مؤلفات هذا الرجل الذي يدعو الناس إلى هدم الدين وإلى الفوضى والقتل والدمار وفتح باب المروق من الدين.

فقد أدّاه جهله إلى القدح والذمّ بسيدنا موسى عليه السلام في كتابه المسمى التصوير الفني في القرآن الكريم فقال ما نصه: «لنأخذ موسى، إنه نموذج للزعيم المندفع العصبيّ المزاج» كما مرّ، ويقول في الصحيفة التي بعدها: «فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات، فلعلّه قد هدأ وصار رجلًا هادئ الطبع حليم النفس»[٤]اهـ.

ويتهم سيدَنا يوسف في نفس الكتاب بأنه كاد يضعف أمام امرأة العزيز[٥].

---

(١) الكتاب المسمى **في ظلال القرآن**، سيد قطب، المجلد ٢، (٧/ ١٠٥٧).

(٢) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (ص ١٠٩، ١٧٥، ١٩٨، ٢٠١).

(٣) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (٦/ ٣٨٠٤).

(٤) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (ص١٦١، ١٦٢).

(٥) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (ص ١٦٦).

ويرمي سيدنا إبراهيم عليه السلام بالشكّ فيقول ما نصه: «وإبراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء، فيرى نجماً فيظنه إلهه، فإذا أفل قال: لا أحبّ الآفلين، ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربه ولكنه يأفل كذلك فيتركه ويمضي، ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ويظنها ولا شك إلهًا ولكنها تُخلفُ ظنه هي الأخرى»[1]اهـ. كما تقدَّم.

الردّ: هذا الكلام مناقض لعقيدة الإسلام التي تنص على أن الأنبياء الكرام تجب لهم العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها، وقول إبراهيم عليه السلام عن الكوكب حين رآه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[2] هو على تقدير الاستفهام الإنكاريّ، فكأنه قال: أهذا ربي كما تزعمون؟ ثم لـمَّا غاب قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي لا يصلح أن يكون هذا ربًّا، فكيف تعتقدون ذلك، وعندما لم يفهموا مقصوده بل بقُوا على ما كانوا عليه قال حينما رأى القمر مثل ذلك، فلـمَّا لم يجد منهم بغيته أظهر لهم أنه بريء من عبادته وأنه لا يصلح للربوبية، ثم لـمَّا ظهرت الشمس قال مثل ذلك، فلم يرَ منهم بغيته فأيس منهم فأظهر براءته من ذلك، وأما هو فقد كان يعلم قبل ذلك أن الربوبية لا تكون إلا لله بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾[3]. وقد تقدّم بيان ذلك مفصلًا.

وهنا ينبغي التأكيد أن تفسير القرآن الكريم ليس مشاعًا لكل ذي قلم سيَّال أن يكتب فيه برأيه كما يصور له شيطانه وكما تُسوّل له نفسه، غير مراعٍ لِـمَا لا يليق بالله وأنبياء الله من عبارات وألفاظ، فيها نسبة التشبيه لله بخلقه، ونسبة صفات النقصان لأنبياء الله، بداعي التحرر من التفاسير القديمة، وبداعي مواكبة كُتَّاب العصر الغربيين الحاليين في مخاطبتهم لله كأنه رسام أو بنَّاء خبير، وفي نقدهم

(١) الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن**، سيد قطب، (ص ١٣٣).

(٢) الأنعام/ ٧٦.

(٣) الأنبياء/ ٥١.

لأنبياء الله من دون أدب ولا مراعاة لمنصب النبوة وعصمتهم.

ومن هنا كان التحذير من كتب سيد قطب الذي لم يسبق له أن جثا بين يدي أهل العلم بالدين للتعلم، ومن هنا تعرف منشأ مثل هذه الزلّات الفاضحة والسَّقطات الواضحة، لأنه لم يتلقَّ العلم من أهله وإنما اعتمد على مجرد المطالعة في الكتب.

الفصل الثالث:
التحذير من الكتاب المسمى «مع الأنبياء في القرآن الكريم» وغيره لعفيف عبد الفتاح طبارة[1]

ومما يجب التحذير منه مؤلفات عفيف عبد الفتاح طبارة، ومنها كتابه المسمى «مع الأنبياء في القرآن الكريم».

ففي هذا الكتاب يخبط المؤلف خبط عشواء في الكلام على مكان الجنة التي خُلِقَ فيها سيدنا آدم عليه السلام فيردّ ما كان عليه المسلمون إلى يومنا هذا، ومن ذلك قوله: «إن الرأي الراجح أن هذه الجنة كانت في الأرض»[2]اهـ. يعني بذلك الجنة التي أسكن الله فيها آدم، فمن أين له هذا، فقد ثبت حديثًا أن سيدنا آدم خُلق في الجنة، كما في صحيح البخاريّ ومسلم وغيرهما[3]، وأما القول بأن آدم خلق في الأرض وأنه هبط من جزء منها إلى جزء فليس له سند يُعوّل عليه، إنما هو قولٌ قاله من لا يعتد به، فقد ذكر الله تعالى في القرآن: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة، معاصر ولد في بيروت سنة ١٩٢٣م، ونشأ في أسرة بيروتية متوسطة الحال بمنطقة طريق الجديدة. له كتب انحرف فيها عن شريعة الله ككتابه المسمى: (مع الأنبياء في القرآن الكريم)، وغيرها من الكتب التي خالف فيها صريح الأحاديث الصحيحة، وهذا دليل عدم ممارسته الفقه على أهل المعرفة ولا الحديث ولا التفسيراهـ. **التحذير الشرعي الواجب**، الهرري، (ص٩٤، ٩٥).

(٢) الكتاب المسمى **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، طبارة، (ص ٣٩).

(٣) **الموطّأ**، مالك، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة، (١/ ١٠٨)، رقم ٢٤١. **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، (٤/ ١٥٩). **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، (٣/ ٦)، رقم ٢٠١٣. **سنن الترمذيّ**، الترمذي، فضل يوم الجمعة، (٢/ ٣٥٩)، رقم ٤٨٨. **سنن النسائيّ**، النسائي، باب ذكر فضل يوم الجمعة، (٣/ ٨٩)، رقم ١٣٧٣. **مسند أحمد**، أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٢/ ٤٠١)، رقم ٩١٩٦.

وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[١] أي أن آدم عليه السلام لا يظمأ فيها، ولا يضحى أي لا يصيبه عطش ولا حرّ شمس، وأيُّ أرض في الدنيا لا يعرى فيها الإنسان ولا يجوع، والمشهور في التاريخ أن آدم عليه السلام أُنْزلَ على جبل سَرَنديب وهي من أرض الهند قديمًا -في سريلانكا اليوم- وأُنزِلت حواء بجدة، وأُنزل إبليس في الأُبُلَّة[٢]، واشتهر عند أهل العلم أن آدم دفن عند مسجد الخَيْف بمنى[٣].

ومما يَرُدُّ زعم هذا المؤلف ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما سكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس»[٤] وروى عنه: «أن أول ما أهبط الله آدم إلى أرض الهند»[٥]، وعنه أيضًا قال: قال عليّ رضي الله عنه: «أطيب ريح في الأرض الهند أُهبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنة»[٦]، وروى الحاكم أيضًا في مستدركه عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعريّ[٧] قال: «إن الله لـمّا أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة، وعلّمه صَنعةَ كلِّ شيء، فثِمارُكم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغيَّر وتلك لا تغَيَّر»[٨]اهـ.

وهذه الأحاديث كلّها ضدّ قول عفيف طبارة ومَنْ قلّده لأن في بعضها أن

(١) طه/ ١١٨، ١١٩.

(٢) الأُبُلَّة: مدينة إلى جنب البصرة. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: أ ب ل، (٣/ ١١).

(٣) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، (١/ ١٢). **تاريخ الأمم والملوك**، الطبريّ، (١/ ٧٩).

(٤) **المستدرك**، الحاكم، (٢/ ٥٩١)، رقم ٣٩٩٣.

(٥) **المستدرك**، الحاكم، (٢/ ٥٩١)، رقم ٣٩٩٤.

(٦) **المستدرك**، الحاكم، (٢/ ٥٩٢)، رقم ٣٩٩٥.

(٧) أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، كوفي عثماني عالم ثقة، حدث عن أبيه وعن أبي هريرة وابن عباس وجابر بن سمرة، وحدث عنه أبو عمران الجوني وأبو جمرة الضبعي وحجاج ابن أرطاة ويونس بن أبي إسحاق وآخرون. ولّاه الحجاج قضاء الكوفة، وعاش بعد أخيه أبي بردة قليلًا. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٧).

(٨) **المستدرك**، الحاكم، (٢/ ٥٩٢)، رقم ٣٩٩٦.

الله زوّد آدم عند خروجه من الجنة من ثمار الجنة، لكنها بعد أن نزلت إلى الأرض تغيّرت، وثمار الجنة لا تتغير. وفي هذا أبين البيان على فساد قول إن آدم عليه السلام خُلِقَ في الأرض في مكان فيه بستان، ثم أُخرج من هذا المكان إلى غيره من أرضنا هذه من أرض الدنيا، وكذلك حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن القَدْر الذي عاشه آدم عليه السلام في الجنة كمقدار ما بين العصر إلى غروب الشمس لا يمكن حملُه على حساب الوقت المعهود في الدنيا بما بين العصر إلى غروب الشمس إلا على تلك الأيام الستة التي كل يوم منها قدر ألف سنة، فإنَّ ما بين العصر والغروب بالنسبة إلى تلك الأيام وقت واسع بالنسبة إلى الوقت المعروف في الدنيا.

ثم إنه لو كانت الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام في الأرض لكان ذلك الموضع معروفًا يتناقله البشر من ذلك الوقت إلى هذه الساعة، لكنه لا توجد أرض بهذه الصفة، ولكان مقصدًا يزوره كل طوائف البشر.

وحديث إن ثمار الجنة لا تتغير صحّحه الحاكم والذهبيّ[1]، وأيّ أرض في الدنيا لا تتغير ثمارها، وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أيضًا صحّحه الحاكم.

آدم عليه السلام أبو البشر

ويزعم أيضًا في نفس الكتاب أن آدم ليس أول من سكن الأرض بل يوجد قبله بشر[2]، وهذا ردٌّ صريح لِما صحَّ عن رسول الله ﷺ: «**إن الناسَ يومَ القيامةِ يذهبونَ إلى آدمَ لطلب الشفاعةِ يقولون: يا آدم أنتَ أبو البشر**»[3] وثبت في رواية

(١) **المستدرك**، الحاكم، (٢/ ٥٩٢)، ووافقه الذهبي في **التلخيص**.

(٢) الكتاب المسمى مع **الأنبياء في القرآن الكريم**، طبارة، (ص ٤٥، ٤٦).

(٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود]، (٤/ ١٦٣، ١٦٤)، رقم ٣٣٤٠.

أخرى: «**يا آدم أنت أول الناس**»[١].

عفيف عبد الفتاح طبارة
يتهم سيدنا إبراهيم عليه السلام بالشرك

ومما يجب التحذير منه ما ذكره هذا الرجل في كتابه المذكور جهلًا وكذبًا عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ونصه: «فيلمح إبراهيمُ أحدَ الكواكب السيارة مما كان يعبده هؤلاء القوم يلمع في السماء، فيقول إبراهيم على مسمع من الحاضرين: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾[٢] مجاراة لهم وإيهامًا أنه على رأيهم» ثم قال: «أسلوب حكيم اختاره إبراهيم، فهو لم يحقّر معبوداتهم ويسفّه معتقداتهم في بادئ أمره فينفروا منه ويخاصموه ويصمّوا آذانهم عن سماع حجته، بل جاراهم في معتقداتهم لينال ثقتهم»[٣]اهـ.

الجواب: قوله هذا افتراء على سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأن الأنبياء إبراهيم ومَن سواه عليهم السلام مستحيل عليهم أن يُظهروا للكفار أنهم يوافقونهم في شيء من عقائدهم ولو صورةً، فليس هذا من شأن الأنبياء بل كلهم يدعون إلى الحق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٤]، وقد كان الرسول ﷺ يتردّد إلى مجتمعات المشركين ويقول: «**أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا**»[٥]، فهذا هو

---

(١) **دلائل النبوة**، البيهقيّ، (٢/ ٤٥).

(٢) الأنعام/ ٧٦.

(٣) الكتاب المسمى **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، طبارة، (ص١١٦، ١١٧).

(٤) الحجر/ ٩٤.

(٥) **مسند أحمد**، أحمد، (٣/ ٤٩٢)، رقم ١٦٠٦٦. وتمام الحديث ما رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن ربيعة بن عباد الديليّ وكان جاهليًّا أسلم فقال: «رأيت رسول الله ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بسوق ذي المجاز يقول: «**يا أيها الناس** =

حال الأنبياء عليهم السلام، ليس كما يدعيه مؤلّف هذا الكتاب.

ورحم الله من قال في بيان كيف يؤخذ علم الدين من أفواه الثقات العارفين لا بمجرد مطالعة الكتب والأخذ من كلّ من دَبَّ ودَرَج: (البسيط)

من يأخذ العلمَ عن شيخٍ مشافهـةً   يكُنْ عنِ الزيغِ والتصحيفِ في حَرَمِ
ومن يكن آخذًا للعلمِ عن صُحفٍ   فعلمُهُ عـندَ أهـلِ العـلْـمِ كالـعَـدَمِ

=**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدًا يقول شيئًا وهو لا يسكت يقول: «**أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» إلا أن وراءه رجلًا أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب. فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: من هذا الذي يكذّبه؟ قالوا: عمه أبو لهب. قلت: إنك كنت يومئذ صغيرًا. قال: لا والله إني يومئذ لأعقل»اهـ.

الفصل الرابع:
التحذير من كتاب «قصص الأنبياء» للثعلبيّ أو الثعالبيّ ومواضع في تفسير الزمخشريّ[1]

ومما يجب التحذير منه الكتاب المسمى «قصص الأنبياء» للثعالبيّ، ففيه القصة التي تروى أن الدود كان يتناثر من جسد أيوب عليه السلام في مرضه فصار يردّها إلى جسده ويقول لها: كلي فقد جعلني الله طعامك، ويُرجع في بيان الردّ على الافتراءات في هذه القصة إلى الفصل السادس من الباب الثاني من هذا الكتاب.

وكذلك يجب التحذير من مواضع في «تفسير الزمخشريّ» المعتزليّ وبعضها كفر صراح، إذ يتضمن الكثير مِن سوء الأدب مع رسول الله ﷺ كما بيَّن ذلك الكثير من العلماء، ومنهم المفسر اللغويّ أبو حيان الأندلسيّ، الذي يقول في التحذير منه في تفسير سورة النمل من تفسيره البحر المحيط ضمن أبيات: [الطويل]

فيُثبتُ موضوعَ الأحاديثِ جاهلًا ويعزو إلى المعصومِ ما ليسَ لائقَا
ويحتالُ للألفاظِ حتى يُديرَها لمذهبِ سوءٍ فيهِ أصبحَ مارِقَا[2]

وفي كتاب «البحر المحيط» بيان وافٍ للمغالطات والانحرافات التي وقع فيها الزمخشريّ الذي كان يجاهر باعتزاله ويدافع كثيرًا عن معتقدات المعتزلة القائلين

(١) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزميّ الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، أبو القاسم، كان معتزليّ المذهب، مجاهرًا، شديد التعصب لمذهب المعتزلة حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبًا واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب، وقد أكثر من التشنيع على الصوفية في كتابه: (الكشاف) في تفسير القرآن وغيره. من كتبه: (أساس البلاغة)، و(المفصل)، و(المستقصى) في الأمثال. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، (٥/ ١٧٠). **الأعلام**، الزركلي، (٧/ ١٧٨).

(٢) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٨/ ٢٥٢).

بأن الله لا يخلق الشرّ والعياذ بالله تعالى وأمثالها من الضلالات التي توقع قائلها في الكفر. فيقول أبو حيان في تفسيره بعد أن يورد العقيدة السنية الصحيحة في معنى ختم الله تعالى على قلوب بعض عباده وإظلامها بالكفر: «ونسبة الختم إلى الله تعالى بأي معنى فُسّر إسناد صحيح، إذ هو إسناد إلى الفاعل الحقيقيّ، إذ الله تعالى خالق كل شيء، وقد تأول الزمخشريّ وغيره من المعتزلة هذا الإسناد، إذ مذهبهم أن الله تعالى لا يخلق الكفر ولا يمنع من قبول الحق والوصول إليه، إذ ذاك قبيح والله تعالى يتعالى عن فعل القبيح»[1]اهـ

وفي موضع آخر يقول أبو حيان: «ويقال: خلد بالمكان أقام به، وأخلد إلى كذا سكن إليه، والمخلد: الذي لم يشب، ولهذا المعنى أعني من السكون والاطمئنان سمي هذا الحيوان اللطيف الذي يكون في الأرض خُلْدًا. وظاهر هذه الاستعمالات وغيرها يدل على أن الخلد هو المكث الطويل، ولا يدل على المكث الذي لا نهاية له إلا بقرينة. واختار الزمخشريّ فيه أنه البقاء اللازم الذي لا ينقطع تقوية لمذهبه الاعتزاليّ في أن من دخل النار لم يخرج منها بل يبقى فيها أبدًا، والأحاديث الصحيحة المستفيضة دلت على خروج ناس من المؤمنين الذين دخلوا النار بالشفاعة من النار»[2]اهـ.

ويقول أبو حيان كذلك: «وأما الزمخشريّ فجرى على مذهبه الاعتزاليّ من أنه يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر، وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية، وزعم أن اشتراط ذلك كالداخل تحت الذكر. وقد عُلِمَ من مذهب أهل السنة أن من وافى على الإيمان فهو من أهل الجنة، سواء كان مرتكبًا كبيرة أم غير مرتكب، تائبًا أو غير تائب»[3]اهـ. أي أن المؤمن العاصي تحت مشيئة الله تعالى إن شاء

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان، (٦/ ٨٠).

(٢) **البحر المحيط**، أبو حيان، (١/ ١٧٨).

(٣) **البحر المحيط**، أبو حيان، (١/ ١٨٢).

عذّبه وإن شاء عفا عنه، قال رسول الله ﷺ: «**أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**»[1].

ولسنا بصدد تتبُّع اعتزاليات الزمخشري في تفسيره «الكشاف» وغيره، فليس المقام مقام ذكرها وإحصائها، وقد اعتنى بذلك العلماء قديمًا، كابن عطية[2] وأبي حيان والسراج البلقيني[3] وقد ذكر السيوطي في الإتقان عن البلقيني أنه قال: «استخرجت من الكشاف اعتزالًا بالمناقيش من قوله تعالى في تفسير: ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾[4]»[5]، حتى إن الإمام أبا علي عمر السكوني[6] أفرد كتابًا في استخراج الاعتزاليات وتفنيدها مسألة مسألة، وسماه التمييز لِـما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز.

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحدود، باب توبة السارق، (٨/ ٢٠١)، رقم ٦٨٠١.

(٢) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد، مفسّر فقيه أندلسي عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء الـمَرِيَّة، وتوفي بلورقة ، له: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، توفي سنة ٥٤٢هـ. **الأعلام**، الزركلي، (٢/ ٢٨٢).

(٣) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص سراج الدين، مجتهد حافظ للحديث، وُلِد في بلقينة (من غربيّة مصر) وتعلم بالقاهرة، وولي قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ، من كتبه: (تصحيح المنهاج)، و(محاسن الاصطلاح) في الحديث، و(حواش على الروضة)، و(الفتاوى)، توفي بالقاهرة سنة ٨٠٥هـ. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٤٦).

(٤) آل عمران/ ١٨٥.

(٥) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، (٤/ ٢٤٣).

(٦) عمر بن محمد بن حمد بن خليل، أبو علي السكوني، مقرئ من فقهاء المالكية، له كتب منها: (التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز)، و(لحن العوام في ما يتعلق بعلم الكلام)، توفي سنة ٧١٧هـ. **الأعلام**، الزركلي، (٥/ ٦٣).

الفصل الخامس:
التحذير من بعض ما جاءِ في كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لابن حجر الهيتمي

ومما يجب التحذير منه ما في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي من نسبة جواز خوف الأنبياء من سوء الخاتمة لأنفسهم، ولعل هذا مما دُسَّ عليه، ونصّ العبارة: «ويروى أن نبيًّا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شكا إلى الله تعالى الجوع والعري، فأوحى الله تعالى إليه: عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك عن أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا، فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر»[1]اهـ.

وفيه أيضًا في موضع آخر قصة ثانية ظاهرة الفساد، ونص العبارة: «فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي، فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به ؟ فقال: وما لي لا أبكي وأنا أحقّ بالبكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها، وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به إبليس فقد كان من الملائكة، وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت، قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا أن يا جبريل ويا محمّد إن الله تعالى قد أمَّنكما أن تعصياه»[2]اهـ. ولا يخفى على مسلم أن النبيَّ لا يخشَى على نفسه سوء الخاتمة أو الموت على حال غير حسنة، وأن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن جبريل أيضًا لا يخشى على نفسه سوء الخاتمة، فالملائكة أولياء الرحمن لا يعصون ولا يكفرون.

---

(١) **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ابن حجر الهيتمي، (١/ ٥٠).

(٢) **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ابن حجر الهيتمي، (٣/ ٣٨٧).

الفصل السادس:
التحذير من مؤلفات ومحاضرات عمرو خالد

دعانا الشرع الكريم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى إبطال الباطل وإحقاق الحق، ولقد كثر المفتون اليوم في الدين بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان، وزاد الانحراف وامتد، ومنهم من لم يتلقَّ العلم عن العلماء الثقات بل أخذ ما يعتبره علماً من قراءة الكتب الفاسدة والمطالعات الساقطة، ومنهم المدعو عمرو خالد المصريّ الذي بسبب سقطاته وتهوّراته أوقع أناسًا كثيرين في الضلال والعياذ بالله تعالى.

يقول عمرو خالد في برنامج «ليالي رمضان» في ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ: إن موسى نبيّ الله استسقى، فقال الله له: «اضرب بعصاك الحجر. فقال: يا رب، أنا أريد المطر فقال الله: يا موسى، خلّ عندك ثقة»اهـ.

الرد: إن لم يكن عند الأنبياء ثقة بالله وبوعده سبحانه، فمن يكون عنده الثقة بالله ، حاشا لنبيّ من أنبياء الله أن ينطق بمثل هذا الكلام المفترى، وتنـزه الله عما افتُرِيَ عليه.

ويقول عمرو خالد في كتابه المسمى عبادات المؤمن: «رُوي أن الله أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود إن لي عبادًا أحبهم ويحبونني وأشتاق إليهم ويشتاقون إليَّ إن قلَّدتهم يا داود أحببتك»[١]اهـ.

الرد: إن هذا الكلام لا أصل له، فهو موضوع ومكذوب، وأما من حيث المتن فهو مرفوض جملة وتفصيلاً، فبزعمه أن الله يخبر عن عباد هم غير داود يحبون الله والله يحبهم وقال أشتاق إليهم ويشتاقون إلي ثم يقول لداود بزعمه إن قلَّدتهم يا داود أحببتك، فمؤدّى كلامه أن الله لم يكن يحبّ داود وهذا ضلال

(١) الكتاب المسمى **عبادات المؤمن**، عمرو خالد، (ص٨٩).

بيّن، لأن أنبياء الله عليهم السلام هم أحبّ الخلق إليه وهم أفضل الخلق قاطبة لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] ومفهوم كلام هذا الرجل أن الله يدعو سيدنا داود لتقليدهم، وليت شعري، في مقياس هذا المدعوّ عمرو خالد مَنْ يقلّد مَنْ، أليست العامة يقلدون الأنبياء، أليس التشريع يأتي بواسطة الأنبياء. سبحان الله، هذا بهتان عظيم.

ورحم الله ابن سيرين الذي قال: «إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم»[2]اهـ.

لا شك أن عمرو خالد نموذج لأدعياء العلم الذين يقولون على الله وعلى أنبيائه وعلى شرعه ما لم ينزل به من سلطان بذريعة الدعوة إلى الله، وأنهم ليسوا علماء يفتون الناس بالحلال والحرام، بل هم قصَّاصون. ثم ينبغي على من يتصدّر لإعطاء دروس دينية في السيرة والأخلاق الإسلامية أن يكون ملِمًّا بطرف لا بأس به من التجويد والنحو والصرف العربيين وفقه اللغة حتى يأمن من التحريف والتصحيف وخلط المسائل بعضها ببعض، ولئلا يستعمل ألفاظًا لا تليق بالله وأنبيائه،وهي مضادة للدين، وقد نهى عنها أهل العلم.

(١) الأنعام/ ٨٦.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، المقدمة، (١/ ١١).

الخاتمة والخلاصة

تبيّن أن هناك الكثير الكثير من المؤلّفات المحشوّة بالأكاذيب والأضاليل والأباطيل التي قد تكون إما مدسوسة على أصحابها، وإمَّا مِن تأليف مَن كتبها، لذا كان الواجب التحذير مِنْ مطالعة كتب التفاسير وغيرها قبل الوصول إلى أهليّة ذلك بأن يبلغ المرء درجة التمييز في العلم.

وليُعْلَمْ أَنَّ كثيرًا مِن الناس كان سبب هلاكهم أنّهم يطالعون في الكتب لأَنْفسهم دون أَن يرجعوا إلى عالِـم يقرؤون عليه وَيُصْلح لهم ما في الكثير من الكتب من الفساد، فإنَّ كثيرًا من الكتب تحوي مفاسد وقد أُلِّفت باسم الدين، وبعض الكتب أصولها صحيحة لكن أدخل عليها بعض الملاحدة كلمات فاسدة مَنْ قالها أَو اعتقدها ضلَّ وكفر والعياذ بالله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[1] معناه الذين يبدؤون بصغار العلم ثم بكباره، فلا ينبغي لطالب العلم أن يبدأ بالمطَوّلات قبل المختصرات حتى لا يفهم شيئًا على خلاف وجهه. وكُتُبُ أهل العلم مختصراتٌ ثم متوسطاتٌ ثم مطولاتٌ، فيُخشى على المبتدئ إذا بدأ بالمطوّلات أن يَضِلَّ لعدم فهمه الأمر على ما هو عليه. بالإضافة إلى كثرة الأغلاط المطبعية التي حُشيت بها الكتب، الأمر الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى فساد المعنى.

فقد حصل من رجل كان يطالع في صحيح البخاريّ وحدَه فقال كلمة كفرية، قال: «كيف تقولون الانتحار حرامٌ والرسولُ أراد أن ينتحر» وذلك لسوء فهمه وانشغاله بالمطالعة لنفسه دون الرجوع إلى أهل العلم. والذي في البخاريّ هو أنَّ الرسول ﷺ لـمَّا انقطع عنه الوحي زمانًا هَمّ أن يُلْقِيَ بنفسه من ذروة جبل، ومعنى ذلك أنه كان يعتقد أنه إنْ فعل ذلك لا يحصل له أدنى ضرر، وإنما أراد

(١) آل عمران/ ٧٩.

من ذلك تخفيف الشوق الحاصل له كما تقدّم بيانه.

ثم إن الأعمال لا تُقْبَل عند الله إلا أن توافق الشريعة، وموافقة الشرع وعدم موافقته لا تُعرف إلا بالعلم، والعلم لا يؤخذ إلا من أفواه العلماء، ولا تكفي مطالعة الكتب بغير تَلَقّ من أفواه العلماء، بل كثير من الناس يَضِلُّون بسبب أنهم لا يَتَلَقَّوْن علم الدين من أفواه العلماء بل يعتمدون على المطالعة في مُؤلَّفات العلماء، فكيف الذي يطالع في الكتب التي حُشِيَتْ بالأحاديث المكذوبة والأخبار المعلولة والغُلُوّ المذموم والكذب على الدين والتجسيم والتشبيه أي تشبيه الله بخلقه والعياذ بالله تعالى. وقد قال الحافظ الكبير الخطيب البغدادي[١] نقلًا عن بعض المحدّثين: «من طالع الكتب لنفسه بدون معلّم يسمّى صُحُفِيًّا، ولا يُسمى مُحَدّثًا، ومن قرأ القرآن لنفسه بدون معلّم يسمّى مُصْحَفِيًّا ولا يسمى قارئًا»[٢]اهـ.

وكان أبو حيان الأندلسيّ النحوي كثيرًا ما ينشد: [الوافر]

يَظُنُّ الغُمر[٣] أنَّ الكُتْبَ تَهدِي أخا فهمٍ لإدراك العلومِ
وما يدري الجهولُ بأنَّ فيها غوامضَ حيَّرتْ عقلَ الفهيمِ
إذا رُمتَ[٤] العلومَ بغيرِ شيخٍ ضَلَلْتَ عن الصراطِ المستقيمِ

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب (ت٤٦٣هـ)، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غُزَيَّة) منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشؤه ووفاته ببغداد. رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد فقربه رئيس الرؤساء ابن مسلمة (وزير القائم العباسي) وعرف قدره. من كتبه: (تاريخ بغداد) و(البخلاء) و (الكفاية في علم الرواية). **الأعلام**، الزركلي، (١/ ٧٢).

(٢) **الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغداديّ، (ص٩٧).

(٣)الغُمر هو الجاهل الذي لم يجرّب الأمور. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: غ م ر، (٥/ ٢٩)

(٤)رُمتَ: طلبتَ

وتلتبسُ الأمورُ عليك حتّى تصيرَ أَضلَّ من تُوما الحكيمِ[1]

وتوما هذا كان يدَّعي أنَّه طبيبٌ وكان تطـبّبه من الكتب، وقد وقع في التصحيف فقد قرأ عن طريق الخطأ في بعض الكتب التي عنده «الحيَّةُ السَّوداء شِفاءٌ مِن كُلّ داءٍ». تصحّفت كلمة «حبّة» إلى «حَيّة» فقرأها الحيَّة فمات بسبب تطبيبه خلق كثير.

فالجاهل عدوّ لنفسه ولا يعلم خطر جهله، فاعتقاد هذه التفاسير المدسوسة توقعه بالتهلكة، فالحذر كل الحذر من قراءة أي كتاب من غير تعلم ضروريات الاعتقاد، إذ بتعلم ذلك يصبح عندك الميزان الذي تميّز به الصحيح من الباطل. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

والله نسأل وبنبيّه عليه الصلاة والسلام نتوسل أن يرزقنا نيّاتٍ خالصاتٍ لوجهه الكريم، وأن يجعل في هذا الكتاب النفع العميم في تبرئة الأنبياء مما لا يليق بهم، صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

كما نرجو من الغيارى على دين الله عزَّ وجلَّ أن يزودونا بملاحظاتهم وزياداتهم، وأن يتواصلوا معنا عبر هذا البريد الإلكتروني:

Sh_Tarek_Laham@hotmail.com

أو الهاتف: ٠٠٩٦١٣٢٢٢٠٥١ بيروت - لبنان

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسبحان ربك رب العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين تم بحمد الله كتاب «قصص لا تليق بالأنبياء».

---

(١) **ديوان أبي حيان**، أبو حيّان، (ص٣٠١).

قائمة الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية

(سورة البقرة)

(سورة الأعراف)

(سورة التوبة)

(سورة هود)

(سورة يوسف)

(سورة الرعد)

(سورة إبراهيم)

(سورة فاطر)

(سورة يس)

(سورة الصافات)

(سورة ص)

(سورة الزمر)

(سورة فصلت)

(سورة الشورى)

(سورة الزخرف)

(سورة الدخان)

(سورة الأحقاف)

(سورة النجم)

فهرس أطراف الأحاديث القولية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**.

- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينيّ الزبيديّ، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الأجوبة المرضية على الأسئلة المكية**، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكرديّ الرازيانيّ ثم المصريّ، أبو زرعة وليّ الدين العراقيّ، مكتبة التوعية الإسلامية، مصر، د.ط، د.ت.

- **الأحاديث المنتقاة**، عبد الله بن محمد الغماريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الإحسان في تعقيب الإتقان**، للسيوطي، أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط١، د.ت.

- **أحكام القرآن**، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربيّ المعافريّ الإشبيليّ المالكيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٣.

- **إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢.

- **آداب الشافعي ومناقبه**، ابن أبي حاتم، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الأذكار**، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الأربعون النووية**، محيي الدين يحيى بن شرف النوويّ، دار المنهاج، ط ١، د.ت.

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ، المعروف بعزّ الدين بن الأثير، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت. د.ط، د.ت.

- **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، (هو شرح لكتاب روض الطالب لابن المقري اليمنيّ إسماعيل بن أبي بكر)، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاريّ أبو يحيى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠.

- **إشارات المرام من عبارات الإمام**، أحمد بن حسن بن سنان الدين البياضيّ، مكتبة مصطفى الحلبيّ، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن عليّ بن حجر أبو الفضل العسقلانيّ الشافعيّ، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١.

- الكتاب المسمى **الأصول الثلاثة**، محمد بن عبد الوهاب، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **أصول الدين**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغداديّ التميميّ الإسفرايينيّ، أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطيّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٩٥.

- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن عليّ بن فارس، الزركلي، الدمشقيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢.

- **الأفراد**، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **ألفية السيوطي في علم الحديث**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ الحنبليّ، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.

- **البحر المحيط**، محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الغرناطيّ الأندلسيّ، أثير الدين، أبو حيّان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠١.

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، لبنان، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت.

- **تاج التراجم**، ابن قلطوبغا، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينيّ الزبيديّ، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، دار الفكر، د.ط، ١٩٩٤. ونسخة أخرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

- **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ، أبو جعفر. طبع دار المعارف بمصر، د.ط، ١٩٧٦.

- **تاريخ بغداد**، أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، أبو بكر، المعروف بالخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **تاريخ دمشق** ، عليّ بن الحسن بن هبة الله، ثقة الدين بن عساكر الدمشقيّ، اختصره عبد القادر بدران، د.ط، د.ت.

- **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ

السيوطيّ الشافعيّ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ط، د.ت.

- **تذكرة الحفاظ،** محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.

- **تشنيف المسامع بشرح جمع الجوامع** (في أصول الفقه، وجمع الجوامع لعبد الوهاب بن عليّ ابن عبد الكافي، تاج الدين السبكيّ)، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشيّ، أبو عبد الله، بدر الدين، مخطوط.

- **التصريح بما تواتر في نزول المسيح،** محمد أنور شاه الكشميريّ الهنديّ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، د.ط، ١٩٨٢.

- الكتاب المسمى **التصوير الفنيّ في القرآن،** سيد قطب، دار الشروق، د.ب، د.ط، د.ت.

- **التعريفات،** علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، د.ت.

- **تفسير ابن أبي حاتم،** عبد الرحمن بن محمد أبو حاتم بن إدريس بن المنذر التميميّ الحنظليّ الرازي، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، ١٩٩٩.

- **تفسير البغويّ،** واسمه **معالم التنزيل،** الحسين بن مسعود البغويّ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧.

- **تفسير البيضاويّ** المسمى **(أنوار التنـزيل وأسرار التأويل)،** عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازيّ البيضاويّ، ناصر الدين أبو سعيد، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ١٩٨٢.

- **تفسير الثعلبي،** أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تفسير الخازن** المعروف بـ **(لباب التأويل في معاني التنزيل)،** علاء الدين عليّ بن محمد بن إبراهيم البغداديّ الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٩٥.

- **تفسير القرآن العظيم** أو **تفسير ابن كثير،** إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، دار طيبة، ط ٢، ١٩٩٩.

- **تفسير السمرقنديّ** المسمى **بحر العلوم،** أبو الليث السمرقنديّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٩٣.

- **تفسير الجلالين،** جلال الدين محمد بن أحمد المحليّ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.

- **تفسير عبد الرزاق،** عبد الرزاق بن همام الصنعانيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت.

- **التقرير والتحبير في علم الأصول** (أصول الفقه)، محمد بن محمد بن أمير الحاج، المطبعة الأميرية، بولاق. ودار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٦.

- **تقريب التهذيب**، ابن حجر العسقلانيّ، طبعة دار الرشيد بحلب، ط ١، ١٩٨٥.

- **تلبيس إبليس**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١.

- **تلخيص المستدرك**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث**، ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الشيبانيّ الشافعيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.

- **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة**، عليّ بن محمد بن العراق الكنانيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

- **تهذيب ابن عساكر**، عليّ بن الحسن بن هبة الله، ثقة الدين بن عساكر الدمشقيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تهذيب الأسماء واللغات**، أبو زكريا بن محيي الدين بن شرف النووي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- كتاب **التوابين**، عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٨٣.

- **الثقات**، محمد بن حبّان بن أحمد بن معاذ بن معبد البستيّ، ويقال له ابن حبان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **جامع البيان في تفسير القرآن أو تفسير الطبريّ**، محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ، أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبيّ**، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجيّ الأندلسيّ القرطبيّ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤.

- **الجرح والتعديل**، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظليّ الرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، ١٩٥٢.

- **جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار**، أحمد بن الصديق الغماريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **جمهرة اللغة**، ابن دريد، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،** أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ، أبو نُعيم، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٤، ١٩٨٤.

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،** أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، ابن حجر، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور،** عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، دار هجر، مصر، د.ط، ٢٠٠٣.

- **دلائل النبوة،** أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ البيهقيّ، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، ط ١، ١٩٨٨.

- **الدليل القويم على الصراط المستقيم،** عبد الله بن محمد الهرريّ، شركة دار المشاريع، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٩.

- **ديوان أبي حيان،** محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الغرناطيّ الأندلسيّ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ب، د.ط، د.ت.

- **رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمّديّ،** عبد الله بن محمد الهرريّ، دار المشاريع، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

- **الرسالة القشيرية في علم التصوف،** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوريّ القشيريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الزواجر عن اقتراف الكبائر،** أحمد بن محمد بن حجر المكيّ الهيتميّ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦.

- **زاد المسير في علم التفسير،** عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، المسمى المكتب الإسلاميّ، طبعة زهير الشاويش (المجسّم)، بيروت، ١٩٨٣.

- **سراج الملوك،** محمد بن محمد بن الوليد الفهريّ الطرطوشيّ المالكيّ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤.

- **سنن أبي داود،** سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزديّ السجستانيّ، دار إحياء التراث العربيّ، د.ب، د.ط، د.ت.

- **سنن ابن ماجه،** محمد بن يزيد القزوينيّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **سنن البيهقي الكبرى،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراسانيّ البيهقيّ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، د.ط، ١٩٩٤.

- **سنن الترمذيّ،** محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السُّلَمِيّ الترمذيّ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط ٢، ١٩٧٥.

- **سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

- **السنن الكبرى**، أحمد بن عليّ بن شعيب النَّسائيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **سير أعلام النبلاء**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

- **السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل** (في الرد على قصيدة نونية تسمى «الكافية» لابن القيم الجوزية)، عليّ بن عبد الكافي بن عليّ بن تمام السبكيّ الأنصاريّ الخزرجيّ، أبو الحسن، تقيّ الدين، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبليّ، دار ابن كثير، دمشق، د.ط، ١٩٨٥.

- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

- **شرح السنة**، الحسين بن مسعود البغويّ، المسمى المكتب الإسلاميّ، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣.

- **شرح العقائد النسفية**، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **شرح علل الترمذيّ**، ابن رجب الحنبليّ، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ٢٠٠١.

- **شرح الفقه الأكبر**، عليّ بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهرويّ الحنفيّ، المعروف بالملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، عبد الله بن محمد الهرريّ، شركة دار المشاريع، بيروت، ط ٦، ٢٠٠٠.

- **شرح لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة للإمام الجوينيّ**، شرف الدين التلمسانيّ المالكيّ، دار الحديث، د.ب، د.ط، د.ت، مخطوط.

- **شرح المقاصد**، مسعود بن عمر التفتازاني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبيّ السبتيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذيّ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، ١٩٩١.

- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، د.ط، د.ت.

- **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد البستيّ، ويقال له ابن حبان، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **صحيح مسلم**، المسمى **الجامع الصحيح**، دار الفكر، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الصحيح المنتقى**، سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغداديّ، مخطوطة بخط الحافظ السيوطيّ في الخزانة الجرمنية.

- **صفة الصفوة**، عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزيّ، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩.

- **الضعفاء والمتروكين**، أحمد بن عليّ بن شعيب النسائيّ، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦.

- **الضعفاء والمتروكين**، عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **طبقات الحفاظ**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد بن منيع الزهريّ، أبو عبد الله، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد البصريّ، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨.

- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين بن عليّ بن عبد الكافي السبكيّ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٢.

- الكتاب المسمى **عبادات المؤمن**، عمرو خالد، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **العبر في خبر من غبر**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **عدة الداعي ونجاح الساعي**، أحمد بن فهد الحلّي، قم، د.ط، د.ت.

- **عصمة الأنبياء**، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ البكريّ، فخر الدين الرازي، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، د.ط، ١٩٩٠.

- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني الحنفي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، د.ب، د.ط، د.ت.

- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس اليعمريّ، دار التراث ودار ابن كثير، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الفتاوى الحديثية**، أحمد بن محمد بن حجر المكيّ الهيتميّ، دار الفكر، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الفتاوى الهندية**، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخيّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٠.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، ابن حجر،

دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الفتوى الحموية الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانيّ، دار الصميعيّ، الرياض، ط ٢، ٢٠٠٤.

- **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغداديّ التميميّ الإسفراييني، أبو منصور، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الفقيه والمتفقه**، أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، أبو بكر، المعروف بالخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر الكتبيّ، د.ن، د.ب، ط١، ١٩٧٣.

- الكتاب المسمى **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ١٩٧٨.

- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفيروزأباديّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمى **قصص الأنبياء** المسمى **عرائس المجالس**، أحمد النيسابوريّ الثعالبيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمى **قصص الأنبياء**، عبد الوهاب النجار، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦.

- **القلائد شرح العقائد للنسفيّ**، جمال الدين محمود بن أحمد القونويّ المعروف بـابن السراج، مخطوط.

- **قوت المغتذي على جامع الترمذي**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الكامل في التاريخ**، عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ، المعروف بعزّ الدين بن الأثير، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، إسماعيل بن محمد الجراحيّ العجلونيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.

- **كشف المشكل**، عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهنديّ البرهان فوريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٩٨١.

- **اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة** المعروف بـ**(التذكرة في الأحاديث المشتهرة)**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٨٦.

- **اللباب في علوم الكتاب**، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **المبسوط**، محمد بن أبي سهل السرخسي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، عليّ بن أبي بكر الهيثميّ، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقيّ وابن حجر، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٢.

- **مجموعة تفسير**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ (المجسّم)، تقي الدين ابن تيمية، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ (المجسّم)، تقي الدين ابن تيمية، د.ن، الرياض، د.ط، د.ت.

- **المحبر**، محمد بن حبيب البغداديّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفيّ، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، ١٩٨٩.

- **المدخل إلى السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراسانيّ البيهقيّ، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، د.ط، ١٩٢٣.

- **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسيّ القرطبيّ الظاهريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الملا علي القاري، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **مستدرك الحاكم (المستدرك على الصحيحين)**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠.

- **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **مشكل الحديث وبيانه**، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهانيّ، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٩٨٥.

- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن عليّ الفيّوميّ ثم الحمويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، أحمد بن عليّ بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانيّ، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط١، ١٩٩٨.

- الكتاب المسمى **مع الأنبياء في القرآن الكريم** عفيف طبارة، دار العلم للملايين، بيروت،

ط ٢٦، د.ت.

- **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، أبو عبد الله، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، أوقاف بغداد، العراق، د.ط، د.ت.

-**معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، إيران، قم، د.ط، د.ت.

- **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المعيار المعرب والجامع المغرب**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الهاشمي الطنجالي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير**، أحمد الغماريّ الطنجي المغربيّ الحسنيّ، دار المشاريع، بيروت، د.ط، ٢٠٠٨.

- **مفاتيح الغيب** أو **تفسير الرازي**، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.

- **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهانيّ المعروف بالراغب، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاويّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.

- **المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية**، عبد الله بن محمد الهرري، شركة دار المشاريع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٨.

- **مناقب الشافعي**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزيّ، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحيى بن شرف بن مري النوويّ، دار إحياء التراث العربيّ - بيروت، ط ٢، ١٩٧٨١.

- **الموطأ**، مالك بن أنس الأصبحيّ، دار إحياء التراث العربيّ، مصر، د.ط، د.ت.

- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، الفخر بن المعلم القرشيّ الدمشقيّ، المكتبة الأهلية بباريس

٦٣٨، مخطوط.

- **نسب قريش**، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، دار المعارف، مصر، ط٢، د.ت.

- **نقض عثمان الدارمي على المريسي**، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **النكت على كتاب ابن الصلاح**، أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، ابن حجر، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.

- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ، المعروف بعزّ الدين بن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط ، ١٩٧٩.

- **النهر المادّ من البحر المحيط**، محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الغرناطيّ الأندلسيّ، أثير الدين، أبو حيان، دار الجنان، بيروت، د.ط، د.ت.

- **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**، محمد بن عليّ بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذيّ، دار الجيل، بيروت، د.ط، ١٩٩٢.

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

فهرس المحتويات